في آفاق نصرة الرسول ﷺ والقرآن

# القرآن يقوم وحده

## ٣٣ قصة

## تروي إسلام نخبة من علماء الغرب ومفكريه

### وتأثرهم بالقرآن دون وسيط وإعجابهم بعظمته

### وتزكيتهم لشخصية النبي محمد ﷺ

علاء الدين المدرس

٢٠٠٩ م – ١٤٣٠ هـ

دار الرقيم للنشر والتوزيع/ بغداد

الطبعة الأولى

٢٠٠٩م/١٤٣٠هـ



رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٦٩٨ لسنة ٢٠١١

بسم الله الرحمن الرحيم

أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُون. قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ.

سورة العنكبوت/ ٥١ – ٥٢

# الفهرس

# المقدمة

يشير الله تعالى إلى عظمة القرآن وتحديه للبشر وهيمنته المطلقة على كـل شيء في الكون المنظور، باعتباره كتاب الله الخاتم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، باعتباره الكون المقروء، ليرينا آياته الكبـرى فـي الآفاق وفي أنفسنا، ويهدي الإنسان للتي هي أقوم، في آيات عديدة منهـا: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾.[1].. وقوله تعالى: ﴿وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين﴾[2].

وخلاصة التحدي في هذه الآيات الكريمة، أن الإنسان سيكون عـاجزاً علـى مدى الدهر، أن يأتي بمثل هذا القرآن، وانه في الوقت نفسه سيجد فيه معيناً لا ينضب من الكنوز والمعجزات والعلوم، ويجد فيه من العلم والهدى مـا لا يجده في أي كتاب آخر، مما يحتّم عليه أن يؤمن به ويسلّم بهديـه القـويم وبمصدره الإلهي وبتمامه وكماله المعجز، مقارنةً مع ما يحيطه مـن كتـب وتعاليم، وُجدتْ خلال عصور حضارة الإنسان عبر تاريخه الطويـل، مهمـا كانت مسمياتها ومصادرها. وهذه الحقيقة هي بالضبط، مـا أكـدها علمـاء الغرب ومفكروه في عصر النهضة وما بعده، كما سنلمسه جليـاً فـي هـذا البحث المتواضع، من خلال قصص إسلامهم وإعجابهم وانبهارهم بمعجـزة القرآن الخالدة.

إن هذا القرآن – كما سنلمس من خلال تلك القصص الواقعيـة المختـارة، وكما جاء في هدي الكتاب والسنة – هو كتاب الله المعجز ورسالته الخاتمة للناس أجمعين.. وهو كتاب فريد يتحدى الإنسان في كل شـئ، فـي لغتـه

---

[1] سورة الإسراء/ ٨٨.

[2] سورة البقرة/ ٢٣.

**وعقيدته وشريعته وبيانه وعلومه وأسراره، التي لا تنتهي وكنوزه التـــي لا تنفد، ما وُجد الإنسان على ظهر هذه الأرض، وما دام الصراع قائمـــاً بـــين الحق والباطل، بين النور والظلمات، بين الإيمان والشرك، إلى يوم الـــدين، يوم الفصل بين الخلق، ذلك يوم الحساب.**

**ولذلك فهو كتابٌ قائمٌ وحده، يتحدى غرور الإنسان الضال والتائه، ويتحـــدى الشيطان وحزبه، وكل من يجحد النور والإيمان والحق والعدل، الذي جاء به هذا الكتاب العزيز، ليعم نوره الأرض ويسود السلام في أرجائها، تماماً كمـــا ساد ذلك النور أول مرة، حين كانت حضارة القرآن تحكم الأرض في قـــرون الخيرية الأولى، وما بعدها من العصور الزاهرة وحتى عهد قريب. ولا يضير كتاب الله الخالد تقاعس المتقاعسين ونكوص الناكصين وجهـــل الجـــاهلين، فحين يتلكأ المسلمون في أداء واجبهم تجاه نشر النور الذي نزل به القرآن، ويتقاعسون عن الدور المنشود الذي كلفهم به الله سبحانه، لخلافـــة الأرض وأعمارها بالخير والإيمان والفضيلة، فان الله قد تعهد بهذا القرآن العظـــيم، بالحفظ والقداسة والمضي في سبيل التبشـــير بالرســـالة الخاتمـــة وهدايـــة النفوس الحائرة، إلى الهدف الذي أراده الله مـــن وجودهـــا علـــى الأرض. وشرفها بذلك النور الذي أودعه الأرض المباركة، حين تلألأ من على جبال فاران في مكة في قلب جزيرة العرب حيث غـــار حـــراء، أول بقعـــة زكيـــة مباركة، شهدت نزول كتاب الله المنير، وهو يدعو الإنسان أن يقرأ ويتأمـــل ويتدبر في هذا الكون الفسيح، ليتجه بروحه وقلبه حيـــث خالقـــه الكـــريم.. ويدعوه بلمسة ربانية حانية أن اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. وهكذا أراد الله سبحانه بمشيئته النافذة أن يقوم القرآن وحده، حـــين يعجز الإنسان أو يقصّر في أداء الأمانة، وفي دوره خليفة في هـــذه الأرض لأعمارها وبنائها كما يريد الله سبحانه، لكيلا ييأس المؤمنـــون ولا يتجبـــر الطغاة والغافلون، بعد أن تفتنهم الدنيا بما فيها من بهارج ومباهج وأمـــوال**

وبنين وفنون وعلوم. قال تعالى: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً﴾[1]. انه كتاب معجز لا ريب فيه ولا شك في الحق الذي جاء به، وان عليه لطلاوة وبه لحلاوة، وانه ليعلو ولا يُعلى عليه، وان أعلاه لمثمر وأسفله لمغدق.. وانه لا يُخلق من كثرة الرد، تلك هي سمات القرآن العظيم، التي يحس بدفئها وإشراقها كل من لامست قلبه آياته ومعجزاته، في الشرق والغرب على السواء.

يؤكد الله في عليائه أن الله يدافع عن الذين آمنوا، وإن أول ما يدافع به الله عن الذين آمنوا هو بإنزاله القرآن الكريم رحمة ونور للناس أجمعين. وإن أول من يدافع عنهم من الناس، هو خير الناس وأشرفهم وأزكاهم، انه النبي الخاتم والرحمة المهداة محمد بن عبد الله ﷺ الذي أُنْزل على قلبه هذا الكتاب المعجز، فلا غرابة أن يدافع القرآن العظيم عن النبي الكريم، يدافع عن شخصه وسيرته ورسالته، وعن صدقه وأثره في الحياة منذ عصره المجيد، حين بعثه الله سبحانه بالحنيفية السمحاء، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين. يدافع عن الحكمة وجوامع الكلم والأحاديث الشريفة التي تحدث بها، وكل ما جاء به من الهدي الشريف. ولا غرابة في أن يجعل الله تعالى ذلك الدفاع المشرف، عن النبي وعن كتابه وعن دينه الخاتم، على لسان أبرز العلماء والمفكرين وأكبر القادة والمنظرين في العالم الغربي في العصر الحديث، ليكون ذلك الدفاع أوقع في القلب والنفس، وأبلغ في الفكر والعقل، وأعظم في الروح والوجدان، فالفضل دائماً هو ما شهد به الآخر خصماً أو حكماً، فكيف إن كان على لسان عباقرة الغرب وقادتهم وفلاسفتهم، من العلماء المنصفين الباحثين عن الحق والحقيقة، وكيف إن كان هذا الدفاع والإنصاف لدين الله، هو ثمرة سنين طويلة وجهود حثيثة، من البحث والتنقيب والمقارنة والسياحة في الأرض، حتى رزقهم الله الهداية

---

[1] سورة الإسراء/ ٩.

والإيمان والخضوع لدين الله وكتابه العزيز، وهكذا كانت شهادة هؤلاء مهمة وحاسمة ومعبرة، فهم علية قومهم في الغرب وأصحاب اللب.. قال تعالى: ﴿وشهد شاهد من أهلها..﴾[1] فأسلموا إلى بارئهم، وأصبحوا بعد هذه النقلة الإيمانية والتوجه بإخلاص لبارئهم، جنوداً أوفياءً في كتيبة الإيمان والتوحيد. تتصل جذورها بكتائب التوحيد الأولى التي قادها الأنبياء والمرسلون، منذ عصر آدم عليه السلام، حتى غدت سلسلة مترابطة ومتداخلة من الأجيال والأمم، تعمل في بريد الدعوة إلى الله وفي سوح الدعوة الفسيحة، منذ أن خُلق الإنسان وشهد فجر حضارته على الأرض، مروراً بعصور الأنبياء، حتى عصر الرسالة الخاتمة، الرسالة التي ختم الله سبحانه بها الوحي والرسالة، وتكفل بحفظها من التغيير والتحريف والضياع، قال تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[2].

لقد حوا هذا الكتاب الموسوم (القرآن يقوم وحده) شهادات منصفة وقصص واقعية ومعبرة، عن نخبة خيّرة من علماء الغرب وملوكهم وأمرائهم وكتّابهم وفلاسفتهم، وهم يعلنون إسلامهم وإيمانهم بالدين الحنيف، ويعترفون بكتابه الفريد، ومعجزته الخالدة، القرآن الكريم، ويقرّون مطمئنين بأنه كتاب الله المعجز، ويثبتون إعجازه من خلال النصوص والآيات والسور التي نقلتهم من الكفر إلى الإيمان، ومن الشك والحيرة والضلال إلى السكينة واليقين والنور المبين، بفضل القرآن وتأثيره العظيم في فكرهم وعقولهم ونفوسهم، حتى انكشف لهم نور الهداية، وباتوا هم أنفسهم على رأس كتائب الدعوة لذلك النور العلوي، يدعون الناس إلى صراط الله المستقيم وينصرون كتابه الحكيم ونبيه الكريم، لينالوا الخير والفضل في الدنيا والآخرة.

---

[1] سورة يوسف/ ٢٦.

[2] سورة الحجر/ ٩.

وهكذا يثبت هؤلاء الأخيار من صفوة المجتمع الغربي، أن هذا القرآن مأدبة الله ومائدته التي غذّت أرواحهم وعقولهم، فأصبح لسان حالهم يقول: أيها الناس هلموا إلى كتاب الله، فأقبلوا على مأدبته ما استطعتم. إن هذا القرآن حبل الله والنور المبين والشفاء النافع. انه عصمة لمن يتمسك به ونجاة لمن اتبعه، لا يزيغ فيثبت، ولا يعوج فيقوم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرد، اتلوه فان الله يأجركم على تلاوته في كل حرف عشر حسنات. إن هذا القرآن كتاب الله الخالد، فيه خبر من قبلكم ونبأ من بعدكم وحكم ما بينكم، من تركه من الطغاة قصمه الله، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، هو القول الفصل ليس بالهزل. كما قال تعالى: ﴿إنه لقول فصل وما هو بالهزل﴾.. وورد في الأحاديث المأثورة عن النبي ﷺ وأصحابه في فضل كتاب الله العزيز.

ولعل أفضل ما نقدمه في هذا الكتاب وندعو إليه القارئ العزيز، للإقبال على مأدبة الله سبحانه، أن يقرأ في صفحاته، تلك القصص الفريدة التي عبّرت عن حال أصحابها المتسامي اللطيف الشفاف، وشدة ايمانهم وإعجابهم بالكتاب الذي هداهم نحو النور، فأنار حياتهم التي أظلمتها تراكمات حضارة الغرب المادية والجاهلية، مهما ادعت الرقي والتقدم والغطرسة والطغيان، لكي نعيش مع هؤلاء المهتدين المؤمنين، ليرى بأم عينيه، تلك القلوب التي أبصرت النور، ويشهد دور القرآن العظيم وهو يقوم وحده بهداية الناس إلى سواء السبيل، رغم تقصيرنا وهجرنا للقرآن وتعاليمه ولدوره في الحياة.. قال تعالى:

﴿وقال الرسول يا ربِّ إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾ [1]

نسأله تعالى أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، انه نعم المولى ونعم الوكيل.

---

[1] سورة الفرقان/ ٣٠.

علاء الدين شمس الدين المدرس

غرة محرم الحرام ١٤٣٠هـ

## ١- قصة إسلام الكاتب والصحفي الألماني هنريك برودر:

حين أعلن الكاتب الألماني والصحافي الثقافي الشهير هنريك م برودر (٦١ عاما) الذي تميز بنقده الجارح للإسلام والمسلمين، وبخاصة في عام ٢٠٠٧، إسلامه بشكل مفاجىء وقال مطلقا صيحته الكبيرة :" هيا اسمعوني فقد أسلمت." وهو الذي كان يطعن في دين المسلين، كان إعلانه هذا صدمة للألمان والأوربيين عموماً.

وقد جاء إعلان إسلامه هذا نتيجة صراع داخلي مرير مع نفسه لسنين طويلة. وفي مقابلة مع إمام مسجد رضا في نيوكولن في ألمانيا، قال برودر بأنه ارتاح أخيرا للتخلص من كبت الحقيقة التي كانت تعصف بجوارحه. وقال معقبا على سؤال حول تخليه عن دينه المسيحي بأنه لم يدع دينا وإنما عاد إلى إسلامه، الذي هو دين الفطرة التي يولد عليها كل إنسان.

هذا وقد صار يدعى بعد أن أدى الشهادة أمام شاهدين بـ (محمد هنريك برودر)، وقال معقبا على ذلك بافتخار: " أنا الآن عضو في أمة تعدادها مليار وثلاثمائة مليون إنسان في العالم معرضين للإهانة باستمرار، وتنجم عنهم ردود أفعال على تلك الإهانات، وأنا سعيد بالعودة إلى بيتي الذي ولدت فيه."

قوبل إسلام هذا الكاتب بترحاب كبير من المسلمين، الذين كانوا يجدون فيه متهجما كبيرا على عقائدهم وتصرفاتهم، وإذا به ينقلب إلى رافض لتلك

الجوائز الأدبية التي تمنح "للمدافعين عن العقلية المعاديـــة للســـامية لـــدى اليهود أنفسهم" على حد قوله، أي أن اليهود هم الـــذين يعـــادون الســـامية الحقيقية (أو الحنيفية) وما كان عليه الأنبياء والمرسلون من توحيد وأخلاق ونور هداية.

واستقبل الكثيرون من مثقفي الألمان إعلانه الإســـلام بمـــرارة بعـــد حربـــه الطويلة على الإسلام، واعتبر بعضهم هذا بمثابة صدمة للألمان الذين كانوا يقرؤون بلهفة ما ينشره بغزارة[1]

هنريك برودر عمره ٦١ سنة، الصحفي اليهودي المخضرم في مجلـــة ديـــر شبيجل الألمانية ذو الشعبية الكبيرة، صاحب أكثر الكتب مبيعاً في ألمانيا عام ٢٠٠٧ بعنوان " هاي.. أوروبا تستسلم " وحاصـــل علـــى جـــائزة الكتـــاب الألماني للعام. إن هنريك برودر كاتب اشتهر بهجومه الشديد على الإســـلام، وكان يحذر دائماً من خطر الإسلام على أوروبا. ومن أقوال هنريك برودر: لا أريد لأوروبا أن تستسلم للمسلمين، عندما يقول وزير العدل الألماني أنه من الممكن أن تكون الشريعة هي أساس القوانين.. فعلى أوروبا السلام. وقوله: الإسلام أيديولوجية أصبحت أكثر وأكثر مرتبطة بالعداء للحيـــاة العصـــرية الغربية، وقوله: أنصح الأوربيين الشباب بالهجرة، فأوروبا الآن لـــن تظـــل كذلك لأكثر من عشرين عاما قادمة.. أوروبا تتحول للإسلام الـــديموجرافي. وقوله: نحن نمارس بشكل غريب نوع من الاسترضـــاء، رداً علـــى أفعـــال الأصوليين الإسلاميين. إن هنريك برودر هذا العدو اللدود للإسلام والمسلمين والمدافع عن أوربا العصية على الإسلام، في نهاية فبراير ٢٠٠٨م، أصبح

---

[1] انظر المصدر على الشابكة (الانترنت): موقع مركز الشرق العربي.
http://elarasolallah.yahooboard.net/montada-f2/topic-t5313.htm

مسلماً وأصبح اسمه محمد هنريك برودر، وليس ذكر تلك القصة لإسلام هذا الرجل الإعلامي المعروف هو من باب الابتهاج بإسلامه، بقدر ما هي للتعرف على أسباب تحول هذا كاتب بهذه الخلفية والفكر والتراث الكبير، وبعد هذا العمر الذي وصل إلى أعتاب العقد السابع، إلى دين، كان يهاجمه وينتقده طوال مسيرة حياته.

يقول محمد برودر: لقد جاء إعلان إسلامي هذا نتيجة صراع داخلي مرير مع نفسي لسنين طويلة، فأنا لم أدع ديني ولكني عدت لديني وهو الإسلام دين الفطرة، أنا الآن أفختر بأني عضو في أمة تعدادها مليار وثلاثمائة مليون إنسان في العالم معرضين للإهانة بشكل دائم، وتنجم عنهم ردود أفعال على تلك الإهانات، وأنا سعيد بالعودة إلى بيتي الذي ولدت فيه، لقد شاهدت العلاقات بين المسلمين وخصوصا من الناحية الجنسية، والطهارة والعفة والتواصل الاجتماعي الذي تفتقده أوربا، وكانت دافعاً كبيراً لي لكي أتحول إلى الإسلام دين رب العالمين، كما أن سياسة الكيل بمكيالين المتبعة في ألمانيا العلمانية، ليست بالأهمية بالنسبة لي. ويعدد الإعلامي الألماني محمد هنريك برودر أسباباً كثيرة لإعلان إسلامه الذي فاجأ الألمان والأوربيين، في حديثه الحصري مع فيلت أون لاين أو العالم أونلاين تحت عنوان: صدمة الأسبوع .. هنريك برودر يتحول للإسلام.

## ٢– قصة إسلام عالم البحار الفرنسي جاك كوستو

جاك كوستو عالم البحار والمحيطات الفرنسي الشهير، ولد سنة ١٩١٠ وشهد مآسي الحربين العظميين اللتين شهدتهما أوربا في عز جبروتها وطغيانها وغطرستها وعدوانها على الحق والعدل والسلام، حين تلبسها الشيطان بروح الاستعباد والاستعمار ولا يزال.. حيث انتقلت تلك اللوثة عبر المحيط الأطلسي لتتزعمها أمريكا الحالية بفكرها اليميني الأصولي المتطرف الحالي..

لقد عمل هذا العالم في مجال علم البحار والمحيطات والأحياء البحرية والتقنيات الاستكشافية والتصويرية لهذا العالم الذي كان مجهولا، ثم أصبح واضحاً مشهودا تحت الشمس بفضل هذا العالم الجسور. ولقد استغرقت رحلة (كوستو) مع البحر ستين عاماً، ولم تكن مجرد مغامرة استكشاف. فعمل في حقول العلم والمعرفة هذه حقبة طويلة من عمره المديد، وقد بدأ برحلاته البحرية الاستكشافية في سفينته الشهيرة كالبسو، التي جال بها بحار العالم ومحيطاته في رحلات مكوكية لمدة ٤٦ سنة، بعد شرائه السفينة وتجهيزها بالأجهزة والمختبرات المتخصصة في سنة ١٩٥٠م، واستمر في نشاطه العلمي البحري حتى وفاته سنة ١٩٩٧م. وقد وضع جاك مع زميله المهندس (إيميل غاغنان) في العام ١٩٤٣ تصميم (رئة الماء) Aqualung أو اسطوانة الهواء المضغوط التي يستخدمها الغواصون اليوم، والتي مثلت فتحاً معرفيا مكن المستكشفين أخيراً من البقاء تحت الماء، من دون الاعتماد على مخزون الرئتين. فكان اكتشافه هذا من القفزات العلمية التي غيرت آليات الإبحار والغوص واستكشاف مكنون ذلك العالم المجهول، وساهم في أعمال علمية عديدة تخص عالم البحار والمحيطات واستكشافاته، منها

المساهمة في اختراع كاميرا حديثة متطورة تصور تحت ماء البحر بعمق ٣٥٠ مترا ثم ٥٠٠ مترا، وقام بإنتاج العديد من الأفلام الوثائقية العلمية، أشهرها برنامج عالم البحار والعالم الصامت، ولم يتوقف عن عمله البحثي العلمي رغم تجاوزه سن ٨٦ سنة، ولم توقفه إلا بارجة صدمت سفينته كالبسو وأغرقتها في أواخر عمره، فمرض بعدها بأشهر وأصيب بنوبة قلبية أودت بحياته.. لكنه كان قد شرع مع ابنه ومساعديه في إنشاء سفينته الثانية الأكثر تطورا، فيما يخص أبحاث عالم البحار، وهي كالبسو ٢ التي دخلت عالم البحار، وورثت كالبسو الأولى في عالم الأبحاث العلمية والمختبرات المتخصصة والمتجولة في عالم البحار، ونظرا لجهود جاك كوستو العلمية ولأهمية سفينته كالبسو باعتبارها جزءاً مهماً من تراث هذا العالم الفذ ومن التراث العلمي وأحد أسباب الاستكشافات المهمة والحديثة لعالم البحار الصامت، الذي استنطقه رجل العلم والإيمان والمخاطرة من أجل التقدم البشري، فقد تم انتشال سفينته من قاع البحار، التي أحبها وأحب عالمها الرحب المليء بالألغاز والمخلوقات العجيبة والظواهر والآيات الفريدة، تلك الآيات التي تشهد بعظمة الخالق، بديع السماوات والأرض وخالق الأنهار والبحار والمحيطات وما فيها ذلكم الله رب العالمين.

لقد ترجم هذا العالم الفذ مقولة أن (القرآن يقوم وحده) أجمل ترجمة، حين وقف على منصة المؤتمر العلمي البحري العالمي في أكاديمية العلوم بمدينة باريس، وأمام حشد كبير من العلماء والباحثين من دول العالم كافة في سنة ١٩٧٧م، وهو في قمة مجده وتألقه وشهرته التي امتدت في الآفاق، حتى شملت كافة الأصقاع والأقطار في سبعينيات القرن الماضي. لقد حضر هذا المؤتمر أكثر من خمسة آلاف عالم في العلوم التطبيقية وفي علوم الأحياء

وعلوم البحار، فوقف جاك كوستو ليعلنها كلمة مدوية هائلة، ستبقى خالدة في سماء الزمن، شاهدة على عمق إيمان وشجاعة هذا الرجل العظيم، ليملأ بها آذاناً وعقولاً طالما جحدت الحق والنور في القرون التي خلت، ولا زالت تحجب النور الإلهي ورسالة السماء، بحجة التفوق العلمي وسيادة الرجل الأبيض ونهاية التاريخ وتوقفه المفترض في محطة الأمركة والعولمة الحالية. لقد قالها كلمة ثقيلة تملأ الميزان، بجرأة وشجاعة فائقة ونادرة:

أشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله

قالها بلسان عربي مبين وتمتم بها بلسانه المؤمن عبر المايكروفون، ولم يفهمها أكثر الحاضرين، لأنها كانت باللغة التي اختارها جاك لتكون لغته المقدسة لغة القرآن.. ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه، والذي كان السبب الأول في هدايته وإعلانه ذلك الإعلان الخطير الذي أغاظ به نفوساً مسودّة حاقدة متكبرة على خالقها ومبدعها ومنبع سعادتها وسكينتها الله جل جلاله، الرحمن الرحيم لينقذها من الصراع والحروب والفتن، ويأخذ بيدها إلى شاطئ السلام والأمن الحقيقي.. الأمن مع النفس وخالقها، والكون ومبدعه، بسفينة القرآن ورسالته الخاتمة، لكن جحود الإنسان كان على الدوام السبب وراء الكفر والطغيان. ذلك لأن الإنسان يسقط في هاوية الكفر – كما يؤكد القرآن – حين يكون ظلوما جهولا.

وما أن ترجم المترجم الشهادة إلى اللغة الفرنسية حتى ضج الحاضرون وبهتوا وقالوا متسائلين .. لماذا يا جاك؟ يا عالم أوربا وسبب فخرها وعزها وتألقها؟ لماذا تريد أن تهب كل ذلك الفخر والعز إلى الإسلام وتتجه صوب الشرق الذي طالما أغاضنا منذ فجر التاريخ إلى اليوم؟.. ونسوا أن أوربا كانت ولا تزال عالة على الشرق وتراثه وفكره وحضارته، وهي مهما كبرت

**وعظمت في أعين أهلها، فهي ثمرة الشرق ونتاجه، وهي تجسد غروب شمس الشرق، كما قال أحد مفكريها معرفاً الغرب ممثلاً بأوربا وحضارتها، فالنور جاء من الشرق حين أشرقت منه حضارة الأنبياء، ولا يضيره وهو يغرب في الغرب، بعد أن تشبعت به الدنيا، وأصبح التوحيد والحضارة والتقنية، مفاهيم ونعم وهبات من الله المنعم الوهاب.. نِعَمْ ولدت في الشرق المؤمن حين أشرقت الأرض بنور ربها، ببركة رسالة الأنبياء وهم يفِدون على الأرض تتْرى خلال العصور الأولى من حضارة الإنسان، حتى ختم الله كتائب الإيمان برسالة القرآن الخاتمة.**

**نعم لقد أسلم (جاك كوستو) عالم البحار الفرنسي الشهير. وهو صاحب الدراسات الرائدة في هذا الميدان الحيوي من العلوم. لقد أسلم (جاك كوستو) أشهر وأبرز عالم بحار في القرن العشرين. العالم جاك-إيف كوستو - Jacques-Yves Cousteau) وهو يكاد يكون الفرد المسئول بالكلية عن تعريف ملايين البشر بالجزء الحيوي من العالم المغمور تحت الماء. لم يشأ جاك كوستو المسلم والعالم العبقري الفرنسي أن يترك الفرصة تمر دون أن يستثمرها.. فرصة وجود هذا العدد الكبير من العلماء الغربيين، ويدعو بدعوة الإسلام (دينه الجديد) الذي فرح به أيما فرح.. تماما كما فعل عمر بن الخطاب ﷺ مع أهل مكة حال إسلامه في دار الأرقم، ومؤمن آل فرعون في نصح قومه الفاسقين الضالين.**

**قال لهم جاك: لقد أسلمت لأني جبت البحار والمحيطات استكشف هذا العالم المجهول والعجيب فوجدت آيات الله الباهرة في هذا العالم الذي أبدعه الخالق سبحانه، ثم وجدت في القرآن ما يؤكد هذه الآيات والمكتشفات التي لا يعلمها إلا الله، والتي كشف العلم الحديث عن بعضها الآن، فكيف لرجل مثل**

محمد أن يعرف تلك الآيات ويــذكرها فــي كتابــه، إن كــان قــولكم فــي القرآن صحيحا!..

لقد أيقنت أن الله.. الله وحده، هو الذي أوحى لمحمد بتلك الآيات والحقائق العلمية العظيمة والكثيرة المنتشرة في ثنايا القرآن.. لقد رأيت تلــك الآيــات الباهرة في هذه البحار، التي درستها لسنوات طويلة من حياتي، ثم وجــدت القرآن الكريم قد تحدث عنها وذكرها قبل ١٤ قرناً. فسأله الحاضرون: مثل ماذا؟!.. فقال لهم: من تلك الحقائق العلمية التي جاء ذكرها في القرآن والتي أبهرتني: أنني اكتشفت وجود برزخ وحاجز بين البحرين حين يلتقيــان فــي نقاط التماس، في كل بحار العالم ومحيطاته، وهو عبارة عــن بحــر ثالــث يختلف عن البحرين الملتقيين، فمثلا في مضيق جبل طارق ملتقــى البحــر المتوسط بالمحيط الأطلسي وفي مضيق باب المندب ملتقى البحــر الأحمــر بالبحر العربي والمحيط الهندي، وجدت وشاهدت ذلــك البــرزخ والفاصــل والحاجز بين البحرين شاهدته بنفسي وصورته وتفحصــته وتجولــت فــي أطرافه وأعماقه، انه بحر آخر متفرد ومنفصل عن البحرين ببيئتــه وجــوه ومائه وملوحته وأسماكه وحيواناته ونباتاته البحرية، وفي حرارته وضغطه وصفاته الفيزياوية والكيمياوية الأخرى، لا يشبه أياً من البحرين وعالمهمــا المختلف عنه. إن هذا البحر الذي أشار إليه القرآن بوضوح، له خصائصه التي يتفرد بها عن البحرين، وهذا التفرد –الذي قدّره الله سبحانه– في كــل شيء، في الملوحة والكثافة وفي الأسماك وفي درجة الحرارة، بل الأمواج والأسماك لا تدخل هذا الفاصل أبداً. وكان مــن المتوقــع أن نجــد اخــتلاط البحرين وامتزاجهما وتشابههما، حسب نظرية الأواني المستطرقة المعروفة، ولكنا وجدنا الحقيقة غير ذلك.. فمن علم محمد ﷺ تلك الحقيقــة العلميــة

الحديثة التي تعرفنا عليها واكتشفناها اليوم.. انه الله.. الله سبحانه. لقد أرشدني أحد البحارة العرب من اليمن، وأنا أبحر في باب المندب إلى نص في القرآن يشير إلى تلك الحقائق العلمية المذهلة، ومنها الآيات التالية: قال تعالى: ﴿مرج البحرين يلتقيان. بينهما برزخ لا يبغيان.﴾ [1]

وقوله تعالى: ﴿أمّن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ [2]

كما إني وجدت خلال رحلاتي البحرية الكثيرة، أن قيعان البحار الكبيرة والمحيطات تخرج منها النيران والحرائق العظيمة.. وفي القرآن إشارات مهمة تؤكد هذه الحقيقة العلمية، منها قوله تعالى: ﴿والطور. وكتاب مسطور. في رق منشور. والبيت المعمور. والسقف المرفوع. والبحر المسجور﴾ [3]

إنها آية عجيبة ورهيبة..(البحر المسجور) أي: البحر يشتعل نيراناً..

نعم لقد اكتشفت إن كل المحيطات والبحار الكبرى تخرج من قيعانها النيران، وقد صورنا هذه الظاهرة .. نعم صورناها ودرسناها.. ويؤكد القرآن على حقيقة علمية مشابهة تؤكد أن البحار ستُسْجَر وتُفجّر وتحترق يوم القيامة حين ينتهي عمر العالم بأمر الله، بسبب تلك النيران المخزونة في قاع البحار وطاقتها الهائلة. قال تعالى: ﴿وإذا البحار سجّرت﴾ [4]

---

[1] سورة الرحمن/ ١٩-٢٠.

[2] سورة النمل/ ٦١ .

[3] سورة الطور/ ١ ــ ٦ .

[4] سورة التكوير/ ٦.

إن هذه اللفتات العلمية تدل دلالة واضحة وصادقة وقاطعة لا لبس فيها، أن الله سبحانه هو الذي أنزل على محمد ﷺ هذه الآيات وهذا القرآن العظيم. ألم أقل لكم إن هذا القرآن من الله وليس من عند محمد . وإلا فمن أخبر محمداً ﷺ بأن هناك حواجز وفواصل مائية بين البحار والمحيطات ؟.. إنـــه الله.. إنه الله سبحانه. خيّم الصمت والسكون على الحضور جميعاً، وهم في ذهول ودهشة مما يسمعون. ثم قام بعرض هذه الظواهر العلميـــة علـــى الشاشـــة المتلفزة وشرحها شرحاً مفصلاً وعميقاً. أن هذا القرآن يقوم وحـــده، وهـــو نسيج فريد ليس له نظير في كل مجالات العلم والمعرفة. وهو كنز من العلم والنور لا ينضب، يدعو ويهدي وحده، ويشرح صدور وقلوب الباحثين إلـــى الحق والحقيقة وحده. قال تعالى: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا ﴾[1]

وبالرغم من أن (كوستو) قد توفي عام ١٩٩٧ إثر أزمة قلبية إلا أن تراثـــه لا يزال حياً ومحركاً للكثير من الجهود العالمية. لقد واجه جاك كوستو بعـــد إسلامه معارضة شديدة ومضايقات عديدة ربما أثرت على مشروعه العلمـــي وعلى نشاطه المتنوع لكن ذلك العداء الغربي للإسلام والعقدة المســـتحكمة التي جعلت من الغرب يشعر بالرعب (الإسلاموفوبيا) من نور القرآن ورسالة الإسلام رغم تخلف أهله لم تثنه وتمنعه من الاستمرار والمثابرة في عملـــه والحصول على جوائز علمية عديدة ومناصب علمية متقدمة.. فكانت الجوائز والمكافئات تتسابق لتنال شرف الانتساب إلى هذا العالم الفـــذ الـــذي قصّـــر العرب معه في خدمة علمه والامتنان لموقفه وخدمتـــه لكتـــاب الله العزيـــز ونسوه وتشاغلوا عنه خلال العقود الماضية. رغم وقفتـــه الشـــجاعة عبـــر

---

[1] سورة الإسراء/ ٩.

رحلته العلمية والإيمانية بعد إسلامه في سنة ١٩٧٧ في باريس.. فكافأته دولته فرنسا في عهد الرئيس ديغول وكافئه الرئيس الأمريكي كارتر ثم الرئيس ريغان على اكتشافاته العلمية وخدماته الجليلة للعلم والحضارة الإنسانية.. وليس أمامنا نحن العرب اليوم إلا أن نبتهل إلى الله بالدعوة الصادقة له بأن ينال جنات الخلد مع الأنبياء والصديقين والشهداء.. وأن نحيي ذكراه ودوره العلمي ونعيد استحضار برامجه ومشاريعه وأفلامه الوثائقية الشهيرة التي فاقت كل نتاج وثائقي وكانت بلا منازع لمدة قاربت نصف قرن. فكانت أفلامه العلمية تضاهي اكتشافاته العلمية في عالم البحار وقد أدهشت العالم في السبعينيات والثمانينيات حتى طواها النسيان اليوم.. فهل نهب لنشرها وإعادة إخراجها وتوثيقها ودراستها عبر منابر الجامعات والمساجد والفضائيات وعبر الانترنت والمؤسسات الإعلامية الأخرى؟.. انه تراث علمي وإسلامي جدير أن يعتني به ضمن منظومة الإعجاز العلمي وأسلمة العلوم، ولكي نجازي إحسانه بإحسان، نحن أصحاب الرسالة ورفاق الدرب والإيمان، ونشاركه الأجر والجزاء والهدى والنور.. رحم الله أبا محمد جاك كوستو على صنيعه وشجاعته، فقد كان رمزا إنسانياً للجمع بين العلم والمخاطرة في أبحاثة ورحلاته البحرية، ورمزا للهداية إلى نور القرآن والدعوة لهديه، حتى سار على نهجه من بني جلدته كثيرون، منهم الطبيب والباحث موريس بوكاي والفيلسوف المفكر الدكتور روجيه غارودي وغيرهم كثير في أوربا والعالم.

## وقفات مع جاك كوستو وإنجازاته العلمية والاستكشافية

عُين جاك كوستو بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية رئيساً لبرنامج دراسة المحيطات (Oceanography) الفرنسي. وفي عام ١٩٥٠ اشترى سفينة (الكاليبسو) التي اقترنت شهرته بها لتكون بمثابة مركز أبحاثه البحرية خلال الستة والأربعين عاماً التالية. وقد عمد (كوستو) لإنتاج عدد من الأفلام الوثائقية والكتب من أجل تمويل رحلاته ولنشر الوعي ببيئة الأعماق في بادرة غير مسبوقة وقتها حققت نجاحاً مدوياً. بل أن فيلمه الوثائقي الأول (العالم الصامت) The Silent World فاز بالجائزة الأولى في مهرجان (كان) لعام ١٩٥٦. وهو إنجاز لم يلامسه مُنتَج وثائقي آخر حتى جاء (مايكل مور) بفيلمه (فهرنهايت 9/11 ) بعد ثمان وأربعين سنة.

تقاعد (كوستو) من البحرية الفرنسية ليتفرغ لمشاريع أبحاثه. حيث عُين عام ١٩٥٧ مديراً لمتحف موناكو للمحيطات. وأسس مجموعة لأبحاث الأعماق بطولون. بالإضافة لرئاسته لبرنامج (Conshelf) الخاص بتجارب إقامة البشر لمدد طويلة بمستعمرات مقامة في أعماق البحار. كما أن جهوده الرائدة في تطوير الآليات لم تتوقف. ففي العام ١٩٦٣ طور كاميرا للتصوير تحت الماء اشترت شركة (Nikon) حقوقها لاحقاً لتنتجها تحت اسم (Nikonos). كما عمل (كوستو) على بناء الغواصة SP-350 التي تتسع لشخصين وتعمل تحت عمق يصل لـ ٣٥٠ متراً بقاع المحيط. ليحقق عام ١٩٦٥ إنجازاً بالوصول بنسخة مطورة منها لعمق ٥٠٠ متر. وقد دشن (كوستو) عام ١٩٨٠ نموذجاً آخر لغواصة أعماق نفاثة تتسع لراكب واحد أسماها TURBOSAIL . وفي عام ١٩٦٨م طُلب إلى (كوستو) الاشتراك في سلسلة برامج تليفزيونية لتعريف الجمهور بعالم البحار الخفي . وهكذا

كان برنامج (عالم الأعماق) Undersea World الذي قدم للجمهور العادي صورة لعالم أبحاث المحيطات طيلة ثماني سنوات. وليحتل مكانة راسخة، حتى عند المشاهدين العرب، كأحد أهم معالم التثقيف التلفازي. وقد جعل البرنامج من (كوستو) نجماً عالميا، كما جعل من الاهتمام بالبيئة البحرية هماً شعبيا، مما حدا به لتأسيس جمعية غير ربحية باسمه لحماية الحياة البحرية يفوق عدد أعضائها اليوم الثلاثمائة ألف .

يعد (كوستو) اليوم رمزاً لتضافر روحي بين العلم والمغامرة لأجل البيئة. وهو قد حصل على تكريم الأكاديمية الفرنسية وعلى (وسام الحرية) الأميركي مرتين من قبل الرئيسين (كارتر) و (ريغان) كما حصل على جائزة الأمم المتحدة الدولية للبيئة وعُين مستشاراً لديها ولدى البنك الدولي[١].

## ٣- قصة إسلام الأمريكي د. جريميا.. وأثر لغة القرآن

إن أمة الإسلام هي أمة الأنبياء والمرسلين على مدار التاريخ، وهي خير أمة أخرجت للناس، لأنها صاحبة الرسالة المقدسة، والأمة الهادية إلى سواء السبيل، وان لسانها هو اللسان العربي المبين، وعقيدتها هي عقيدة التوحيد والإخلاص لله رب العالمين.. قال تعالى:﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالِمِين﴾[٢] وقال: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس. .ولو آمن آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون﴾[٣].

---

[١] نشر هذا المقال مختصراً في مجلة الوعي الإسلامي/ العدد ٥١٦.

وانظر للتفصيل الرابط على الشابكة (الانترنت).. (قصة إسلام الباحث جاك كوستو):
http://www.dive4ever.net/vb/showthread.php?p=716

[٢] سورة الروم/ ٢٣.

[٣] سورة آل عمران/ ١١٠.

ويؤكد المؤرخون الأوربيون أن الشخصية العربية كانت على الدوام تتميز بصفات الفروسية، من كرم ونبل وشجاعة وذكاء ومهارة في ركوب البحر والتجارة.

يقول المؤرخ ول ديورانت ويصف فضل الفينيقيين (العرب): لقد أقاموا لهم حاميات في نقط منيعة على ساحل البحر المتوسط، أقاموها في قادس، وقرطاجنة، ومرسليا، ومالطة، وصقلية، وسردينيا، وقورسقة، بل وفي انكلترا البعيدة. واحتلوا قبرص، وميلوس، ورودس، ونقلوا الفنون والعلوم، من مصر، وكريت، والشرق الأدنى، ونشروها في اليونان، وايطاليا، وأسبانيا، وفي أفريقيا، وربطوا الشرق بالغرب بشبكة من الروابط التجارية والثقافية، وشرعوا ينتشلون أوربا من براثن الهمجية[١].

ويقول عالم المصريات ق.م. المستشرق بريستد Breasted:

إن المجموعات النازحة بلغاتها العروبية لمصر من جزيرة العرب قبل الألف السادسة ق.م. هي التي ساهمت في تحقيق وحدة الملكية التي جاءت باسم برعوي الذي صار فيما بعد فرعون.

ويقول المستشرق الفرنسي رينان: إن هذه اللغة التي لم يعرف مصدرها، تتقدم لنا- بصورة مفاجئة- كلغة متقنه، وفي كلمة واحدة لغة كاملة، ومنذ هذا التاريخ- أي تاريخ مجئ الإسلام- وحتى يومنا هذا، لم يلحق بها أي تحوير مهم، إنها لغة لا تعرف الطفولة ولا الشيخوخة.. ولا أدري هل يوجد مثل لغوي آخر بالعالم شبيه بهذه اللغة، خالية من أوضاع الهجر ومن توسل أو تلمس متردد. إن هناك علاقة دلالية لاسم عرب مع دعوات الأنبياء والرسل، وقد ورد لفظ (عرب) في التوراة أيضاً، في كلمات: عربوث، عربة.

---

[١] لقد قام العرب مرتين بانتشال أوربا من الهمجية والتخلف، في العصور الفينيقية قديماً، وفي الأندلس في العصور الوسطى، فهل كانت أوربا وفيّة للعرب أم إنها تحالفت مع خصومهم لإذلالهم واحتقارهم واستعمارهم؟..

ويقول رينان: إن اللغة العربية موجودة في كل مكـــان بأفريقيـــا، فبفضـــل العربية وجدت حضارات عديدة في أفريقيا وكذلك بعض الآداب العربية.

ويقرّ المؤرخ الأمريكي (وليام لانغر) الحقيقة التاريخية، التي تشير إلـــى قدم العرب ولغة القرآن، في كتابه (موسوعة العالم) ج١ فيقول: وقد انتشـــر عنصر من عناصر البحر المتوسط والصحراء الكبرى، الطويلـــة الـــرؤوس وأقاربهم من العرب والبربر وغيرهم في جنـــوب أوربـــا وشـــمال أفريقيـــا والشرق الأدنى.

ويقول الفيلسوف غوستاف لوبون بما يؤيد فكرة امتـــداد العروبيـــة فـــي العالم، في كتابه (حضارة العرب): إن اللغويات تؤكد لنا بأنه في زمن معين قديم جداً، كانت المساحات الواسعة في القوقـــاز وجنـــوب جزيـــرة العـــرب مسكونة بجنس واحد، أي بشعوب كانت تتكلم لغة واحدة. والجـــنس الـــذي يقصده لوبون هو الجنس العربي طبعاً، واللغة هي اللغة العربية.

يقول المؤرخ الفرنسي بيير روسي: كل شيء يمكن أن يكون بسيطاً، لـــو أننا بدل أن نتحدث عن الساميين – الأبطـــال الـــوهميين الـــذين صـــنعتهم الأساطير التوراتية – نتحدث عن العرب، عن الشعب الذي وجد في الواقـــع، له كيان اجتماعي وثقافي ولغوي دائم، الشعب الذي منح الحيـــاة والتـــوازن للبحر المتوسط منذ آلاف السنين.

# ٣–قصة إسلام الفيلسوف الأمريكي الدكتور جريميا:

أما قصة إسلام الدكتور الأمريكي جريميا، فيحدثنا هو عنها وعن مدى تأثره بالقرآن، كتاب الله الخالد، وكيف قصّ القرآن له وأقنعه بالسيرة الحقيقية الرائعة لأنبياء الله، والتي كان يفتقرها في كتب اللاهوت والتاريخ التي درسها سابقا، فيقول: لن أنسى أبداً ذلك اليوم.. ما زال بوسعي أن أتصور ما قد جرى، حين حصلت على ترجمة للقرآن.. لم أكن أدر أن حياتي ونظرتي للعالم ستتغيران...وأني أنا نفسي سأتغير..

لقد قرأت ترجمة القرآن بأكملها في جلسة واحدة.. من أولى صفحاته أخذ بلبي.. كانت بدايته وتسمى (الفاتحة) عبارة عن دعاء. لقد أحببتها فوراً كدعاء. لقد كانت –في الحقيقة– ما كنت سابقاً قد دعوته: أنت الله رب العالمين. إهدني. اجعلني مع الذين تحبهم. وفي بداية السورة الثانية، يعطي القرآن وصفاً لأولئك الذين يخاطبهم ذلك الكتاب: أناس يؤمنون بالله. يقيمون الصلاة. ويؤتون الزكاة. ويؤمنون بالرسل الذين أرسلوا إلينا. ويقول القرآن أنه حقاً من عند الله، لا شك فيه. هدى للمتقين.

لقد كان ذلك ما كنت أريده منذ سنوات. هكذا فوراً. كان يكلمني مباشرة كفرد. لم يكن مجرد نص قديم عمره ١٤٠٠ سنة. لقد أسرني حقاً ولم يدعني. عندما أخذت أقرأ. بدأت فكرةٌ بالتشكل، ثم اندفعتْ تتخلل عقلي مراراً وتكراراً: آه يا الهي! ..انه من عند الله. شعرت كأن رأسي يضربه لوح خشبي أو طوب بعنف. لقد كنت مذهولاً. انه حقيقي. إنه.. وحي مباشر..انه حقاً كلام الله. يا الهي! أنه من الله فعلاً!.. تخيل كم هو أمر غير عادي وخيالي أن ترى شخصاً ما، اندفع فعلاً يسبح في الهواء ويطير أمام عينيك؟ أو انك فعلاً رأيت معجزةً بأم عينيك؟ لا بد أن نظرتك للعالم ستتغير

بالضرورة، بعد تجربة استثنائية كتلك. إن ما حدث لي عندما قرأت القــرآن كان أكثر من ذلك. إن القرآن لم يؤكد لي المسائل التي كنت قد فكرت فيهــا سابقاً وحسب، بل أكمل أفكاراً ومفاهيم، كنت قد أدركتها على نحو غامض.. كما كشف لي القرآن عن عالم جديد بأكمله، من المعاني والإمكانيــات. لقــد شعرت فجأة..كما لو أني أقف أمام مشهد جديد برمته.. عالم جديد كليــاً.. عالم ساحر ومذهل تماماً.. كان الدليل البيّن يغمر قلبي وروحي وعقلي، بأن هذا الكتاب هو -في الحقيقة- بالضبط كما يدعي. وأنه الحق من الله تعــالى نفسه. ولقد استوقفني مفهوم خاص يؤكد أن القرآن هو كتاب معاصر.. كــل ما يتعلق به هو متألق فعلاً!.. أن القرآن هو فعلاً "لليوم" انه حقاً "للغد". مــا زلت مذهولاً من كل ما جرى.. ليس فقط لأني أصبحت مسلماً.. بل -وأيضاً- من الدعاء الذي استُجيب حقاً، عن طريق لقائي غير المتوقع بالقرآن وسنة النبي محمد ﷺ.

إن الإسلام بالفعل هو الأكمل..انه ببساطة مذهل ورائع، مثل عمــل فنــي.. مفعم بالقوة والنشاط، نابض بالحياة. متألق كيفما ظهر، ناضج.. لا سحر فيه ولا خرافة. انه دين باهر.. ماذا بوسعي أن أقول، غير الحمد لله، وســبحان الله؟.. لا شيء آخر يمكن أن يقال!.. الحمد لله[١]

وأخيراً وليس آخراً تقول الكاتبة الأمريكية كاريما بيرنز عن جمــال اللغــة العربية وجمالية الخط العربي: جلست في قصــر الحمــراء فــي غرناطــة بأسبانيا، أحدق في الخطوط المكتوبة على أطراف الجدران. كانت تلك أجمل

---

[١] انظر كتاب: الانتماء الحضاري والهوية الثقافية، ص ١٧٦، وكتاب: عولمــة اللغــة والتــاريخ، ص ٢١٨/ للمؤلف. وانظر كتاب: كيف أسلمت .. وثائق وشهادات مترجمة/ ترجمة وإعــداد هالــة صــلاح الدين اللولو، ص ٧٥. وقد نشر هذا المقال مختصراً في مجلة الوعي الإسلامي/ العدد ٥١٩.

وانظر كذلك الموقع على الشابكة (الانترنت):

www.islamfortoday.com/converts.htm

**لغة أشاهدها على الإطلاق. ما هذه اللغة؟.. سألت أحد السـواح الأسـبان، فقال: العربية. لقد كانت حقيبتي في نهاية الرحلة السياحية مكتظة بالكتيبات السياحية المكتوبة باللغة العربية، وكانت كما لو أنها صيغت من ذهب .. لقد كنت أفتحها كل ليلة، وأنظر إلى حروفها وهي تتدفق عبر الصفحات. وحدثت نفسي قائلة: لابد أن هنالك شيئاً جديراً بالمعرفة في الثقافة التي خطتها لغة فائقة الجمال كهذه.. وعاهدت نفسي على تعلم تلك اللغة عندما أبدأ دراستي في الجامعة.. وكانت تلك أولى الخطوات التي قادتني إلـى الإسـلام وحـب العرب واللغة العربية.[1] فأسلمت الآن والحمد لله رب العالمين.**

---

[1] انظر الموقع الالكتروني على الشابكة (الإنترنت):
www.islamfortoday.com/karimaburns.Htm

# ٤- قصة إسلام المفكر والكاتب الأمريكي الدكتور جيفري لانغ

يتحدث الدكتور جيفري عن قصة إسلامه فيقول: لقد كانت غرفة صغيرة، ليس فيها أثاث ما عدا سجادة حمراء، ولم يكن ثمة زينة على جدرانها الرمادية، وكانت هناك نافذة صغيرة يتسلّل منها النور.. كنا جميعاً في صفوف، وأنا في الصف الثالث، لم أكن أعرف أحداً منهم، كنا ننحني على نحو منتظم فتلامس جباهنا الأرض، وكان الجو هادئاً، وخيم السكون على المكان، نظرت إلى الأمام فإذا شخص يؤمّنا واقفاً تحت النافذة، كان يرتدي عباءة بيضاء.. استيقظت من نومي!. لقد رأيت هذا الحلم عدة مرات خلال الأعوام العشرة الماضية، وكنت أصحو على أثره مرتاحاً.

في جامعة (سان فرانسيسكو) تعرفت على طالب عربي كنت أُدرِّسُهُ ، فتوثقت علاقتي به، وأهداني نسخة من القرآن، فلما قرأته لأول مرة شعرت كأن القرآن هو الذي "يقرأني"!.

وفي يوم عزمت على زيارة هذا الطالب في مسجد الجامعة، هبطت الدرج ووقفت أمام الباب متهيباً الدخول، فصعدت وأخذت نفساً طويلاً، وهبطت ثانية لم تكن رجلاي قادرتين على حملي! مددت يدي إلى قبضة الباب فبدأت ترتجف، ثم هرعت إلى أعلى الدرج ثانية.. شعرت بالهزيمة، وفكرت بالعودة إلى مكتبي.. مرت عدة ثوانٍ كانت هائلة ومليئة بالأسرار اضطرتني أن أنظر خلالها إلى السماء، لقد مرت عليّ عشر سنوات وأنا أقاوم الدعاء والنظر إلى السماء!.. أما الآن فقد انهارت المقاومة وارتفع الدعاء: "اللهم إن كنت تريد لي دخول المسجد فامنحني القوة"، نزلت الدرج، دفعت الباب، كان في الداخل شابان يتحادثان. ردا التحية، وسألني أحدهما: هل تريد أن تعرف

شيئاً عن الإسلام؟. أجبت : نعم، نعم.. وبعد حوار طويـل أبـديت رغبتـي باعتناق الإسلام فقال لي الإمام: قل أشهد، قلت: أشهد، قـال : أن لا إلـه، قلت: أن لا إله – لقد كنت أؤمن بهذه العبارة طوال حياتي قبـل اللحظـة – قال: إلا الله، رددتها، قال: وأشهد أن محمداً رسول الله، نطقتها خلفه.

لقد كانت هذه الكلمات كقطرات الماء الصافي تنحدر فـي الحلـق المحتـرق لرجل قارب الموت من الظمأ.. لن أنسى أبداً اللحظـة التـي نطقـت بهـا بالشهادة لأول مرة، لقد كانت بالنسبة إليّ اللحظة الأصعب في حياتي، ولكنها الأكثر قوة وتحرراً. بعد يومين تعلمت أول صلاة جمعة، كنـا فـي الركعـة الثانية، والإمام يتلو القرآن، ونحن خلفه مصطفون، الكتف على الكتف، كنا نتحرك وكأننا جسد واحد، كنت أنا في الصف الثالـث، وجباهنـا ملامسـة للسجادة الحمراء، وكان الجو هادئاً والسكون مخيماً على المكان!!.. والإمام تحت النافذة التي يتسلل منها النور يرتدي عباءة بيضـاء!.. صـرخت فـي نفسي: إنه الحلم!.. إنه الحلم ذاته.. تساءلت: هل أنا الآن في حلم حقـاً ؟!. فاضت عيناي بالدموع، السلام عليكم ورحمة الله، انفتلتُ من الصلاة، ورحت أتأمل الجدران الرمادية! تملكني الخوف والرهبة عندما شـعرت لأول مـرة بالحب، الذي لا يُنال إلا بأن نعود إلى الله"[١].

---

[١] انظر: كتابي الدكتور جيفري: (الصراع من أجل الإيمان) و (حتى الملائكة تسأل). وقد يعجب القارئ من هذا الجَيشان العاطفي للدكتور جيفري، وهو أستاذ الرياضيات! ولكـن متـى كانـت الرياضـيات أو الفيزياء بمعزل عن العاطفة، يقول الفيلسوف برناردشو "من ذا الذي يجرؤ على القول بأن الرياضـيات ليست عواطف؟!" ويقول ألكسيس كارليل: لا غنى عن العاطفة لتَقدُّم العقل، فالحب ينبه العقل عنـدما لا يبلغ هدفه" ويقول غوته "المعرفة ستكون من الإحاطة والعمق بقدر ما يكون الحب، ويقول لافـارج: إن العاطفة تشكل حياة العالم" فالبصيرة والعاطفة تضيء للعقل طريقه. ويقول الإمام محمد عبـده: الـدين

وطبيعي أن تنهال الأسئلة على الدكتور جيفري لانغ من الكثير من الغــربيين والعرب والمسلمين على السواء، باحثة عن سر إسلامه فكان يجيــب: "فـــي لحظة من اللحظات الخاصة في حياتي، منّ الله بواسع علمه ورحمته علـــيّ، بعد أن وجد فيّ ما أكابد من العذاب والألم، وبعد أن وجــد لــدي الاســتعداد الكبير إلى مَلء الخواء الروحي في نفسي، فأصبحت مسلماً.. قبل الإسلام لم أكن أعرف في حياتي معنى للحب، ولكنني عندما قرأت القرآن شعرت بفيض واسع من الرحمة والعطف يغمرني، وبدأت أشعر بديمومة الحب في قلبـــي، فالذي قادني إلى الإسلام هو محبة الله التـــي لا تقــاوَم"[١]. "الإســـلام هــو الخضوع لإرادة الله، وطريق يقود إلى ارتقاء لا حدود له، وإلى درجــات لا حدود لها من السلام والطمأنينة.. إنه المحرك الحقيقي للقــدرات الإنســـانية جميعها، إنه التزام طوعي للجسد والعقل والقلب والروح"[٢].

"القرآن هذا الكتاب الكريم قد أسرني بقوة، وتملّك قلبي، وجعلنـــي أستســـلم لله، والقرآن يدفع قارئه إلى اللحظة القصوى، حيث يتبدّى للقارئ أنه يقف بمفرده أمام خالقه[٣]، وإذا ما اتخذت القرآن بجدية فإنه لا يمكنك قراءته ببساطة، فهو يحمل عليك، وكأن له حقوقاً عليك!. وهو يجادلك، وينتقدك ويُخجلك ويتحــداك.. لقد كنت على الطرف الآخر، وبدا واضحاً أن مُنزل القرآن كان يعرفني أكثر مما أعرف نفسي.. لقد كان القرآن يسبقني دومـــاً فـــي تفكيـــري، وكـــان يخاطـــب

---

الكامل علم وذوق وفكر ووجدان، فلا فرق بين العقل والوجدان، في الوجهة! فهما عينان للإنسان ينظـــر بهما

[١] حتى الملائكة تسأل/ د. جيفري لانغ ص ٢١١-٢٨٠.

[٢] حتى الملائكة تسأل/ د. جيفري لانغ، ص ٧٥.

[٣] حتى الملائكة تسأل/ د. جيفري لانغ، ص ٢٠٩.

تساؤلاتي.. وفي كل ليلة كنت أضع أسئلتي واعتراضاتي، ولكنني كنت أكتشف الإجابة في اليوم التالي.. لقد قابلت نفسي وجهاً لوجه في صفحات القرآن.."[1] .

"بعد أن أسلمت كنت أُجهد نفسي في حضور الصلوات كي أسمع صوت القراءة، على الرغم من أني كنت أجهل العربية، ولما سُئلت عن ذلك أجبت: لماذا يسكن الطفل الرضيع ويرتاح لصوت أمه؟ أتمنى أن أعيش تحت حماية ذلك الصوت إلى الأبد"[2] . "الصلاة هي المقياس الرئيس اليومي لدرجة خضوع المؤمن لربه، ويا لها من مشاعر رائعة الجمال، فعندما تسجد بثبات على الأرض تشعر فجأة كأنك رُفعت إلى الجنة، تتنفس من هوائها، وتشتمّ تربتها، وتتنشق شذا عبيرها، وتشعر وكأنك توشك أن ترفع عن الأرض، وتوضع بين ذراعي الحب الأسمى والأعظم"[3] .

"وإن صلاة الفجر هي من أكثر العبادات إثارة، فثمة دافع ما في النهوض فجراً – بينما الجميع نائمون – لتسمع موسيقا القرآن تملأ سكون الليل، فتشعر وكأنك تغادر هذا العالم وتسافر مع الملائكة لتمجّد الله عند الفجر"[4] .

يناجي د. جيفري لانغ ربه بخشوع وعمق تذرع في إحدى نجاواه لله فيقول: "يا ربي إذا ما جنحتُ مرة ثانية نحو الكفر بك في حياتي، اللهم أهلكني قبل

---

[1] الصراع من أجل الإيمان/ د. جيفري لانغ، ص ٣٤.

[2] الصراع من أجل الإيمان/ د. جيفري لانغ، ص ١٢٠.

[3] حتى الملائكة تسأل/ د. جيفري لانغ، ص ٣٦٦.

[4] الصراع من أجل الإيمان/ د. جيفري لانغ، ص ١١١.

**ذلك وخلصني من هذه الحياة. اللهم إني لا أطيق العيش ولو ليوم واحد من غير الإيمان بك"[1] .**

[1] حتى الملائكة تسأل/ د. جيفري لانغ، ص ٢٣٤.

## ٥- قصة إسلام الأمير والكاتب البريطاني اللورد هيدلي

كان الدعية عبد الله كويام أول مسلم إنجليزي دعا إلى الإسلام، وقد أسلم على يديه اللورد هيدلي، واللورد ستانلي أولدرلي، وأصدر كتاب (العقيدة الإسلامية)، وقد لقي عبد الله بعد إسلامه من الأذى الكثير الكثير!..

فيتحدث عن تلك المعاناة في هذه الصورة التي يرسمها لنا فيقول:

"ومما أوذينا به أن أولئك الأشرار كانوا يلقون الأقذار على المصلين في أثناء الصلاة، وينثرون الزجاج المكسور على السجاد ليجرحوا جباهنا! ولقد دخلت المسجد مرة أنا وإخواني لأُلقي عليهم محاضرة، فرأيت في المسجد وجوهاً غريبة سبقتنا، فلم أبال بهم وشرعت في تلاوة وتفسير آيات من القرآن، فلما انتهيت من المحاضرة قام أحد أولئك المريبين وأخرج من جيبه حجارة وألقاها على الأرض، وقال لأصحابه: من كان منكم يريد أن يرجم المسلمين بالحجارة فليرجمني معهم فأنا مسلم، فألقوا حجارتهم وأعلنوا إسلامهم! وهذا الرجل الذي كان رئيساً لهم، ما لبث أن صار عضدي الأيمن وتسمى بـ (جمال الدين)"[١].

ومن هؤلاء الأبطال الذين هدى الله قلبهم للإسلام، على يد هذا الداعية الفارس والراحلة الذي لم يترجل في بلاد الغرب وفي الجزيرة الانكليزية، حتى توفاه الله سبحانه، من ثمار دعوته المبكرة كان اللورد هيدلي.. فمن هو هذا الرجل وما قصة إسلامه على الحقيقة والتفصيل؟.

إن للقرآن أثراً ساحراً وعجيباً على النفوس، حين تكون متجردة وباحثة عن الحقيقة، وتكون في حالة تأمل وتفكر لما حولها من عقائد وثقافات. وقصة

---

[١] انظر: النهضة الإسلامية في سير أعلامها/ د. محمد رجب البيومي-١/١١٠.

اللورد هيدلي من القصص المعبرة لرجل عالم ومفكر متجرد قاده تجرده لنقد دينه الذي ولد فيه وعاش في كنفه واتجه نحو نور القرآن وهديه، رغم انه كان من أمة غالبة ومهيمنة على السياسة العالمية، وكان الإسلام آنذاك تدين به أمة مغلوبة للإمبراطورية البريطانية في الهند ومصر والمشرق عموماً، حيث كانت الشمس لا تغيب عن بريطانيا العظمى والأراضي التابعة لها، واستمرت تلك الهيمنة لعدة قرون، بدءً من القرن الثامن عشر حتى منتصف القرن العشرين. ومع ذلك كانت شجاعة اللورد هيدلي وإخلاصه وتجرده مع نفسه، من أهم أسباب تأثره بالقرآن واعتناقه الإسلام في مطلع القرن العشرين.

وقال تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾[1]

المهندس اللورد هيدلي: وهو من أغنى البريطانيين، ومن أرفعهم حسباً، درس الهندسة في كامبردج، أسلم وأصدر مجلة (The Islamic Reneu) وأصدر كتاب (إيقاظ العرب للإسلام) و (رجل غربي يصحو فيعتنق الإسلام)، وقد كان لإسلامه صدى كبير في إنكلترا . يقول هيدلي في معرض الكلام عن قصة إسلامه: "لا ريب إن أسعد أيام حياتي هو اليوم الذي جاهرت فيه على رؤوس الأشهاد بأنني اتخذت الإسلام ديناً [(٢)]، فإذا كنت قد ولدت مسيحياً، فهذا لا يحتم عليّ أن أبقى كذلك طوال حياتي، فقد كنت لا أعرف كيف أستطيع أن أؤمن بالمبدأ القائل: إذا لم تأكل جسد المسيح، وتشرب دمه، فلن تنجو من عذاب جهنم الأبدي! إنني بإسلامي أعتبر نفسي أقرب إلى النصرانية الحقة مما كنت من قبل ، ومن يعادي النصرانية الحقة فلا

---

[1] سورة محمد/ ٢٤.

[(٢)] آفاق جديدة للدعوة الإسلامية/ أنور الجندي ص١٣٩.

أمل فيه.. لم أولد في الخطيئة، ولست مولود سخط وغضب، ولا أحب أن أكون مع الخاطئين [(١)] .. لقد تملك الإسلام لبي حقاً، وأقنعني نقاؤه، فأصبح حقيقة راسخة في عقلي وفؤادي، اذ التقيت بسعادة وطمأنينة ما رأيتهما قط من قبل [(٢)] " .

"بما أننا نحتاج إلى نموذج كامل ليفي بحاجاتنا في خطوات الحياة، فحياة النبي تسد تلك الحاجة، فهي كمرآة نقية تعكس علينا الأخلاق التي ينبغي أن تكون عليها الإنسانية، ونرى ذلك فيها بألوان وضاءة [(٣)] .. خذ أي وجه من وجوه الآداب، تتأكد بأنك تجده موضحاً في إحدى حوادث حياة الرسول ﷺ".

"الإسلام هو الدين الذي يجعل الإنسان يعبد الله حقيقة مدى الحياة !.. لا في أيام الآحاد فقط.. أصبحت كرجل فر من سرداب مظلم إلى فسيح من الأرض تنيره شمس النهار، وأخذ يستنشق هواء البحر النقي الخالص" [(٤)] .

لقد كان اللورد هيدلي أميراً بريطانياً بارزاً إذ كان سليل العائلة المالكة في بريطانيا، وكان سياسياً وكاتباً مرموقاً. أكمل تعليمه الجامعي في جامعة كامبرج كما ذكرنا، ثم أصبح أميراً في عام ١٨٧٧م. وخدم في الجيش البريطاني وترقى إلى رتبة مقدم. وعلى الرغم من كونه مهندساً بحكم المهنة، فقد كان يتمتع بأذواق أدبية واسعة. وشغل وظيفة رئيس تحرير

---

(١) موسوعة (النهضة الإسلامية)/ د. محمد رجب البيومي (١ / ١٢٠) .

(٢) الإسلام في قفص الاتهام/ الدكتور شوقي أبو خليل، ص١٦.

(٣) انظر: رجاء غارودي وحضارة الإسلام، ص ٩، نقلاً عن كتاب: ربحت محمداً ولم أخسر المسيح/ د. عبد المعطي الدالاتي.

(٤) رجاء غارودي وحضارة الإسلام، ص ٨.

جريدة (سولزبوري)، كما كان مؤلفاً لعدد من الكتب. ولد اللورد هيدلي في عام ١٨٥٥م.. وأعتنق الإسلام في سنة ١٩١٣م وأتخذ لنفسه أسماً مسلماً هو رحمة الله الفاروق. وكان كثير الأسفار والترحال، وقد قام بزيارة للهند في عام ١٩٢٨. ويؤكد اللورد هيدلي إعجابه بشخصية النبي محمد بقوله: إن محمداً هو الوحيد بين جميع الأنبياء الذي استطاع أن يستغني عن مدد الخوارق والمعجزات المادية معتمداً فقط على بداهة رسالته ووضوحها وعلى بلاغة القرآن الإلهية، وإن في استغناء محمد عن مدد الخوارق والمعجزات لأكبر معجزة على الإطلاق.

ويتحدث اللورد هيدلي عن قصة إسلامه فيقول:
ربما يظن البعض أنني تأثرت بالمسلمين الذين عشت معهم، إلا أن ذلك ليس السبب الحقيقي لاعتناقي الإسلام. إذ أن معتقداتي الحاضرة ليست إلا ثمرة تفكير وتأمل استمر سنوات عديدة. ولم تبدأ مناقشاتي الفعلية مع المثقفين المسلمين في موضوع الدين إلا منذ بضعة أسابيع خلت. ولست بحاجة إلى القول بأنني سعيد غاية السعادة إذ أجد أن جميع نظرياتي واستنتاجاتي، تتفق تماماً مع ما جاء به الإسلام. ينص القرآن الكريم على أن الاتجاه إلى اعتناق دين جديد لا بد أن يكون نابعاً من الاختيار الحر والحكم الذاتي الطبيعي ﴿لا إكراه في الدين﴾ وهذا ما أشار إليه السيد المسيح ﷺ حين قال لأنصاره، كما ورد في إنجيل مرقص ٦-٢: (ولكل إنسان الحق في عدم استقبالكم والامتناع عن سماعكم عندما ترحلون إلى هناك).
إنني أعرف أمثلة كثيرة جداً قام فيها رجال من البروتستانت المتحمسين وظنوا أن من واجبهم زيارة منازل الروم الكاثوليك، بغية كسب سكانها إلى

الديانة البروتستانتية [1] وهذا التصرف المزعج المنافي لآداب الجوار يعتبر بطبيعة الحال شنيعاً للغاية، وقد أدى – في أحيان كثيرة – إلى إساءة المشاعر، كما أثار النزاع وكاد يصم الدين بالاحتقار والسخرية. ويؤسفني أن أذكر أن المبشرين النصارى قد سلكوا هذا المسلك كذلك مع إخوانهم المسلمين. ولكن لست أدري لماذا يسعى هؤلاء إلى تنصير من هم أنصار لعيسى عليه السلام أكثر منهم أنفسهم؟.. أقول هذا عن علم ويقين، لأن ما تتميز به العقيدة الإسلامية من إحسان وتسامح وسعة أفق أقرب إلى تعاليم عيسى عليه السلام من المعتقدات الضيقة الأفق التي تنادي بها الكنائس النصرانية المختلفة.

ولنضرب مثالاً لذلك بالعقيدة الأثناسية – ( Athnasian-Creed) – التي تتناول مبدأ الثالوث بطريقة محيّرة للغاية. فهذه العقيدة التي تعتبر في غاية الأهمية لمعالجتها لمبدأ أساسي من مبادئ الكنائس، تصرح بوضوح تام أنها تمثل العقيدة الكاثوليكية، وأننا إذا لم نصدقها فسوف نموت ونخسر إلى الأبد. ثم نسمع أننا لا بد أن نتدبر مبدأ التثليث إذا أردنا الخلاص. وبعبارة أخرى علينا أن نتأمل فكرة إله نخلع عليه صفة الرحمة والقوة، وفي الوقت نفسه نتهمه بالظلم والقسوة، وهي صفات ننسبها إلى أشد الطغاة المتعطشين للدماء من بني الإنسان. كأن الله العلي الكبير وهو الأول والمهيمن، يمكن أن يتأثر – بصورة من الصور – برأي الإنسان الفاني المسكين في مبدأ التثليث. خذ مثالاً آخر يدل على قلة الإحسان. تلقيت رسالة تناولت مَيْلي إلى الإسلام يخبرني فيها مرسلها، أنني إذا لم أؤمن بألوهية المسيح فلا سبيل

---

[1] البروتستانتية معناها المعارضة، وهي طائفة دينية انشقت عن المسيحية على يد مارتن لوثر، وخارجة على المسيحية التقليدية أي طائفة الروم الكاثوليك.

إلى نجاتي. لم يحدث قط أن ظهرت لي مسألة إلوهية المسيح مــن الأهميــة بمكان بحيث توازي القضية التالية: (هل بلّغ المسيح رسالة ربه للناس؟) لو كنت أرتاب في ذلك فلا بد أن أعاني كثيراً من القلق ولكني والحمد لله معافى من كل ريب. وآمل أن يكون إيماني بالمسيح وتعاليمه الملهمة قوياً راســخاً كإيمان أي مسلم أو نصراني آخر. وكما ذكرت وكررت كثيراً مــن قبــل: أن الإسلام والنصرانية التي جاء بها المسيح نفسه ﷺ توأمان لا يفصل بينهما إلا بعض التعاليم والاصطلاحات التي يمكن نبذها جانباً عن طيب خاطر.

عندما يطلب إلى الناس الإيمان بمعتقدات جامدة متعصبة نجدهم يميلون إلى الإلحاد. ولكن مما لا شك فيه أن في صدورهم حنين إلى دين يتماشــى مــع العقل والعواطف الإنسانية. فهل سمعتم بمسلم يرتد إلى ملحد؟.. ربما توجــد بعض الحالات الشاذة، ولكني أشك في ذلك كثيراً.

أعتقد أن هناك آلافاً من الرجال والنساء مسلمون في أعماق قلوبهم، ولكــن التقاليد والخوف من التعليقات الشديدة، والرغبة في تجنب كــل إزعــاج أو تغيير، تتضافر كل هذه الأمور للحيلولة دون تصريحهم بالحقيقة الواقعة على رؤوس الأشهاد. وإنني إذ أتخذ هذه الخطوة – خطوة إعلان إسلامي – أعلم تماماً أن كثيراً من أصدقائي وأقاربي ينظرون إلــيّ – متــوهمين – أننــي خسرت روحي وأنه لا أمل في الدعاء لي، مع أنني ما زلت أؤمــن بــنفس العقائد التي آمنت بها منذ عشرين عاماً ولكن النطق الصريح بحقيقة أمــري هو الذي أفقدني رأيهم الحسن..

بعد بيان بعض الأسباب التي من أجلها اعتنقت تعــاليم الإســلام، وبعــد أن شرحت للقراء أنني أعتبر نفسي بذلك العمل أقرب إلى النصرانية الحقة مما كنت من قبل، فكلي أمل في أن يحذو الآخرون حذوي. فهي قدوة إلى الخيــر

**تجلب السعادة لكل من يعتبر من هذه الخطوة ويفهم أنها خطوة إلى الأمـــام. أما من يعادي النصرانية الحقة فلا أمل فيه.[1]**

---

[1] انظر كتاب: اخترنا الإسلام (Islam Our Choice) طبع باكستان.

# ٦- قصة إسلام العالم الفرنسي د.موريس بوكاي

## (بسبب اكتشاف جثة فرعون الخروج وإنقاذ بدنه)

في مطلع الثمانينيات من القرن الماضي، طلبت فرنسا من مصر استضافة مومياء الفرعون رمسيس الثاني، لإجراء اختبارات وفحوصات أثرية وترميمات طبية على جثته.. فتم نقل جثمانه إلى باريس.. وهناك وعند سلم الطائرة: اصطف الرئيس الفرنسي ميتران منحنياً هو ووزراؤه وكبار المسئولين الفرنسيين ليستقبلوا هذا الفرعون، وعندما انتهت مراسيم الاستقبال الملكي له على أرض فرنسا.. حُملت مومياء الفرعون رمسيس الثاني بموكب لا يقل حفاوة عن استقباله.. وتم نقله إلى جناح خاص في مركز الآثار الفرنسي، ليبدأ بعدها أكبر علماء الآثار في فرنسا وأطباء الجراحة والتشريح دراسة تلك المومياء واكتشاف أسرارها.. وكان رئيس الجراحين والمسئول الأول عن دراسة هذه المومياء هو البروفيسور: (موريس بوكاي).. لقد كان المعالجون مهتمين بترميم المومياء.. بينما كان اهتمام موريس هو محاولة أن يكتشف: كيف مات هذا الملك الفرعوني!.. فجثة رمسيس الثاني ليست كباقي جثث الفراعين التي تم تحنيطها من قبل.. فقد كانت وضعية (الموت) عنده غريبة.. وقد فجيء المكتشفون (عندما قاموا بفك أربطة التحنيط) بيده اليسرى تقفز فجأة للأمام!!!.. أي أن من قاموا بتحنيطه (أجبروا) يديه على الانضمام لصدره، كباقي الفراعين الذين ماتوا من قبل!.. فما السر في ذلك الوضع يا ترى؟. وفي ساعة متأخرة من الليل.. ظهرت النتائج النهائية للبروفيسور موريس: لقد كانت بقايا الملح العالق في جسد الفرعون.. مع صورة عظامه المكسورة بدون تمزق الجلد.. والتي أظهرتها أشعة إكس.. لقد كان ذلك التشخيص من الدلائل القوية على

أن الفرعون مات غريقاً!!!.. وأنه قد تكسرت عظامه دون اللحم بسبب قـوة انضغاط الماء!.. وأن جثته استخرجت من البحر بعد غرقه فورا.. ثم أسـرع المختصون من حاشيته بتحنيط جثته لينجو بدنه وتبقى الجثة المحنطة لآلاف السنين دليلاً على النجاة البدنية رغم حالة الغرق!..

والغريب أنهم استطاعوا أيضا تفسير الوضـعية الغريبـة ليـده اليسـرى الموضوعة على صدره قسراً.. وذلك أنه كان يمسك لجام فرسه أو السـيف بيده اليمنى.. ودرعه باليد اليسرى.. وأنه في وقت الغرق.. ونتيجـة لشـدة المفاجأة وبلوغ حالاته العصبية لذروتها ساعة الموت ودفعه الماء بدرعه.. تشنجت يده اليسرى وتيبست على هذا الوضع!!!.. فاستحالت عودتها بعـد ذلك لمكانها مرة أخرى، كما هو معروف طبيا.. أي أن ذلك يشابه تماماً مـا يعرفه الطبيب الشرعي من حالة تيبس يد الضحية وإمسـاكها بشـيء مـن القاتل.. كملابسه أو شيء مما يخصه (مثلاً)!.. لكن أمراً غريباً كان مـا زال يحير البروفيسور موريس.. ألا وهو: كيف بقيت هذه الجثة أكثر سلامة مـن غيرها رغم أنها استُخرجت من البحر؟!..

لقد كان موريس بوكاي يعدّ تقريراً نهائياً عما كان يعتقده (اكتشافاً جديداً).. في انتشال جثة فرعون (من البحر).. وكان يحلم بسبق صحفي كبير نتيجـة هذا الاكتشاف!.. حتى همس أحـدهم فـي أذنـه قـائلاً: لا تتعجـل مسـيو موريس... فإن المسلمين يعرفون بالفعل (غرق هذه المومياء)!. وان قرآنهم يخبرهم بذلك منذ ١٤ قرنا!!.. فتعجب البروفيسور من هذا الكلام.. واستنكر بشدة هذا الخبر واستغربه!.. فمثل هذا الاكتشاف لا يمكن معرفته إلا:

* بتطور العلم الحديث وعبر أجهزة حاسوبية حديثة بالغة الدقة..
* ثم (وهو الأهم) أن المومياء تم اكتشافها أصلاً عام ١٨٩٨!..

فازداد البروفيسور ذهولاً وأخذ يتساءل: كيف يستقيم هذا الكلام عقلاً؟..
والبشرية جمعاء – وليس العرب فقط – لم يكونوا يعلمون شيئاً عن قيام قدماء المصريين بتحنيط جثث الفراعنة أصلاً إلا قبل عقود قليلة فقط من الزمان!.. جلس موريس بوكاي ليلته محدقاً بجثمان الفرعون.. وهو يسترجع في ذهنه ما قاله له صاحبه من أن قرآن المسلمين: (يتحدث عن نجاة هذه الجثة بعد الغرق) !..
بينما كتابهم المقدس: (يتحدث فقط عن غرق فرعون أثناء مطاردته لموسى عليه السلام دون أن يتعرض لمصير جثمانه)!!.. بل إن أحد اللاهوتيين الغربيين علق على نجاة بدن فرعون في القرآن بسخرية واستهزاء قائلاً: كيف يكون بدن فرعون قد نجا، كما يذكر القرآن في سورة يونس، وهو قد غرق في أعماق البحر وأصبح طعاماً لعجول البحر!.. وأخذ بوكاي يقول في نفسه: هل يُعقل أن يكون هذا المحنط أمامي هو فرعون الذي كان يطارد موسى بالفعل؟. وهل يُعقل أن يعرف محمدهم هذه الحقيقة قبل أكثر من ألف عام ؟!.. لم يستطع موريس أن ينام ليلتها.. وطلب أن يأتوا له بالتوراة (العهد القديم).. فأخذ يقرأ فيها: 'فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذي دخل وراءهم في البحر..ولم يبق منهم ولا أحد..'
وبقي موريس بوكاي حائراً.. فحتى الإنجيل لم يتحدث عن نجاة هذه الجثة وبقائها سليمة.. فلا التوراة ولا الإنجيل ذكر مصير جثة فرعون!..
وبعد أن تمت معالجة جثمان فرعون وترميمه أعادت فرنسا لمصر المومياء.. ولكن موريس لم يهنأ له قرار ولم يهدأ له بال، منذ أن هزه الخبر الذي يتناقله المسلمون عن سلامة هذه الجثة.. فحزم أمتعته وقرر السفر لبلاد المسلمين لمقابلة عدد من علماء التشريح المسلمين.. وهناك

كان أول حديث تحدثه معهم عما اكتشفه من نجاة جثة فرعون بعد الغرق!.. فقام أحد المسلمين وفتح له المصحف وقرأ له قوله تعالى: ﴿فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون﴾[1]

لقد كان وقع الآية القرآنية عليه شديداً.. ورجت له نفسه رجة، ثم سكنت وأسلمت لبارئها، وجعلته يقف أمام الحضور ويصيح بأعلى صوته:

لقد دخلت الإسلام وآمنت بهذا القرآن أنه من عند الله!..

ثم رجع موريس بوكاي إلى فرنسا بغير الوجه الذي ذهب به!.. وهناك مكث سبع سنوات ليس لديه شغل يشغله سوى دراسة: مدى تطابق الحقائق العلمية والمكتشفة حديثا مع القرآن الكريم!.. بل لقد اجتهد في البحث عن تناقض علمي واحد مما يتحدث به القرآن فلم يجد.. فخرج بعدها بنتيجة قوله تعالى:

﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[2]

فكانت ثمرة هذه السنوات التي قضاها، أن خرج بتأليف كتاب عن القرآن الكريم هزّ العالم عموماً وأوربا خاصة.. وجعل الكثير ممن جاء بعده يقف أمام كتاب الله العزيز احتراماً وتقديساً، وكان سبباً في هداية الكثير من الغربيين إلى الإسلام. لقد كان عنوان الكتاب: (القرآن والتوراة والإنجيل والعلم) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة.. ولقد نفدت جميع نسخ الكتاب من أول صدور لها ومن أول طبعة!.. وما زال الطلب عليه

---

[1] سورة يونس/ ٩٢.

[2] سورة فصلت/ ٤٢.

كبيراً في أوروبا وأمريكا حتى وقتنا هذا[1]. فسبحان الله الجبار العزيز العليم.. رب العالمين الرحمن الرحيم.. الذي علم القــرآن. خلــق الإنســان. علمــه البيان.. وعلمه ما لم يعلم، ليري الناس من آياته الباهرة وسننه القــاهرة، في كونه المنظور كما هو في كونه وكتابه المقروء، ما يثبت أفئدة المؤمنين ويبشر نفوس المسلمين بهيمنة كتابه العزيز وإعجازه المبين. قــال تعــالى: ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم، حتى يتبين لهم أنه الحق، أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد . ﴾[2]

[1] انظر للتفصيل: كتاب الظاهرة القرآنية والعقل، ط. بغداد وعمان، وكتاب أقباس من الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ط. بغداد/ للمؤلف. وقد نشر هذا المقال مختصراً في مجلة الــوعي الاســلامي/ العــدد ٥١٨.

[2] سورة فصلت/ ٥٣.

## ٧- قصة إسلام الرسام والمفكر الفرنسي إيتان دينيه:

الفونس إيتان دينيه، من كبار الفنانين والرسامين العالميين، دُوّنت أعماله في معجم (لاروس)، وتزدان جدران المعارض الفنية في فرنسا بلوحاته الثمينة، وفيها لوحته الشهيرة (غادة رمضان).. وقد أبدع في رسم الصحراء. كما ألّف بعد إسلامه العديد من الكتب القيمة، منها كتابه الفذ: (أشعة خاصة بنور الإسلام) وله كتاب (ربيع القلوب) و (الشرق كما يراه الغرب) و (محمد رسول الله) و (الحج إلى بيت الله الحرام)..

وقد أحدثت كتبه دويّا في دوائر المستشرقين. يقول دينيه: " لقد أكد الإسلام من الساعة الأولى لظهوره أنه دينٌ صالحٌ لكل زمان ومكان، إذ هو دين الفطرة، والفطرة لا تختلف في إنسان عن آخر، وهو لهذا صالح لكل درجة من درجات الحضارة[١]... قال تعالى: ﴿فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون. ﴾[٢]

وبما أن دينيه كان فناناً موهوباً، فقد لفت نظره الجانب الجمالي والذوق الرفيع للحياة النبوية، فنراه يقول:

لقد كان النبي يُعنى بنفسه عناية تامة، وقد عُرف له نمط من التأنق على غاية من البساطة، ولكن على جانب كبير من الذوق والجمال.

إن حركات الصلاة منتظمة تفيد الجسم والروح معاً، وذات بساطة ولطافة وغير مسبوقة في صلاة غيرها.

---

[١] انظر كتاب محمد رسول الله/ ناصر الدين دينيه، ص٣٤٥.

[٢] سورة الروم/ ٣٠.

تعدد الزوجات ما بين الإسلام والنصرانية: "إن تعدد الزوجات عند المسلمين أقل انتشاراً منه عند الغربيين الذين يجدون لـذة الثمـرة المحرمـة عنـد خروجهم عن مبدأ الزوجة الواحدة!.

وهل حقاً إن المسيحية قد منعت تعدد الزوجات؟!

وهل يستطيع شخص أن يقول ذلك دون أن يأخذ منه الضحك مأخذه؟!

إن تعدد الزوجات قانون طبيعي، وسيبقى ما بقي العالم، إن نظرية الزوجـة الواحدة أظهرت ثلاث نتائج اجتماعية خطيـرة هـي: العـوانس، والبغايـا، والأبناء غير الشرعيين[١].

وُلد دينيه في "باريس" عام ١٨٦١.. وتوفى وقد بلغ من العمر سبعين عاماً وقد احتشد حوله لتوديعه الوداع الأخير عدد كبير من الناس، ومـن كبـار المسئولين وعارفي فضله من أهله ومن غير أهله من ممثلي الشعوب.. وقد دفن في مدينة "بو سعادة" بالجزائر بناء على وصيته..

أحب حياة العرب، وهو ذلك الفنان الكبير، الذي يعد واحداً من كبـار رجـال الفن والتصوير، فهو صاحب اللوحات الكبيرة النفيسة التـي تحـتفظ بهـا المتاحف الفرنسية الكبيرة وغيرها من متاحف العالم، ومن تلـك اللوحـات الشهيرة لوحة باسم "غداة رمضان" في متحف باريس كذلك لوحاته الأخرى التي في "لوكسمبرج" و"سدني" وغير ذلك كثير... وجميع صـوره ولوحاتـه تدل على المقدرة الفنية الكبيرة في دقة التعبير عن الحالات النفسية المختلفة كما يذكر النقاد. كان فناناً يتملكه شعور ديني، فامتزج فيه الفن بالدين، فكان

---

[١] انظر كتاب: رجال ونساء أسلموا/ غوريغورس بن أهرون.اعداد وترجمة د. عرفات كامل العشي.

مثالاً واضحاً للإنسان الملْهَم، غير أنه كان يستولي عليه شعور بالقلق والحيرة من الناحية الدينية.

وكما كان "دينيه" يفكر في لوحاته، كان يفكر في مصيره..

بحث عن علاج لطبيعته الدينية القلقة في النصوص المقدسة، وفي العقائد التي يدين بها الوسط المحيط به... فكر في المسيحية والكنيسة.. وفي البابا المعصوم.. وفي عقيدة التثليث والصلب، والفداء، والغفران.. أخذ يفكر: هل صحيح أن المسيح ابن الله؟.. وهل صُلب ليطهر بني البشر من اللعنة التي حلت بهم بسبب خطيئة آدم؟.. كيف صُلب ليفتدي البشر وهو ابن الله؟".

أعاد قراءة الأناجيل من جديد محاولاً جهده أن يراها تتسم بسمة الحق، فيؤمن بابن الله، ولكنه رأى فيها ما يتنافى مع الصورة المثلى للإنسان الكامل، فضلاً عن الصورة التي تريد المسيحية أن توحي بها... قرأ أقوالاً غريبة في الأناجيل نُسِبتْ للمسيح، من ذلك:

"في اليوم الثالث كان عرس في قانا الجليل، كانت أم يسوع هناك، ودع يسوع تلاميذه إلى العرس ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له: ليس لهم خمر.. قال يسوع: مالي ومالك يا امرأة!"[1]. ومن أقواله التي توجب كراهية الأقرباء: "إن كان أحد يأتي إليَّ ولا يبغض أباه وأمه، وامرأته وأولاده، وإخوته وأخواته، حتى نفسه أيضاً، فلا يقدر أن يكون تلميذاً لي"[2]. كذلك من الأقوال الغريبة التي نسبت للمسيح وقرأها "دينيه".

"وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد، ولا الملائكة الذين في السماء، ولا الابن إلا الأب"[3].

---

[1] إنجيل يوحنا ــ إصحاح ١٢.

[2] إنجيل لوقا ــ إصحاح ١٤.

[3] إنجيل مرقص ــ إصحاح ١٣.

وغير ذلك من نصوص بعثت في نفسه شكوكاً في صحة الأناجيل التي اطلع عليها.. إن الأمر الوحيد الذي لم يشك فيه دينيه هو أن الله قد أنزل الإنجيل على عيسى بلغته ولغة قومه، ولكن هذا الإنجيل ضاع واندثر، ووجد مكانــه "توليفات" أربعة مشكوك في أمرها، يكفي أنها مكتوبة باللغة اليونانية، وهي لغة غريبة عن لغة عيسى الأصلية التي هي لغة ســامية.. وثــار شــعوره الديني على أوضاع مبهمة، وألفاظ غامضة لا يستطيع فهمها، وانتهــى بــه المطاف بعد بحث وجدل ومناظرات طويلة إلى رفض المسيحية، بعد أن تيقن أن المسيحية الحالية ليست هي مسيحية عيسى، بل لا تمت إليه بصلة، اللهم إلا اسماً. ورأى "دينيه" أن يتجه إلى العقل يستمد منه الهداية إلــى الطريــق المستقيم، ولكنه انتهى إلى أن العقل عاجز عن إشباع غريزتــه الدينيــة.. والتفت حوله: ماذا فعل أمثاله ممن شكّوا في المســيحية؟!.. لقــد رأى أن كثيراً منهم قد اتجه إلى الإسلام، فاتجه إليه يستكشفه، فلم يجد ــ بعد دراسة عميقة ــ سوى القرآن، ذلك الكتاب الوحيد الــذي لــم ينلــه التحريــف ولا التبديل، وحاول الاستزادة، فعرف الكثير عن الإسلام بحكم معايشــته للبيئــة الإسلامية، وقد تمخضت هذه المعرفة عن اعتناقه للإسلام باقتناع تام.. بــل تمخض عنه أكثر، قيامه بالدعوة الإسلامية، ووضعه لعدة مؤلفات قيمة مثل "محمد رسول الله" بالاشتراك مع سليمان الجزائري وقام بترجمته إلى العربية الدكتور عبد الحليم محمود، ومحمد عبد الحليم محمــود..، وكتــاب "أشــعة خاصة بنور الإسلام" ترجمه راشد رستم إلى العربية.. "والحج إلى بيــت الله الحرام".. و"الشرق في نظر الغرب"... وغيرها[1].

---

[1] انظر كتاب: الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء/ محمد كامل عبد الصمد.

## ٨- قصة إسلام المفكر النمساوي ليو بولد فايس (محمد أسد)

**ولد ليو بولد فايس Leopold Weiss كما كان اسمه قبل الإسلام، في مدينة ليفو Livow بالنمسا – والتي أصبحت فيما بعد جزء من بولندا – ولد في عام ١٩٠٠ ميلادية. ولما بلغ الثانية والعشرين من عمره قام بزيارة الشرق الأوسط. وأصبح بعد ذلك مراسلاً خارجياً شهيراً لمجلة فرانكفورتر زايتونج Frankfurter Zeitung وبعد دخوله في دين الإسلام تجول واشتغل في سائر أنحاء العالم الإسلامي من شمال إفريقيا غرباً إلى أفغانستان شرقاً. وهو سياسي وصحفي ومؤلف. وقد أصبح ليو بولد (محمد أسد) واحداً من أبرز علماء المسلمين في عصرنا الحاضر، بعد سنوات طويلة من الدراسة الجادة. ولما تم إنشاء دولة باكستان عام ١٩٤٧ م عين مديراً لقسم التعمير الإسلامي في بنجاب الغربية، ثم أصبح ممثل باكستان الدوري لدى الأمم المتحدة. وله مؤلفات عديدة باللغات الألمانية والانجليزية والعربية، ومن أبرز كتبه:الطريق إلى مكة، وقد ترجم إلى العربية بعنوان (الطريق إلى الإسلام) وكتابه الشهير ( الإسلام على مفترق الطرق).. كذلك أصدر مجلة شهرية أسماها (عرفات). ويحدثنا ليو بولد فايس عن جانب من قصة أسلامه، فيقول:**

**في عام ١٩٢٢ تركت وطني الأصلي النمسا، وسافرت عبر أفريقيا وآسيا كمراسل خاص لبعض الصحف الأوربية الهامة. ومنذ ذلك العام وما بعده، قضيت معظم أوقاتي في بلاد الشرق الإسلامي. وكان شغفي بالشعوب التي خالطتها مقتصراً في بادئ الأمر على كوني أجنبياً. فرأيت أمام ناظري نظاماً اجتماعياً وتصوراً للحياة يختلف اختلافاً جذرياً عن النظام الأوربي. وأخذ يكبر في نفسي – منذ الوهلة الأولى – شعور بالتعاطف الوجداني مع التطور الحياتي الإسلامي الأكثر هدوءاً، بل لا بد أن أقول بأنه الأكثر إنسانية، إذا قورن بأسلوب الحياة الخاطف في سرعته، الآلي في طريقته في البلاد**

**الأوربية. وقادني هذا الشعور شيئاً فشيئاُ إلى التنقيب عن الأسباب الكامنة في هذا التباين. فأصبحت مهتماً بالتعاليم الدينية لدى المسلمين. لم يكن ذلك الاهتمام في تلك الآونة على درجة من القوة بحيث يشدني إلى اعتناق الإسلام، ولكنه فتح أمامي زاوية جديدة لمجتمع أنساني متقدم منظم، يتسم بحد أدنى من الصراع الداخلي وحد أقصى من الإحساس الأخوي الصادق. إلا أن واقع الحياة الإسلامية في العصر الحاضر، قد بدا لي بعيداً غاية البعد عن الاحتمالات المثالية التي تزخر بها تعاليم الإسلام. فقد تحول كل ما في الإسلام من تقدم وحركة إلى كسل وركود في أوساط المسلمين. وحل ضيق الأفق والوهن وحب الحياة الهانئة الميسرة محل الكرم والاستعداد للبذل والتضحية.**

**لقد دفعني هذا الاكتشاف وتلك الحيرة الناجمة عن المفارقة الواضحة بين الأمس واليوم، إلى محاولة تناول المشكلة الماثلة أمامي من زاوية أكثر إخلاصاً. فتصورت أنني داخل إطار الإسلام. وكانت هذه تجربة فكرية محضة كشفت لي الحل الصحيح خلال فترة وجيزة. فقد أيقنت أن علّة العلل في انحلال المسلمين من الناحيتين الاجتماعية والثقافية، تتمثل في هجرتهم روح التعاليم الإسلامية. فالإسلام موجود ولكنه في نفوسهم جسد بلا روح، فنفس العنصر الذي تمثلت فيه قوة العالم الإسلامي، قد أصبح اليوم مظنة ضعف هذا العالم. ولقد قام المجتمع الإسلامي بادئ ذي بدء، على أسس دينية مجردة. لذلك كان لزاماً أن يؤدي ضعف الأسس إلى زعزعة البناء الثقافي مما قد يؤدي إلى تلاشيه التام.**

**عجباً لأمر المسلمين! كلما تعمقت في فهم الصفة التطبيقية الملموسة، التي تتميز بها التعاليم الإسلامية كلما اشتد تساؤلي: لماذا هجر المسلمون تطبيق هذه التعاليم في الحياة الواقعية؟ لقد بحثت هذه القضية مع كثير من المفكرين المسلمين في معظم الأقطار التي تقع بين الصحراء الليبية والبامير** Pamirs **وبين مضيق البوسفور وبحر العرب، حتى غدت هذه**

القضية بمثابة عقدة تغلغلت في نهاية المطاف، في كافة اهتماماتي الفكريـــة الأخرى في عالم الإسلام. ثم اشتدت وطأة هذا التساؤل واطردت حتى أخذت أنا الرجل غير المسلم في بحثها مع المسلمين وكأن من واجبي أن أدفع عن الإسلام إهمالهم وتكاسلهم. كان هذا التقدم غير محسوس بالنسبة لي، إلـــى أن كان يوم من أيام خريف عام ١٩٢٥ عندما كنت في جبال أفغانســتان، إذ التفت أليّ حاكم شاب من حكام إحدى المقاطعات الأفغانيـــة وقـــال: (ولكنـــك مسلم. كل ما في الأمر انك لا تعرف نفسك!) لقد هزتني هذه العبارة.. ولكني التزمت جانب الصمت. وعندما عدت ثانية إلى أوربا في عام ١٩٢٦ رأيـــت أن النتيجة المنطقية الوحيدة لموقفي هي أن أعتنق الإسلام.

أكتفي بما ذكرت آنفاً عن الظروف التي أحاطت باعتناقي للإسلام. ومنذ ذلك الحين وأنا أسأل المرة تلو الأخرى: (لماذا أسلمت؟ ما الـــذي جـــذبك إلـــى الإسلام بصورة خاصة!). فلم يجذبني إلى هذا الدين تعليم إســـلامي معـــين. وإنما الذي استقطبني إليه، هو ذلك البناء العظيم الشامل المتناسق الذي يبلغ حداً لا يمكن وصفه والذي يتضمن تعاليم خلقية كما يتضمن برنـــامج حيـــاة واقعي. لست أدري حتى الآن، أي جانب من الإسلام يســـتميلني أكثـــر مـــن غيره. لأن الإسلام في نظري بمثابة بناء هندسي بديع لا يشوهه أي عيـــب، قد صممت كافة جزئياته وائتلفت يكمل بعضها البعض الآخر. ليس فيه زيادة أو نقصان، مما أدى إلى التوازن المطلق والائتلاف المكين.

ربما يكون هذا الإحساس بأن كل شئ في تعاليم الإسلام ومبادئه يقـــع فـــي مكانه المناسب، هو الذي ترك أعظم الأثر في نفسي، وقد تكون إلى جانبـــه مشاعر أخرى من العسير عليّ الآن أن أحلها. والمسألة على كل حال عبارة عن قضية حب، والحب يتألف من أمور شتى تدخل فيها رغباتنا وشـــعورنا بالوحشة وآمالنا السامية وعيوبنا، كما تدخل فيها قوتنا وضـــعفنا. وكـــذلك الحال بالنسبة لي. فقد أتاني الإسلام متسللا كاللص حين يدخل منزلاً ما فـــي حلكة الليل المظلم. لكنه يختلف عن اللص في أنه دخل ليبقى إلى الأبد.

منذ أن أسلمت وأنا أسعى جاهداً لطلب أكبر قدر من العلم الإسلامي. فقد درست القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، كما درست لغة الإسلام وتاريخه وجانباً كبيراً مما كتب عنه وما كتب ضده. وأمضيت خمس سنوات ونيف في الحجاز ونجد، كان معظمها في المدينة المنورة، على أمل أن أتذوق الحياة وسط البيئة الأولى التي نبت فيها هذا الدين، حيث دعا إليه النبي العربي ﷺ. ولما كانت الحجاز نقطة التقاء المسلمين من أقطار كثيرة، فقد أمكنني أن أقارن بين معظم الآراء الدينية والاجتماعية المختلفة السائدة في العالم الإسلامي في أيامنا هذه، حتى أحدثت هذه الدراسات والمقارنات اعتقاداً راسخاً في نفسي، بأن الإسلام ظاهرة – كظاهرة روحية اجتماعية – لا يزال أعظم قوة دافعة عرفتها البشرية، رغم كافة السقطات التي ترجع إلى قصور المسلمين أنفسهم، لذلك أصبح همي الأول منصباً منذ ذلك الحين على قضية بعث الإسلام من جديد[1].

﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾[2]

## ثقافة الغرب وثقافة الإسلام في فكر محمد أسد:

للمقارنة بين ثقافة الإسلام وثقافة الغرب نستشهد بنصوص من كتابات الأستاذ محمد أسد، باعتباره أحد أبناء الثقافة الغربية، وعايش الحياة الغربية في أدق الظروف التي مرت بها في مرحلة زمنية دقيقة، ربما كانت من أهم مراحل تطورها، وفي زمن يظهر أبرز خصائص الثقافة وتصور الإنسان عن الكون والحياة فيها، وهو النصف الأول من القرن الماضي. والى جانب ذلك فقد أتيح له أن يعرف الإسلام ويتصل مباشرة بحياة المسلمين على اختلاف شعوبهم وأقطارهم ومستوياتهم الثقافية، بما لم يتح

[1] انظر للمزيد كتاب: الإسلام على مفترق الطرق/ محمد أسد.

[2] سورة المائدة/ ٣.

مثله إلا للقليل من المثقفين الغربيين، وبذلك أصبح لديه القدرة على التمييز بين ثقافة الإسلام وثقافة الغرب.

وقد ساعده على ذلك معرفته بلغات المسلمين (العربية والفارسية والتركيـة والأوردية) واطلاعه الواسع على تـراث المسـلمين، واتصـاله المباشـر بزعمائهم ومفكريهم ومعايشته لعامتهم، ومعاصرته لفتـرات التحـول فـي حياتهم، وفي عمر مديد جاوز التسعين عاماً.

إن محمد أسد ينظر إلى الثقافة الإسلامية بعين المثقف الغربي، وفي الوقـت نفسه ينظر إلى الثقافة الغربية بعين العالم المسلم.

يقارن محمد أسد بين ثقافة الإسلام وثقافة الغرب فيقول: الإنسـان الغربـي أسلم نفسه لعبادة المادة، لقد فقد منذ وقت طويل براءته، فقد كـل تماسـك داخلي للإنسان مع الطبيعة، لقد أصبحت الحياة في نظره لغزا، انه مرتـاب شكوك، لذلك فهو منفصل عن أخيه الإنسان منفرد بنفسه، ولكي لا يهلك في وحدته وفرديته هذه، فان عليه أن يسيطر على الحياة بالوسائل الخارجيـة، وحقيقة كونه على قيد الحياة لم تعد وحدها قادرة على أن تشـعره بـالأمن الداخلي، ولذا فان عليه أن يكافح دائما وبألم في سبيل هذا الأمن، وبسـبب انه قرر الاستغناء عن كل توجيه دينـي، فـان عليـه أن يختـرع لنفسـه وباستمرار حلفاء ميكانيكيين من المادة الصماء، ومن هنا نما عنـده الميـل المحموم إلى التقنية والتمكن من قوانينها ووسائلها، انه يخترع كل يوم آلات جديدة ويعطي كلا منها بعض روحه لكي تدافع عنه في سبيل وجوده، وهي تفعل ذلك حقا، ولكنها في الوقت نفسه تخلق له حاجات جديـدة ومخـاوف جديدة وظمأ لا يروى إلى حلفاء جدد أكثر اصطناعية، وتضيع روحـه فـي ضوضاء الآلة الخانقة، التي تزداد مع الأيام قـوة وغرابـة، وتفقـد الآلـة

غرضها الأصلي، وهو أن تصون وتغني الحياة الإنسانية، وتتطور إلى صنم بذاته، صنم من فولاذ، ويبدو أن كهنة هذا المعبود ومبشريه غير مـــدركين، أن سرعة التقدم التقني الحديث هي نتيجة، ليس لنمـــو المعرفـــة الايجـــابي فحسب، بل لليأس الروحي أيضا، وان الانتصارات المادية العظمى التي يعلن الإنسان الغربي انه بها يستحق السيادة على الطبيعة، هي في صـــميمها ذات صفة دفاعية، فخلف واجهتها البراقة يكمن الخوف من الغيب.

إن الحضارة الغربية لا تستطيع حتى الآن أن تقيم توازنا بين حاجات الإنسان الجسمية والاجتماعية، وبين أشواقه الروحية، لقد تخلت عن آداب دياناتهـــا السابقة دون أن تتمكن أن تخرج من نفسها أي نظام أخلاقي آخر – مهمـــا كان نظريا – يخضع نفسه للعقل، وبالرغم من كل ما حققته من تقدم ثقافي، فإنها لم تستطع حتى الآن التغلب على استعداد الإنســـان الأحمـــق للســـقوط فريسة لأي هتاف عدائي أو نداء للحرب، مهما كان سخيفا ظـــاهر الـــبطلان يخترعه الحاذقون من الزعماء. إن الأمم الغربية وصلت إلى درجة أصبحت معها الإمكانيات العلمية غير المحدودة تصاحب الفوضى العملية، وإذا كـــان الغربي يفتقر إلى توجيه ديني حكيم، فانه لا يستطيع أن يفيد أخلاقيـــا مـــن ضياء المعرفة الذي تسكبه علومه، وهي لاشك عظيمة. إن الغربيين يعتقدون عن اقتناع – في عجرفة وعمى – أن حضارتهم هي التـــي ســـتغير العـــالم وتحقق السعادة، وان كل المشاكل البشرية يمكن حلها في المصانع والمعامل وعلى مكاتب المحللين الاقتصاديين والإحصـــائيين، إنهـــم بحـــق يعبـــدون الدجال[1].

---

[1] انظر: الطريق إلى مكة/ محمد أسد، ص ٢٧٣، وانظر كذلك كتاب: التسامح والعدوانية بين الإســـلام والغرب/ صالح بن عبد الرحمن الحصين، ص ٤٢.

إن ثقافة الإسلام تبنى على التعارف والتآلف والتعاون، بينما تسود الثقافة الغربية روح الصراع والمغالبة وتقبل الفلسفة الجدلية الهيجلية والفرويدية، وابلغ من ذلك قبولها النظرية الداروينية، التي تخطت نطاقها الأساسي، وهي الطبيعة اللاإرادية في الثقافة الغربية، تفسيرا لمختلف أنواع السلوك الإرادي الإنساني. لقد كانت ثقافة الغرب نتاجاً طبيعيا للعقل الروماني المادي والرؤية الفلسفية اليونانية بمثالياتها ومنطقها الأرسطي وأساطيرها الشهيرة التي تصور العلاقة مع الطبيعة لا تخرج عن جدلية الصراع والمغالبة، وليس الوئام والتسخير والمصاحبة، حتى إذا ما استفاقت بعد غفوتها خلال العصور الوسطى على أيدي بناة الحضارة الإسلامية في الأندلس ودمشق وبغداد والقاهرة والاستانة، تجمع كل تلك التركة الثقافية التاريخية في عصر النهضة، لكي تظهر لنا بمظهرها المادي العلمي التجريبي الجديد، مازجة تلك الأطياف الحضارية المتنوعة بفكر صناع الفكر والثقافة الغربية في عصر النهضة، وكان من أبرزهم: ميكافيلي في السياسة وداروين في علوم الحياة وماركس في الاقتصاد ودوركايم في علم الاجتماع وفرويد في علم النفس، وهم زعماء الفكر الأوربي الحديث الذي شكلوا العقل الغربي المعاصر بالألوان المادية والمصلحية والإلحادية والتطورية المعروفة. ولعل عصر العولمة أضاف إلى الفكر الغربي الحديث لوثات جديدة في مقدمتها صدام الحضارات الذي جاء به صموئيل هنتكتون ونهاية التاريخ وسطوة الأمركة وغطرستها التي جاء بها فرنسيس فوكوياما، والفوضى الخلاقة وتكنلوجيا السلوك والجشع الرأسمالي وغيرها من السموم التي تكون تخنق الحياة الحديثة بألوانها القاتمة وركضها اللاهث وملامحها وأشكالها الاستعمارية الجديدة. كل تلك الأمراض التي تفاقمت بعد انتهاء الحرب الباردة وظهور

الإسلاموفوبيا وتصوير الإسلام بالخطر الجديد والممول للإرهـــاب العـــالمي المصنوع في المختبر الغربي وإحدى أصداء سلبياته وظلامياته، لم يشهدها محمد أسد لأنه غادر حياتنا قبل أن تتوج توقعاته ونظراته الثاقبة واقعاً مُرّاً يحاول سحق الإنسان وبشريته وسعادته ونظرتـــه المتوازنـــة مـــن خـــلال مجموعة متلازمة من المحن والأزمات والمخاطر التي ما أنزل الله بها مـــن سلطان، سوى أنها كانت من إرهاصات الحضارة الغربية وإفرازاتها التي قال بها محمد أسد وكثير من المفكرين والعقلاء في الشرق والغرب.

## ٩- قصة إسلام المفكر الهنكاري د. عبد الكريم جرمانوس

وهو مستشرق هنغاري (مجري) معروف وعالم له شهرته في العـــالم، زار الهند في الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين وأتصل بجامعة طاغور بعضاً من الوقت، ثم قدم إلى الجمعية الملكية في نيودلهي حيث اعتنـــق الإســـلام. والدكتور جرمانوس عالم في اللغويات، فهو حجة في اللغة التركية وأدبهـــا، ولقد دخل في الإسلام عن طريق الدراسات الشرقية. وكـــان يعمـــل أســـتاذاً ورئيس قسم الدراسات الشرقية والإسلامية في جامعة بودابست بهنكاريـــا، حتى قبيل وفاته في أواخر القرن الماضي.

ويحكي الدكتور جرمانوس قصة إسلامه فيقول:

في إحدى أمسيات الشتاء من عهد مراهقتي كنت أطالع مجلة مصورة قديمة امتزجت فيها الأحداث الجارية في الواقع بالخيال، كما انتشرت في صفحاتها أوصاف البلاد النائية. ومكثت برهة أقلب صـــفحات المجلـــة دون اهتمـــام. وفجأة استوقف نظري منظر خشبي فيه منازل ذات سقف منبسطة تبرز من بينها هنا وهناك قباب مستديرة يزينها الهلال وسط ســـماء مظلمـــة. كمـــا شاهدت رجالاً يجلسون القرفصاء على السطح وعليهم حلل غريبـــة، وقـــد انتشرت ظلالهم في صفوف غامضة. لقد ابتهج خيالي بهذه الصـــورة تبعـــاً لاختلافها الشديد عن المناظر الطبيعية المعتادة في أوربا. فقد كـــان منظـــرا شرقياً في مكان ما من الشرق العربي، حيث جلس أحد الرواة (الحكـــواتي) يقص على مستمعيه المدثرين قصصه المبهرجة. وكانت الصورة حية بشكل جعلني أتخيل أنني أسمع صوته العذب وهو يسلينا – ويسلي مستمعيه العرب الجالسين معه على السطح – وأنا الطالب البالغ من العمر ستة عشر عاماً، والجالس على كرسي مريح في بلادي هنغاريا. لقد أحسســـت بشـــغف لـــم أستطع مقاومته لمعرفة ذلك النور الذي يصارع الظلمة في تلك الصورة.

من هنا بدأت أتعلم اللغة التركية، فعرفت أن اللغة الأدبية التركية لا تتضمن إلا قليلا من الكلمات التركية. فالشعر التركي غني بالعناصر الفارسية والنثر العربي. فأخذت أعمل على إجادة هذه اللغات الثلاث حتى أدخل ذلك العالم الروحي الذي طلع على البشرية بهذا النور الساطع.

## الاتصال الأول بالمجتمع الإسلامي.

لقد كان من حسن طالعي أن أسافر في إحدى الإجازات الصيفية إلى بلاد البوسنة وهي أقرب بلد شرقي مجاور لهنغاريا. وما أن نزلت في أحد الفنادق حتى خرجت مندفعاً بغية مشاهدة المسلمين الأحياء الذين كانت لغتهم التركية تطلع علي من خلال حروفها العربية المتشابكة وذلك في صفحات كتب النحو والصرف. وكان الزمان ليلاً فسرعان ما اكتشفت في الشوارع ذات الضوء الخافت، مقهى متواضعاً جلس فيه رجلان من أهل البوسنة على مقاعد منخفضة " يكيفان ". كان كل منهما يرتدي سروالاً تقليدياً منتفخاً، يمسكه حزام عريض مزين بالخناجر اللامعة ومعقود حول الخاصرة. كما أن لباس الرأس والحلة الغريبة الشكل، التي كان يرتديها كل منهما، قد أكسبتهما مظهراً شرساً. فدخلت " القهوة خانة" – كما يسمونها – وقلبي يدق بشدة من الفزع وجلست بحذر في ركن بعيد. فالتفت الرجلان نحوي بعيون يبدو فيها الاستغراب. وسرعان ما تذكرت القصص التي يتجمد الدم في الشرايين من هول سماعها. تلك القصص التي كنت أطالعها في كتب خيالية حول تعصب المسلمين وإرهابهم المزعوم. ولاحظت أنهما كانا يهمسان فيما بينهما وأن حضوري غير المنتظر هو موضوع همسهما. فما كان من خيالي الصبياني إلا أن تأجج بالرعب وقلت في نفسي: لا بد أنهما ينويان أن يشهرا خنجرهما في وجه "الكافر" الدخيل. وتمنيت أن أخرج بسلام من هذا الجو المنذر بالخطر. ولكنني لم أجرؤ على الإتيان بأية حركة.

**وبعد ثوان قليلة أتاني الخادم بفنجان من القهوة الزكية الرائحة، وأومأ إلى مجلس الرجلين المخيفين. فأدرت وجهي الفزع نحوهما، فما كان من احدهما، إلا أن أفشى سلاماً ودياً وعلى وجهه ابتسامة لطيفة. فجرت ابتسامة مفتعلة متلكئة على شفتيّ المرتعشتين. وقام الرجلان اللذان تصورت أنهما عدوين واقتربا ببطء من منضدتي الصغيرة. فثار في قلبي المضطرب التساؤل التالي: ترى ماذا سيفعلان بي الآن؟ هل سيطرداني؟.. لا بل لقد طرح علي سلام آخر وجلس الرجلان من حولي وقدم لي أحدهما سيجارة.. لقد لاحظت أن لباسهما العسكري يخفي وراءه روحاً مضيافاً كريمة. فجمعت قوتي وخاطبتهما بلهجتي التركية البدائية: فكان ذلك الحديث كالعصا السحرية. إذ استنارت فيّ روح من المودة التي تشرف على الحب. وبدلاً من العداوة دعاني هذان الرجلان إلى زيارة بيتهما. وبدلاً من الخناجر الزائفة المتوقعة غُمِرْتُ بالتسامح. ذلك هو لقائي الشخصي الأول بالمسلمين.**

**ثم مضت سنوات زاخرة بشتى الأحداث والأسفار والدراسات فتحت كل واحدة منها آفاقاً جديدة أمام ناظري. فعبرت كافة الأقطار ودرست في جامعة اسطنبول فأعجبت بروائع آسيا الصغرى وسوريا. وتعلمت اللغة التركية والفارسية والعربية وحصلت على كرسي الدراسات الإسلامية بجامعة بودابست. والتهمت كافة العلوم النظرية المختزنة عبر القرون، كما طالعت آلاف الصحائف في المؤلفات العلمية. ولكن روحي بقيت ظمأى. لقد وجدت خيط أريادنه (Ariadne) الأخضر في كتب العلم، ولكني تشوقت إلى جنة التجربة الدينية ذات الخضرة السرمدية. لقد بلغ عقلي حد التشبع إلا أن روحي ظلت متعطشة. فجردت نفسي من كثير من المعارف التي حصلتها، كي أستعيدها من خلال التجربة الباطنية بعد صهرها بنار الألم كمثل الحديد الخام الذي تحيله قسوة البرودة المفاجئة إلى حديد صلب مطاوع.**

## رؤيا النبي محمد ﷺ

وفي إحدى الليالي رأيت النبي محمداً أمامي. كانت لحيته الكثة محمرة بالحناء وكان رداؤه بسيطاً رائعاً تنبعث منه رائحة زكية. وقد أشرقت عيناه بإشعاع نوراني. فخاطبني بصوت رجولي قائلاً: " لماذا تكتنفك الهموم " إن الصراط مبسوط أمامك كسطح الأرض المستوية يزينه الأمن. فسر بخطى واثقة ثابتة مدعمة بقوة الإيمان. " فصحت متعجباً بلسان عربي في ذلك الحلم المؤثر قائلاً: يا رسول الله! انه أمر ميسر لك أنت الذي عبرت الطريق وهزمت جميع الأعداء بعد أن دفعك الذكر الرباني في سبيلك، حتى تُوِّجَتْ مساعيك بالنصر والفوز المبين. أما أنا فلا بد لي من أن أقاسي. ومن يدري متى أجد راحتي!". فنظر إليَّ نظرة جادة استغرق على أثرها في تفكير عميق، ولكنه عاد فتكلم بعد برهة، كان كلامه العربي من الوضوح بحيث كانت كل كلمة فيه تجلجل كأجراس الفضة.

إن هذا الكلام النبوي الذي تضمن أوامر الله، كان بمثابة حمل ثقيل ساحق فوق صدري ﴿ألم نجعل الأرض مهاداً . والجبال أوتاداً . وخلقناكم أزواجاً . وجعلنا نومكم سباتاً﴾ . فتنهدت متألماً: " لا أستطيع أن أنام. لا أستطيع أن أحل الأسرار المغطاة بحجب كثيفة لا يمكن خرقها. فكن عوني يا محمد! يا رسول الله!ا " ثم انطلقت من جوفي صرخة شديدة متقطعة. وارتميت تحت وطأة الكابوس وقد كدت أن أختنق. وأصبحت أخشى من غضب النبي. ثم شعرت وكأنني وقعت في أعماق سحيقة. وفجأة استيقظت. فوجدت الدم قد احتبس في وجناتي، كما وجدت جسدي غارقاً في العرق وكل عضو فيه يؤلمني. ولفني صمت قاتل. ثم أحسست بالأسى الشديد والوحشة العظيمة. ثم كان يوم الجمعة التالي فشهد منظراً مثيراً للدهشة وذلك في المسجد الجامع الكبير في

نيودلهي، حيث شوهد رجل غريب أشقر الشعر، شاحب الوجه يشق طريقه بين جماهير المصلين ومعه بعض الشيوخ. كنت ذلك الرجل، وعلي لباس هندي وعلى رأسي قبعة رامبورية Rampuri صغيرة، وعلى صدري أوسمة تركية أهديت لي من قبل السلاطين السابقين. فنظر إلى المؤمنون نظرة ملؤها الدهشة والاستغراب، واستمرت مجموعتنا الصغيرة في اتجاهها إلى المحراب، الذي يحيط به علماء أجلاء طاعنون في السن. فاستقبلوني بالسلام رافعين أصواتهم. وجلست قريباُ من المنبر وطوفت ببصري أتأمل واجهة المسجد ذات الزخارف الجميلة.

## لحظات عظيمة في رحلتي نحو النور

وفجأة رفع الأذان ووقف المكبرون في أماكن شتى من الرواق ينقلون النداء إلى أبعد ناحية في المسجد. ثم قام ما يقارب الأربعة آلاف رجل، مثلما يقوم الجنود ملبين هذا الأمر السماوي. واصطفوا في صفوف متقاربة وأقاموا الصلاة بخشوع تام، وكنت أنا بينهم. فكانت لحظة مليئة بالتعظيم. وبعد انتهاء الخطبة والصلاة أخذ أحد المسلمين واسمه عبد الحي بيدي وقادني إلى المنبر. لقد جاءت الحادثة العظيمة. فما أن وقفتُ على درجات المنبر حتى بدأ الحشد الهائل من الناس في التحرك. وأخذ آلاف الرجال المعممين يتمتمون مع بعضهم البعض، مشيرين إليّ باستغراب. كما أحاط بي علماء ذوو لحي بيضاء وتمسحوني بنظراتهم المشجعة فأيقظوا في نفسي ثباتاً غير عادي. فأخذت أصعد ببطء إلى الدرجة السابعة من المنبر دون وجل. ومن فوقها استعرضت الجمهور المختلف الألوان، وكان يزخر تحتي كالبحر تماماُ. كان الجالسون في الصفوف الخلفية يمدون أعناقهم نحوي فكان ذلك يوحي بانتشار الحركة في القاعة كلها. وقال بعض الجالسين بالقرب مني متعجبين: ما شاء الله! وكانت عيونهم تشع بنظرات المودة والحب.

ثم بدأت خطابي باللغة العربية فقلت: أيها السادة الكرام! لقد أتيت من بلاد نائية كي أحصل على معرفة لم أستطع تحصيلها في بلادي. جئتكم لأقتبس منكم الإلهام فاستجبتم لذلك. وواصلت حديثي فتكلمت عن الدور الذي لعبه الإسلام في تاريخ العالم وعن الآية التي أودعها الله في نبيه عليه الصلاة والسلام. وشرحت سبب تأخر المسلمين المعاصرين وكيف يستعيدون عزهم من جديد. وقلت بأن هناك قولاً إسلامياً مفاده أن كل شئ يتوقف على مشيئة الله. ولكن القرآن الكريم يقول: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾[1] فبينت فهمي لهذه الآية القرآنية الكريمة وعرجت للثناء على حياة الصلاح والتقوى ومحاربة الشر. ثم جلست فتأثرت برد الفعل الساحر الذي تركه حديثي إذ أخذت عبارة " الله أكبر " تتردد بها جنبات المسجد. وكانت الإثارة شاملة. وكل ما أذكره أن أحد المسلمين – واسمه إسلام – دعاني إلى النزول من على المنبر وأمسك بعضدي حتى سحبني خارج المسجد.فسألته عن سر هذه العجلة فلم يجب.

لقد وقف الرجال أمامي وأخذوا يعانقوني كما نظر إلي كثير من المساكين نظرات ملؤها التوسل، وصاروا يتبركون بي وهمّوا أن يقبلوا رأسي. فقلت متعجباً: يا إلهي! لا تدع هذه النفوس البريئة ترفعني فوقها. فما أنا إلا دودة من دود الأرض، أو تائه يسير نحو النور عاجزاً، لا حول لي ولا قوة، مثل سائر المخلوقات البائسة. لقد أخجلتني تنهدات الأبرياء والبسطاء وآمالهم، فشعرت وكأنني قد سَرقتُ أو خَدعتُ هؤلاء. فيا له من حمل ثقيل يوضع على كاهل الرجل السياسي- مثلاً- حين يحوز على ثقة الناس، حتى يجعلوه أملهم الذي يعينهم وصاروا يقدمونه على أنفسهم. ثم جاء :" إسلام " فخلصني من عناق إخواني الجدد ووضعني في مركبة وقادني إلى البيت. وفي اليوم التالي والأيام التي تلته احتشد الناس لتهنئتي على إسلامي

---

[1] سورة الرعد/ ١١.

وإيماني برسالة الإسلام الخالد، فجمعت من دفء المودة وارتفاع الروح المعنوية على أثر حبهم لي ما يكفيني طيلة حياتي الباقية.[1].

[1] انظر كتاب: رجال ونساء أسلموا/ غوريغورس بن أهرون إعداد وترجمة د. عرفات كامل العشي. والقصة مقتطفة من مجلة مسلم نيوز إنترناشنال عدد يوليو ١٩٦٨. ط. باكستان.

## ١٠- قصة إسلام البروفسور والمبشر خالد ميلاسنتوس

(آرثر ميلاسنتوس) من المبشرين المشهورين وحاصل على دكتوراه في اللاهوت، وكان الرجل الثالث في مجمع كنائس قارة آسية. وفي أثناء عمله في التنصير سنة ١٩٨٣ قال لنفسه: أي ضير في قراءة القرآن من أجل الرد على المسلمين؟ فتوجه إلى أحد المسلمين سائلاً إياه أن يعيره كتابه المقدس، فوافق المسلم مشترطاً عليه أن يتوضأ قبل كل قراءة، ثم شرع آرثر يقرأ القرآن خفية، ولنستمع إليه يحدثنا عن تجربته الأولى مع القرآن:

"عندما قرأت القرآن أول مرة، شعرت بصراع عنيف في أعماقي، فثمة صوت يناديني ويحثني على اعتناق هذا الدين، الذي يجعل علاقة الإنسان بربه علاقة مباشرة، لا تحتاج إلى وساطات القسس، ولا تباع فيها صكوك الغفران!!. وفي يوم من الأيام المشهودة في حياتي توضأت، ثم أمسكت بالقرآن فقرأت: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القرآنَ أَمْ علَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [(١)] فأحسستُ بقشعريرة، ثم قرأت: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا﴾ [٢] فحلت السكينة في الروح الحيرى، وشعرت أني قد خُلقت من جديد". لم يصبر آرثر حتى تطلع الشمس، بل اتجه حالاً إلى منزل صديقه المسلم ليسأله عن كيفية الدخول في الإسلام، وبين حيرة الصديق ودهشته نطق آرثر بالشهادتين [(٣)]. ومنذ يوم إسلامه اختار لنفسه اسماً جديداً هو (خالد)

---

(١) سورة محمد/٢٤.

٢ سورة المائدة/ ٣.

(٣) انظر كتاب: لمَ أسلم هؤلاء الأجانب/ محمد عثمان (١ / ١٤٧).

تيمناً باسم الصحابي المعروف القائد والفاتح الإسلامي البطل خالد بن الوليد ﷺ.

## ١١ – قصة إسلام البروفسور اللاهوتي عبد الأحد داود

هو (بنجامين كلداني) أستاذ في علم اللاهوت، وقسيس الروم الكاثوليك لطائفة الكلدانيين الموحدة، يتكلم عدة لغات. اعتزل الدنيا في منزله شهراً كاملاً، يعيد قراءة الكتب المقدسة بلغاتها القديمة وبنصوصها الأصلية مرة بعد مرة، ودرسها دراسة متعمقة مقارنة ضمّن بعضها في كتابه الفذ (محمد في الكتاب المقدس) وأخيراً اعتنق الإسلام في مدينة استانبول ومن مؤلفاته الشهيرة كتاب (الإنجيل والصليب). يقول عبد الأحد داود عن قصة إسلامه: "في اللحظة التي آمنت فيها بوحدانية الله، وبنبيه الكريم صلوات الله عليه، بدأت نقطة تحولي نحو السلوك النموذجي المؤمن"[١].

(لا إله إلا الله محمد رسول الله) هذه العقيدة سوف تظل عقيدة كل مؤمن حقيقي بالله حتى يوم الدين.. وأنا مقتنع بأن السبيل الوحيد لفهم معنى الكتاب المقدس وروحه، هو دراسته من وجهة النظر الإسلامية"[٢].

وقد حورب هذا الرجل المؤمن والعلامة الفذة، والشخصية الربانية النموذجية، من أهل الكتاب الباحثين عن الحق والحقيقة والإيمان، حورب محاربة قاسية، حيث قطع مصدر رزقه وطرد من عمله وأبعد عن منابر العلم والتدريس، ومنعت كتبه في الكنائس والأوساط التبشيرية التقليدية، في اسطنبول والموصل وشتى البقاع التي كان يتحرك فيها ويبشر بدينه الحق

---

[١] عظماء ومفكرون يعتنقون الإسلام/ محمد طماشي، ص ٩٤.

[٢] محمد في الكتاب المقدس/ عبد الأحد داود، ص ١٦٢.

الذي عرفه بعقله المنير وسعيه الحثيث في رحلـــة البحـــث عـــن الحقيقـــة، الإسلام الخالد الذي وجده جليا واضحا في كتاب الله المذهل والمقدس القرآن الكريم، لاسيما بعد نشره كتاب الإنجيل والصليب الذي أثبت فيه فضل القرآن وتقدمه وصحته وهيمنته على الكتب المقدسة، ومن خـــلال مقارنتـــه مـــع الإنجيل المحرف الموجود بين أيدينا[١].

## ١٢- قصة إسلام العالم الكندي والمبشر الدكتور ملير

لقد كان الدكتور ميلر من المبشرين النشطين جدا في الدعوة إلى النصرانية فـــي كنـــدا، قبـــل أن يعلـــن إســـلامه ويتحـــول إلـــى أكبـــر داعيـــة للإسلام في كندا. وأيضا هو من الذين لديهم علم غزيـــر بالكتـــاب المقـــدس Bible .. كان هذا الرجل يحب الرياضيات بشكل كبير.. لذلك فهـــو يحـــب المنطق أو التسلسل المنطقي للأمور.. وفي أحد الأيام أراد أن يقرأ القـــرآن بقصد أن يجد فيه بعض الأخطاء التي تعزز موقفه عند دعوتـــه للمســـلمين للدين النصراني.. كان يتوقع أن يجد القرآن كتاباً قديماً مكتوباً منذ ١٤ قرناً يتكلم عن الصحراء وما إلى ذلك.. لكنه ذهل مما وجده فيه، بل واكتشف أن هذا الكتاب يحتوي على أشياء لا توجد في أي كتاب آخر في هـــذا العـــالم.. وقد كان يتوقع أن يجد بعض الأحداث العصيبة التي مرت على النبي محمـــد ﷺ مثل وفاة زوجته خديجة رضي الله عنها أو وفاة بناته وأولاده.. لكنه لم يجد شيئا من ذلك.. بل الذي جعله في حيرة من أمره، أنه وجـــد أن هنـــاك سورة كاملة في القرآن تسمى سورة مريم، وفيها تشـــريف لمـــريم عليهـــا السلام، لا يوجد مثيل لها في كتب النصارى ولا في أناجيلهم!!.. ولـــم يجـــد

---

[١] انظر كتاب: ربحت محمدا ولم أخسر المسيح/ د. عبد المعطي الدالاتي.

سورة باسم عائشة أو فاطمة رضي الله عنهما.. وكذلك وجد أن عيسى عليه السلام ذكر بالاسم ٢٥ مرة في القرآن، في حين أن النبي محمداً ﷺ لم يـــذكر إلا ٥ مرات فقط فزادت حيرة الرجل..

أخذ يقرأ القرآن بتمعن أكثر لعله يجد مأخذا عليه.. ولكنه صعق بآية عظيمة وعجيبة، ألا وهي الآية رقم ٨٢ في سورة النساء:

﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ .

يقول الدكتور ميلر عن هذا الآية " من المبادئ العلمية المعروفة في الوقـــت الحاضر هو مبدأ إيجاد الأخطاء أو تقصي الأخطاء في النظريات إلى أن تثبت صحتها Falsification test.. والعجيب أن القرآن الكريم يدعوا المسلمين وغير المسلمين إلى إيجاد الأخطاء فيه ولن يجدوا.."

يقول أيضا عن هذه الآية " لا يوجد مُؤَلِّفٌ في العالم يمتلك الجـــرأة ويؤلـــف كتابا، ثم يقول هذا الكتاب خالي من الأخطاء، ولكن القرآن على العكس تماما يقول لك لا يوجد أخطاء بل ويعرض عليك أن تجد فيه أخطاء ولـــن تجـــد "

﴿ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾ [1]

أيضا من الآيات التي وقف الدكتور ميلر عندها طويلا هي الآية رقم ٣٠ من سورة الأنبياء: ﴿أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شي حي أفلا يؤمنون" يقول﴾. إن هذه الآية هي بالضبط موضوع البحـــث العلمي الذي حصل على جائزة نوبل في عـــام ١٩٧٣ وكـــان عـــن نظريـــة الانفجار الكبير BIG BANG وهي تنص أن الكون الموجـــود هـــو نتيجـــة

[1] سورة البقرة/ ١-٢.

انفجار ضخم حدث منه الكون بما فيه من سماوات وكواكب " فـــالرتق هـــو الشيء المتماسك في حين أن الفتق هو الشيء المتفكك فسبحان الله .

يقول الدكتور ميلر:

الآن نأتي إلى الشيء المذهل في أمر النبي محمد ﷺ والادعاء بان الشياطين هي التي تعينه والله تعالى يقـــول: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ. وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ. إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾[1]. ويقـــول: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ القرآن فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[2]. أرأيتم ؟؟.. هل هذه طريقة الشيطان في كتابة أي كتاب؟؟.. يؤلف كتاباً ثم يقول قبل أن تقرأ هذا الكتاب يجب عليك أن تتعوذ منـــي؟؟ إن هذه الآيات من الأمور الإعجازية في هذا الكتاب المعجز ! وفيها رد منطقـــي لكل من قال بهذه الشبهة "

ومن القصص التي أبهرت الدكتور ميلر ويعتبرها من المعجزات، هي قصـــة النبي ﷺ مع عمه أبي لهب.. يقول الدكتور ميلر:

"هذا الرجل أبو لهب كان يكره الإسلام كرها شديدا، لدرجة انه كـــان يتبـــع محمداً ﷺ أينما ذهب ليقلل من قيمة ما يقوله النبـــي ﷺ، إذا رأى الرســـول يتكلم لناس غرباء، فانه ينتظر حتى ينتهي الرسول من كلامه، ليذهب إليهم ثم يسألهم ماذا قال لكم محمد؟ فانه لو قال لكم أبيض فهو أسود، ولو قـــال لكم ليل فهو نهار، المقصد من كلامه ذلك انه يخالف أي شيء يقوله الرسول الكريم ﷺ ويشكك الناس فيه.

لقد نزلت سورة في القرآن سورة اسمها سورة المسد، قبل ١٠ سنوات من وفاة أبي لهب، وهذه السورة تقرر أن أبا لهب سوف يذهب إلى النـــار، أي

---

[1] سورة الشعراء/ ٢١٠-٢١٢.

[2] سورة النحل/ ٩٨.

بمعنى آخر إن أبا لهب لن يدخل الإسلام. خلال هذه العشر سنوات، كل ما كان على أبي لهب أن يفعله –الذي كانت وظيفته في الحياة في ذلك الوقت تكذيب النبي محمد ﷺ – هو أن يأتي أمام الناس ويقول "محمد يقول إني لن أسلم وسوف أدخل النار، ولكني أعلن الآن، أني أريد أن أدخل في الإسلام وأصبح مسلما!!. الآن ما رأيكم هل محمد صادق فيما يقول أم لا ؟ هل الوحي الذي يأتيه وحي الهي؟. لكنَّ أبا لهب لم يفعل ذلك تماما رغم أن كل أفعاله كانت هي مخالفة للرسول ﷺ لكنه لم يخالفه في هذا الأمر. يعني أن القصة – قصة نبوءة القرآن بكفر أبي لهب ودخوله النار قطعا- كأنها تقول إن النبي ﷺ يقول لأبي لهب أنت تكرهني وتريد أن تتحداني وتنهي دعوتي، حسنا لديك الفرصة أن تنقض كلامي!.. لكنه لم يفعل خلال عشر سنوات!!.. لم يُسْلِمْ ولم يتظاهر حتى بالإسلام!!.. عشر سنوات كانت لديه الفرصة أن يهدم الإسلام بدقيقة واحدة!.. ولكنه لم يفعل، لأن الكلام هذا ليس كلام محمد ﷺ، ولكنه وحي ممن يعلم الغيب ويعلم أن أبا لهب لن يسلم أبدا. وما ينطبق على أبي لهب، ينطبق كذلك على امرأته أم جميل بنت حرب حمالة الحطب، الكافرة بالحق والمساعدة لزوجها أبي لهب في إيذاء النبي الكريم محمد ﷺ.. فكيف لمحمد ﷺ أن يعلم أن أبا لهب سوف يثبت ما في السورة، إن لم يكن هذا وحيا من الله؟.. كيف يكون النبي واثقا خلال عشر سنوات كاملات، أن ما لديه حق.. لو لم يكن يعلم أنه وحي من الله؟؟.. لكي يضع شخص هذا التحدي الخطير في الإطار العقلي المفهوم ويفسر تلك الظاهرة الغيبية الاعجازية، ليس له إلا أن يدرك أمراً واحداً، وحقيقة واحدة هي: أن هذا القرآن هو وحي من الله . انه القول الحق الذي أنزل من السماء ليبشر

المؤمنين بمصير الكفرة الجاحدين، وبما يلمسونه ويعرفونه في قابل الأيـــام من العلم والغيب الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وأودعه كتابه الكريم..

قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ. مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ. سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ. وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ. فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ [1]

يقول الدكتور ميلر عن أية أخرى أبهرته لإعجازها الغيبي: "من المعجــزات القرآنية الغيبية، معجزات التحدي للمستقبل، بأشياء لا يمكن أن يتنبــأ بهــا الإنسان وهي خاضعة لنفس الاختبار العلمي السابق إلا وهو falsification tests أو مبدأ إيجاد الأخطاء حتى تتبين صحة الشيء المراد اختباره، وهنا سوف نرى ماذا قال القرآن عن علاقة المسلمين مع اليهــود والنصــارى. القرآن يقول إن اليهود هم أشد الناس عداوة للمسلمين، وهذا مستمر إلـــى وقتنا الحاضر، فان أشد الناس عداوة للمسلمين هم اليهود " ويكمل الدكتور ملير: " إن هذا البيان القرآني يعتبر تحدياً عظيماً، ذلك أن اليهود منذ أن نزل القرآن قبل أربعة عشر قرناً وحتى الآن، لديهم الفرصة لهدم الإسلام بـــأمر بسيط، ألا وهو أن يعاملوا المسلمين معاملة طيبة لبضع ســنين ويقولــون عندها: ها نحن نعاملكم معاملة طيبة، والقرآن يقول أننا أشد الناس عــداوة لكم، إذن القرآن خطأ!.. ولكن هذا لم يحدث خــلال ١٤٠٠ ســنة!!.. ولــن يحدث لأن هذا الكلام نزل من لدن عليم حكيم يعلم الغيب وليس مــن صــنع إنسان!!" ويكمل الدكتور ملير: " هل رأيتم وسمعتم نصاً يتحدى الإنسان مثل نص القرآن في الآية التي تتكلم عن عداوة اليهود للمسلمين، إنهــا تعتبــر تحدياً للعقول!!.. قال الله تعالى في محكم التنزيــل: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً

[1] سورة اللهب.

لِلَّذِينَ آمنوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ، وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى، ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ. وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ، يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ. وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللّهِ وَمَا جَاءنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾[1].

**وتنطبق هذه الآية كذلك على الدكتور ميلر أبي نور، حيث انه من النصارى الذي عندما علم الحق آمن به ودخل الإسلام وأصبح داعية له ومن المنافحين المخلصين عن كتابه العزيز ونبيه الكريم ﷺ..**

**ويكمل الدكتور ميلر الكلام الذي يخرج من قلبه وعقله المنير عن أسلوب القرآن الفريد الذي أذهله لبيانه الساحر وإعجازه، فيقول: " يوجد في القرآن - بدون أدنى شك- توجه فريد ومذهل، لا يوجد في أي كتاب آخر، وذلك هو أن القرآن يعطيك معلومات معينة ويقول لك: لم تكن أنت أيها الإنسان المخاطب تعلمها من قبل!! مثل قوله تعالى في سورة آل عمران:** ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون﴾[2]. **وسورة هود:** ﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين﴾[3]. **وسورة يوسف:** ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا أمرهم وهم يمكرون﴾[4].

**ويعقب د. ميلر عن تلك الخاصية القرآنية الفريدة فيقول: " لا يوجد كتاب في الأرض، مما يسمى بالكتب الدينية المقدسة، يتكلم بهذا الأسلوب، كل الكتب**

---

[1] سورة المائدة/ ٨٢- ٨٤.

[2] سورة آل عمران/ ٤٤.

[3] سورة هود/ ٤٤.

[4] سورة يوسف/ ١٠٢.

الأخرى الموجودة بين أيدينا حاليا، عبارة عن مجموعة من المعلومات تم جمعها بطريقة معلومة، والتي تخبرك هي بنفسها ومن خلال قراءتها واستقرائها، من أين أتت هذه المعلومات، فعلى سبيل المثال الكتاب المقدس (الإنجيل الحالي المحرف) عندما يناقش قصص القدماء، فهو يقول لك أن الملك فلان عاش هنا وهذا القائد قاتل هنا في معركة معينة، وشخص آخر كان له عدد كذا من الأبناء وأسماؤهم فلان وفلان.. الخ. ولكن هذا الكتاب (الإنجيل المحرف) دائما يخبرك إذا كنت تريد المزيد من المعلومات يمكنك أن تقرأ الكتاب الفلاني أو الكتاب الفلاني لان هذه الملومات أتت منه " ويستطرد الدكتور ميلر فيقول: " بعكس القرآن إذ يمد القارئ بالمعلومة ثم يقول له هذه معلومة جديدة!!.. بل ويطلب منه أن يتأكد منها إن كان مترددا في صحة القرآن، بطريقة لا يمكن أن تكون صادرة من عقل بشر!!.

والمذهل في الأمر هو أن أهل مكة في ذلك الوقت – أي وقت نزول هذه الآيات – ومرة بعد مرة كانوا يسمعونها ويسمعون هذا التحدي، بأن هذه معلومات جديدة لم يكن يعلمها محمد ﷺ ولا قومه، بالرغم من ذلك لم يقولوا: هذا ليس جديدا بل نحن نعرفه، أبدا لم يحدث أن قالوا مثل ذلك، ولم يقولوا: نحن نعلم من أين جاء محمد بهذه المعلومات، أيضا لم يحدث مثل هذا، ولكن الذي حدث أن أحدا لم يجرؤ على تكذيبه أو الرد عليه، لسبب بسيط.. لأنها فعلا معلومات جديدة كليا عن المجتمع المكي والعربي آنذاك!!.. وأنها ليست من عقل بشر، ولكنها من الله الذي يعلم الغيب في الماضي والحاضر والمستقبل " جزا الله خيرا الدكتور ميلر على هذا التدبر الجميل لكتاب الله في زمن قل فيه التدبر والتأمل والحياة في ظلال القرآن ومعانيه الشاملة الكلية المعجزة، التي تشهد لمن يعقلها أنها نزلت من لدن

خبير عليم بلسان عربي مبين.. قال تعالى: ﴿لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾[1].

## ١٣- قصة إسلام الملك الانكليزي جون لاكلاند:

### وقصة ظهور أول وثيقة لحقوق الإنسان (الماكناكارتا):

إن أثر حضارة العرب على حضارة أوربا في عصر النهضة وما بعده، من الحقائق التاريخية التي باتت معروفة الآن، وقد تحدث عن تلك الحقيقة علماء وكُتّاب غربيون عديدون منهم، المستشرقة الألمانية (زيغريد هونكه) في كتابها الشهير (شمس العرب تسطع على الغرب) والكاتب الفرنسي الشهير (غوستاف لوبون) في كتابه (حضارة العرب) والمستشرق المجري (ليو بولد فايس) في كتابه (الإسلام على مفترق الطرق) وكتابه (الطريق إلى مكة) والكاتب الأمريكي د. مايكل هارث في كتابه المعروف (المائة الأوائل) وغيرهم من العلماء والمفكرين الغربيين. ولقد بات معروفاً أن أكثر ما استفادت منه أوربا في احتكاكها بالعالم الإسلامي، كان في جوهره التأثّر بالقرآن وتعاليمه. وقد مثل ذلك الاحتكاك الشرارة الأولى التي أشعلت التقدم العلمي والمعرفي في أوربا، في عصورها الوسطى وفي القرون التي تلت ذلك، حتى عصرنا الحالي. لقد وهبت حضارة القرآن أوربا المنهج العلمي التجريبي والعقل الموضوعي والواقعي، بدل الاتجاهات الأسطورية ومفاهيم الهرطقة والخرافة، التي كانت سائدة في أوربا في قرون التمدن والازدهار الإسلامي، حين كانت حضارة القرآن تهيمن على الثقافة والفكر في العالم، ولحقبة من الزمن قاربت الألف عام، بعد عصر نزول القرآن وانتشار نوره

---

[1] سورة النحل/ ١٠٣.

على الأرض. كما وهبت حضارة القرآن لأوربا أصول العلوم والمعارف، في الطب والفلك والرياضيات والقـانون وحقـوق الإنسـان والحيـوان والأدب والفن.. وكثيرٍ من العلوم التي تفتخر بها أوربا اليوم، وتتعالى علـى بـاقي الأمم والشعوبِ بغطرسة وتكبّر وفوقية، بسبب تفوقها العلمي الحالي.

ولعل اختيار قصة الملك جون ملك انكلترا في العصور الوسطى، ومدى تأثره بالقرآن وطلبه التحالف مع الدولة العربية في الأندلس والمغرب ورغبته في الدخول في دين الإسلام، من المعالم المهمة في ملف تأثر أوربـا بحضـارة القرآن. لقد كشف الباحثون والعلماء مؤخراً، بـأن أول صـحيفة لحقـوق الإنسان، والتي كتبت في انكلترا في عصر الملك جون لاكلاند، وهي وثيقـة (الماكناكارتا)[١]، في سنة ١٢١٥ م، كانت بنودها قد استُقِيَتْ واستُنْبِطَتْ مـن القرآن بشكل مباشر. كما كشف الباحثون أن الملك جون الذي صدرت فـي زمنه أول وثيقة لحقوق الإنسان، كان حاكماً عادلاً ورشيداً على عكـس مـا أشيع عنه خلال القرون التي تلت عصره. والملك جون هـو أخـو القائـد الانكليزي ريتشارد (قلب الأسد!) إبّان الحملات الصليبية المعروفة على بلاد الشام في عصر الناصر صلاح الدين الأيوبي، فـي القـرن الثالـث عشـر الميلادي.[٢]

---

[١] تعني ماغنا كارتا ليبرتاتوم (Libertatum Magna Carta) وهي كلمات لاتينيـة تعنـي (ميثـاق الحرية العظيم). وبمقتضى هذا الميثاق منح الملك جون الأرستقراطية البريطانية كثيراً من الحقوق. وقد نظمت وثيقة ماغنا كارتا العلاقة بين القوى الرئيسية الثلاث في إنجلتـرا، وهـي الملـك والبارونـات والكنيسة. وتلزم هذه الوثيقة الملك بالقانون الإقطاعي وبالمحافظة على مصالح النبلاء، ولم تكفل ماغنا كارتا الحريات الفردية لجميع فئات الشعب، لأن هدفها كان تحديد سلطة الملك وإخضاعه لحكم القـانون. وقد قال الأمير سعود الفيصل معقباً على سبق تعاليم الإسلام للماكناكارتا في مجال حقوق الإنسان، فـي محاضرة ألقاها في جامعة أوكسفورد: إن الإسلام سبق الميثاق البريطاني «ماغناكارتـا» فـي مفهـوم حقوق الإنسان بـ ٦٠٠ عام

[٢] إن أول حادثة ورد فيها ذكر الإسلام في التاريخ البريطاني حصلت في القرن الثاني عشر حينما فصـل البابا أنوسنس الثالث الملك جون، ملك بريطانيا، الذي وقف إلى جانب الأمير الأندلسي محمـد الناصـر الذي كان يقاتل قوات ملك سرقسطة الأسباني الذي كان كاثوليكياً. وقد أثار موقف الملك جـون ثـائرة الكنيسة. ولقد نشرت جريدة الرأي الأردنية، في ١٩٧٨/١١/٩م، نصاً حرفياً لوثيقـة تاريخيـة هامـة،

**وتشير الوثائق[1] إلى أن الملك جون كان قد قرأ القرآن وتأثر بـــه، وحـــاول اعتناق الإسلام سراً. ويذكر الباحثون أن هذا الملك قد طلب مـــن الســـلطان**

---

يكشف عنها المؤرخ البريطاني (Gabriel Rany) فـــي كتابـــه (The Tatars Khan's English) الذي صدر سنة ١٩٧٨ في بريطانيا. وقد قامت صحيفة الصنداي تايمز بنشر هذا الجزء من الكتاب فـــي عددها الصادر في ١٩٧٨/١٠/٢٢م، وهو يبين جانباً تاريخياً مهماً من تاريخ انكلترا وعلاقتها بالإسلام في وقت مبكر، حيث أوردت قصة الملك جون وعرضه الدخول في الإسلام، وملابسات إصدار أول وثيقة لحقوق الإنسان في العالم، وهي وثيقة (الماكناكارتا) الشهيرة أو العهد الأعظم. وملخـــص مـــا ذكرتـــه الصنداي تايمز: أن ملك بريطانيا (جون لاكلاند) قدَّم بريطانيا إلى المسلمين كي تعتنق الإسلام أو تـــدفع الجزية وكي تكون تابعة للدولة الإسلامية، غير أن السلطان (محمد الناصر) رفض هذا العـــرض؛ لأنـــه اعتبر ملك بريطانيا أحمقاً وساذجاً سياسياً ولا يستحق التحالف معه. إن هذه الحلقة الواقعية المنسية من التاريخ البريطاني سجّلها ماينو باريس المؤرخ الإخباري الدقيق لأحداث القرن الثالث عشر، الذي أخـــذ حقائقه واستقاها من مصادرها. وحسب ما يقول باريس إن رجال الوفد الثلاثـــة كـــانوا مكـــونين مـــن البارونين: توماس هاردنجتون ورالف فيتو نيكولاس، والسيد روبرت دي لندن. غير أن باريس لم يقدم أي تفسير لضم الكاهن اللندني للوفد، إلا أن السبب الأكثر ترجيحاً هو أن الملك جون عهد إلـــى الســـيد روبرت بإدارة شؤون أبرشيته الخاصة؛ ولذلك فهو من المقربين والموثوقين لديه، وقـــد تعمـــد الملـــك إضافته منعاً لأي تلاعب أو تشويه لمهمة الوفد أمام السلطان الأندلسي، وكان توماس هاردنجتون رئيس الوفد قد أعطي تعليمات من قبل الملك ليبلغها إلى سلطان المغرب وإسبانيا وأفريقيا العظيم، بأنـــه -أي الملك البريطاني- سيتنازل طواعية وعن طيب خاطر عن مكانته ومملكته ويصبح تحت تصرف الأميـــر العربي العظيم، وإذا كان يسره فإنه يضع بريطانيا أمانة بين يديـــه، ويتخلـــى عـــن الاعتقـــاد بالديانـــة المسيحية ويتمسك ويلتزم بكل إخلاص بدين وعقيدة محمد، وكان رئيس الوفد يتحدث بمهـــارة خطابيـــة عن غنى الأرض الإنجليزية وخصوبة حقولها ومهارة شعبها العظيم الحاذق الخلاب، ومعرفة هذا الشعب للغات الثلاث: اللاتينية والفرنسية والإنجليزية، وإتقانهم لكل مهنة عقلانية أو ميكانيكية.

[1] انظر: كتاب الإسلام في بريطانيا/ د. محمد صادق الكرباسي، ط. بيروت/ بيت العلم للنابهين. ويـــرى الدكتور محمد صاحب الحسيني الذي أشاد بأهمية الكتاب أعلاه ودعا إلى نشره: أن الإسلام حلّ بالجزيرة البريطانية قبل ثمانية قرون، وذلك عندما استنجد احد ملوك بريطانيا بأحد حكام المسلمين فـــي شـــمال أفريقيا مقابل اعتناق الإسلام، لكن السلطان المسلم رفض ذلك معللا أن الإسلام لا يتناســـب مـــع ســـلب حقوق الرعية، متهماً الملك الإنجليزي بسلب حقوق الرعية واضطهادهم، وكان هذا الرفض وتعليله نقطة تحول في تاريخ أوربا، أدى فيما بعد إلى كتابة لائحة الحق الدستوري (The Magna Carta)، حـــددت بموجبها الشروط التي يجب أن يتّبعها الملك لإدارة البلاد. ويشير الدكتور الحسيني إلى الخلافات الشديدة التي جرت بين الملك جون بن هنري الثاني (John Son of 11 Henry) (١١٦٦-١٢١٦) والكنيســـة بقيادة البابا اينّوسينت الثالث (Pope Innocent III) (١١٦١-١٢١٦م)، ومجلـــس اللـــوردات، حـــول صلاحيات العرش وصلاحيات المجلس وصلاحيات البابوية، وطلب الملك جون المساعدة مـــن ســـلطان

**محمد الناصر ملك المغرب والأندلس وأفريقيا في ذلك العصر، أن يتحالف معه ضد خصومه في أوربا، كما أبدا رغبة شديدة لدراسة الإسلام والتعرّف عليه عن كثب، لكي يعتنق دين محمد ويعلن إسلامه في الوقت المناسب. وكان قد أرسل وفداً مكوناً من ثلاثة أشخاص إلى قصر السلطان الناصر لهذا الغرض. ولكن خطة الملك جون ورغبته الصادقة في التقرب إلى السلطان الإسلامي وتأثره بالقرآن وتعاليمه، كانت قد كشفت وأجهضت من قبل خصومه. وكان من أبرز أسباب هذا التوجه السياسي لدى الملك جون، هو التآمر الصليبي الأوربي المستمر على حكمه، وربما كان من بين الأسباب التي أدت إلى فشل خطته، الدور المشبوه الذي قام به أحد أعضاء الوفد الذي أرسله إلى السلطان العربي، إذ كان متعاوناً مع خصومه ومناوئاً لحكمه. وقد استطاع هذا الشخص أن يشكك في نوايا الملك جون أمام السلطان محمد الناصر، وتمكن من أن يدقّ إسفيناً من الشك والريبة بين السلطان المسلم والملك الانكليزي، فأدى ذلك - بطبيعة الحال - إلى رفض طلب الملك جون، للتحالف بين بريطانيا والأندلس، ضد المحور الصليبي في ايطاليا وفرنسا وأسبانيا والمتحالف مع الكنيسة والتيار اللاهوتي المتعصب آنذاك. وقد أثمرت جهود خصوم الملك جون، إلى ارتياب السلطان المسلم في نوايا الملك، وفي رغبته باعتناق الإسلام، فاتهمه بالحماقة وقصر النظر وعدم الجدية في مشروع التحالف الذي عرض عليه، مما أدى إلى عودة الوفد إلى انكلترا، دون أن ينجح في إبرام أي اتفاق مع الدولة الإسلامية القوية والمتحضرة آنذاك، ومن ثم محاصرة الملك جون ومحاربته وتشديد**

---

الموحدين محمد بن يعقوب الناصر، وقد دفع الصراع بالملك إلى تقديم استقالته من عرش السلطة، بعد مضي عام على تولى البابا كرسي البابوية، وقد انتصر أتباع المشروطية في مجلس اللوردات، بكتابة لائحة الحق الدستوري (الماكناكارتا) في العام ١٢١٥م. ويعد الملك جون الأخ الأصغر للملك ريتشارد الأول (الشهير بقلب الأسد!) الذي ذاع صيته أثناء الحروب الصليبية. ويرى الكرباسي أن البابا اينوسنت الثالث كان يؤمن بأن السلطة الدينية يجب أن تكون فوق السلطة الزمنية، وهذه اللائحة (الماكناكارتا) مرفوعة إلى يومنا هذا في الرواق الرئيس لمجلس اللوردات البريطاني.

الطوق عليه، من قبل الكنيسة والدول الأوربية المتحالفة معها، مما أدى في نهاية المطاف إلى عزله واتهامه بالظلم والفساد، ثم الجنون والهرطقة وأخيراً إعدامه.

والجدير بالذكر أن الملك الجديد ريتشارد والدول المتحالفة معه، كانت قد استعانت برموز الإقطاع وكبار الملاكين والتجار الاحتكاريين في انكلترا، لمحاصرة الملك جون والانقضاض عليه وإسقاط حكمه. وكان من أبرزهم الأمير الإقطاعي (روبن هود)، وقد كان صديقاً للملك ريتشارد.

ولقد تم – مع الأسف- تزييف التاريخ وتفاصيل الأحداث المهمة المتعلقة بعصر الملك جون وخفاياه، لاسيما ما يتعلق بعدالة حكمه وتأثره بالإسلام، ومعارضته للحملات الصليبية على المشرق الإسلامي، وصدور أول وثيقة لحقوق الإنسان في عهده، حتى شهدنا أن التاريخ المزيف قد قلب الحقائق، فخَلَّد الأمير (روبن هود)، وجعله بطلاً أسطورياً، ونصيراً للفقراء والمساكين، ومدافعاً عن الحق الإلهي الذي نادت به الكنيسة، وجعله من أبرز الأمراء الوطنيين الذين حاربوا الملك المستبد المارق والخارج على تعاليم الكنيسة (!)، حتى اشتهر روبن هود في السينما الأوربية، بطلاً أسطورياً، وأطلق عليه زوراً لقب (نصير الفقراء والمستضعفين).. وهذا هو – بالطبع – عكس الحقيقة التاريخية التي كشفها المؤرخون، والتي تؤكد أنه كان أميراً إقطاعياً مستغلاً للفقراء والمساكين، وصليبياً متعصباً ونصيراً للطغاة والمستبدين والمتعصبين، أمثال صديقه الحميم (ريتشارد قلب الأسد!)، وغيره من الجبابرة المتعطشين للدماء.

ورغم إعدام الملك جون واتهامه بالظلم والاستبداد والجنون، وتعرض سيرته وعهده للتشويه والتزييف التاريخي، إلا أن وثيقة (الماكناكارتا) الشهيرة، والتي تمثل أول وثيقة قانونية تتحدث عن حقوق الإنسان في تاريخ العالم، تشير إلى عدالة حكمه وتثبت ظلم واستبداد خصومه، كما تشير هذه الوثيقة

إشارة قاطعة، إلى مدى تأثر أوربا العصور الوسطى والملك جون ووثيقته، بالقرآن
الكريم وتعاليمه الراقية[1].

## حياة الملك جون ووفاته

ولد جون بن هنري الثاني ملك انكلترا في عام ١١٦٧، ومات في عام ١٢١٦. وقد ترك هنري الثاني خمسة أبناء أكبرهم وأشهرهم ريتشارد " قلب الأسد" قائد الحروب الصليبية المعروف، وهو الذي تولى الملك بعد وفاة أبيه هنري الثاني. ولم يكن لريتشارد ولد شرعي يرثه. ولذلك كان نظام التوريث، يتجه بعد ريتشارد إلى أخيه جوفري، الذي توفي في حياة أخيه، وترك ولدا من زوجته الفرنسية كنستاتس، وهذا الولد هو الغلام الظريف آرثر، الذي يطالع القارئ مأساته من خلال قصة الصراع على الحكم مع عمه الملك جون كما يعرضه التاريخ الانكليزي التقليدي والسينما التي صورت هذا الصراع في أفلام كثيرة. لقد كان آرثر الصغير إذن هو الوريث الشرعي لقلب الأسد، كما صورته كتلة التحالف الكنسي الفرنسي الاسباني. وقد أوصى ريتشارد –المدعوم كنسياً باعتباره قائد الحملة الصليبية على بلاد الشام– فعلا، قبيل سفره إلى الأرض المقدسة، بان يخلفه هذا الغلام.. وعاد ريتشارد من حروبه الصليبية، وقضى بقية عمره في معالجة شئون مملكته

---

[1] للمزيد من التفاصيل حول الموضوع انظر كتاب: العرب عنصر السيادة في القرون الوسطى، للمؤرخ الإنجليزي جون داونبورت. وكتاب: تاريخ سوريا/ نادر العطار. وكتاب الإسلام العربي/ للمؤلف. وكتاب: الثقافة الفرنسية في العصور الوسطى ط. الكويت [مترجم]، وبرنامج: من تراث الشعوب/ زهير القيسي، وزارة الإعلام/ بغداد. وانظر أيضاً ما ورد في صحيفة صنداي تايمز ١٩٧٨/١٠/٢٢ نقلاً عن كتاب (The Tatars Khan`s English) للمؤرخ الإنجليزي الخبير بشؤون القرن الثالث عشر الميلادي غابريل راني.

في انكلترا، الداخلية منها والخارجية. وفي أثناء ذلك اضطر لإلغاء وصـــيته السابقة، بتأثير والدته إليانورا، التي أرادت أن يتولى الملك ابنها هي، لا ابن تلك المرأة الفرنسية الطموح كنستانس، فكتب ريتشارد وصية جديدة بتوريث أخيه جون، وقد ورث الملك في عام ١١٩٩ بعد موت ريتشارد.

صور التحالف الفرنسي البابوي المناويء للملك جون، أن ظفر جون بالملك وحرمان آرثر كان مخالفاً للنظام المقرر لوراثة العرش. ولذلك لـــم تعتـــرف فرنسا بجون. وتولى ملك فرنسا الدفاع عن حقـــوق الفتـــى آرثـــر، وبهـــذا الاحتجاج الفرنسي تبدأ الأحداث المأساوية التي راح ضحيتها الملك جون في نهاية الأمر. ومع أن هذا الخلاف بين فرنســـا وانجلتـــرا هـــو الموضـــوع الرئيسي[١]، فإنه ليس الموضوع الوحيد، بل هناك أيضا سوء العلاقات بـــين الملك جون وبين البابا، والنزاع الذي شجر بينه وبين الأشراف والإقطاعيين في انجلترا..

[١] انظر: مسرحية الملك جون/ شكسبير/ ترجمة: الدكتور محمـــد عـــوض/ الجامعـــة العربيـــة/ الإدارة الثقافية، وهي مستمدة من (قصة العهد المضطرب للملك جون).. وهو العهد الذي يصفه مؤرخو الكنيسة واللاهوت في أوربا بالاضطراب.

# ١٤- قصة إسلام المفكر الفرنسي روجيه غارودي

ولد روجيه غارودي (Roger Garaudy) فـــي ١٧ يوليـــو ١٩١٣ م فـــي مرسيليا، فرنسا. وهو فيلسوف وكاتب فرنسي. أُخذ كأسير حرب في الجلفة (جزائر) خلال الحرب العالمية الثانية. كان غارودي شيوعيا، لكنه طرد مـــن الحزب الشيوعي سنة ١٩٧٠ م وذلك لانتقاداته المستمرة للاتحاد السوفيتي، وبما أنه كان عضواً في الحوار المسيحي الشيوعي في الستينيات، فقد وجد نفسه منجذباً للدين وحاول أن يجمع الكاثوليكية مع الشيوعية خـــلال عقـــد السبعينيات، ثم ما لبث أن اعتنق الإســـلام عـــام ١٩٨٢ م متخـــذاً الاســـم الاسلامي (رجاء غارودي).

يقول غارودي عن اعتناقه الإسلام، أنه وجد أن الحضارة الغربية قد بنيـــت على فهم خاطئ للإنسان، وأنه عبر حياته كان يبحث عن معنى معـــين لـــم يجده إلا في الإسلام. لقد ظلّ غارودي ملتزما بقيم العدالة الاجتماعية التـــي آمن بها في الحزب الشيوعي، ووجد أن الإسلام ينسجم مع ذلـــك ويطبقـــه بشكل فائق. وظلّ على عدائه للإمبريالية والرأســـمالية، وبالـــذات لأمريكـــا وفلسفتها التوسعية المتغطرسة مع دول العالم الأخرى. أصدر غارودي بعـــد مجازر صبرا وشاتيلا في لبنان، بيانا احتل الصفحة الثانية عشرة من عـــدد ١٧ حزيران ١٩٨٢ من جريدة اللوموند الفرنسية بعنوان (معنـــى العـــدوان الإسرائيلي بعد مجازر لبنان) وقد وقع البيان مع غـــارودي كـــل مـــن الأب ميشيل لولون والقس إيتان ماتيو. وكان هذا البيان بداية صدام غارودي مع المنظمات الصهيونية التي شنت حملة ضده في فرنسا والعالم. وفـــي عـــام ١٩٩٨ حكمت محكمة فرنسية على غارودي بتهمة التشـــكيك فـــي محرقـــة

اليهود أو ما تسمى بـ (الهولوكوست) في كتابه الأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل، حيث شكك في الأرقام الشائعة حول إبادة يهود أوروبا في غرف الغاز على أيدي النازيين.

الفيلسوف روجيه غارودي: دكتوراه في الفلسفة من جامعة السوربون، ودكتوراه في العلوم من موسكو، ولد في مرسيليا عام ١٩١٣م ودرس الفلسفة والحضارات العالمية لعشرات السنين، كما تعمق في دراسة الأديان حتى استوت سفينة فكره على شاطئ الإسلام، بعد مسيرة نصف قرن من البحث عن الحقيقة، فأعلن إسلامه في جنيف عام ١٩٨٢م.
من كتبه (حوار الحضارات) و (الإسلام دين المستقبل) و (الإسلام وأزمة الغرب) و (جُلت وحيداً حول القرن) و (الأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل) وقد استعدى عليه بهذا الكتاب الأخير سفهاء الصهاينة وأذنابهم.
يحدثنا غارودي عن معرفته الأولى بالإسلام فيقول :"اعتقلت في أثناء الحرب العالمية الثانية في معسكر بالصحراء الجزائرية، وفي المعتقل تزعمت تمرداً، فأصدر قائد المعسكر حكماً عاجلاً بإعدامي، وأعطى أوامره للجنود الجزائريين المسلمين، وكانت المفاجأة عندما رفضوا إطلاق النار، ولما بحثت عن السبب، علمت أن شرف المحارب المسلم يمنعه من أن يطلق النار على إنسان أعزل، وكانت هذه أول مرة أتعرف فيها على الإسلام، هذا الحادث المهم في حياتي، علمني أكثر من دراسة عشر سنوات في السوربون!"

"إن انتمائي للإسلام لم يأتِ بمحض المصادفة، بل جاء بعد رحلة عناء وبحث، تخللتها منعطفات كثيرة، حتى وصلت إلى العقيدة التي تمثل الاستقرار، والإسلام في نظري هو الاستقرار"[1] .

والذي دفع غارودي إلى اعتناق الإسلام ينحصر في الأسباب التالية:

١ – احترام الإسلام للديانات السماوية السابقة، وتوقيره لرسلها.

٢ – إخضاع الإسلام العلوم والفنون للمبادئ الدينية السماوية، وجعلها وسائل لسمو الإنسان وارتقائه، لا لانحطاطه وتدميره.

٣ – شمول الإسلام جوانب الحياة كافة، بما في ذلك السياسة[2] .

يقول غارودي: "لقد وجدت في الإسلام نظاماً اجتماعياً واقتصادياً وأخلاقياً شاملاً للحياة، يصلح لإخراج البشرية من ورطتها الحاضرة، حيث فشلت الرأسمالية والماركسية كنظم وضعية في إنقاذ الإنسان المعاصر من مشكلاته[3] .. وما كان يشغلني هو البحث عن النقطة التي يلتقي فيها الوجدان بالعقل، أو الإبداع الفني بالحياة، وقد مكّنني الإسلام بحمد الله من بلوغ هذه النقطة"[4] .

من مؤلفاته وبحوثه المنشورة:

١- هل نحتاج إلى إله؟ (Avons-nous besoin de Dieu؟)

---

[1] انظر: لماذا أسلمت فحكمت/ هيثم الحافظ ص١٠٧ وكذلك: ربحت محمداً ولم أخسر المسيح/ د. عبد المعطي الدالاتي.

[2] صحيفة لوموند الفرنسية ٣٠ / ٧ / ١٩٨٣ (لماذا أسلمت؟) .

[3] ما يعد به الإسلام/ د.روجيه غارودي.

[4] عظماء ومفكرون يعتنقون الإسلام/ محمد طماشي ٦٣.

٢- الإله ميّت (Dieu est mort).

٣- ازدهار وتدهور الإسلام The grandeur and decadences of Islam.

٤- أصول الأصوليات والتعصبات السلفية (Islam and integrism).

٥- دعوة إلى الحياة (Call to the living).

٦- من تعتقدون أنني أكون؟(Who do you say that I am؟).

٧- نحو حرب دينية (Towards a war of religion).

٨- الأساطير المؤسسة لإسرائيل الحديثة:

The Founding Myths of Modern Israel.

كتبه المترجمة الصادرة عن دار الشروق:

- المسجد مرآة الإسلام (Mosquée, miroir de l'Islam).

- جولتي وحيدا حول هذا القرن (Mon tour du siècle en solitaire)

- فلسطين مهد الرسالات السماوية:

Palestine, terre des messages divins.

وقد نال رجاء غارودي جائزة الملك فيصل العالمية سنة ١٩٨٥ عن خدمـــة الإسلام وذلك عن كتابيه Promesses de l'Islam (ما يعد به الإســـلام) و L'Islam habite notre avenir(الإسلام يسكن مستقبلنا) وكـــذلك لدفاعـــه عن القضية الفلسطينية.

## ١٥– قصة إسلام الاسترالية سوزان كارلاند

يتحدث الصحفي مارتين فلانجان إلى سوزان كارلاند، الحاصلة على جـائزة المسلمة الأسترالية لهذه السنة فيقول ما ملخصه:

نشأت سوزان كارلاند فى منطقة فيرمونت حيث لا تـزال فـي ذاكرتهـا ذكريات لطيفة متعلقة بهذا المكان وتقول كم هو الأمر لطيفا عندما أحاول أن أكرر نفس التجربة مع ابنتي حيث أخذها إلى البحيرات التي كانـت تأخـذني أمي إليها حيث كنت أقضي وقتا لطيفا في إطعام البط.

يتحدث مارتن فلانجان قائلا " نحن الآن في منزل سـوزان كارلانـد حيـث ترتدي تنورة من القطن وقميصاً طويل الأكمام وحجابـاً لونـه أزرق علـى النقيض مما كانت عليه منذ فترة قصيرة، وتتمتع سوزان بطاقة كبيرة وروح المرح حيث تضع صوراً لمشاهير الفكاهة من بين الذين لهم الأثر الكبير في تكوين شخصيتها، ومع ذلك فهي تبدو متعبة حيث كثيراً مـا توقظهـا لـيلا ابنتها ذات الشهور العشر. انفصل والداها عندما كانت فـي السـابعة مـن عمرها، وذهبت سوزان لتعيش مع أمها، التي تصفها بالقوة والمودة وأنها، كان لها الأثر الكبير في حياتها. وتوصف هذه الأم بأنها مسـيحية متزمتـة تحمل أفكار قساوسة متزمتين من أمثال جون شلبي سبونج. عنـدما كانـت سوزان طفلة كان والداها ينتميان إلى الكنيسة المتحدة. كانت سوزان تـذهب إلى مدارس الأحد ولكنها ابتعدت عن دروس الأحد لتهتم بأغـاني الفيـديو وذلك عندما كان عمرها أثنى عشر عاما وتستطرد سوزان " أنا آمنت بـالله. أنا دائما أشعر بالرغبة فى معرفة الله " وعندما كانت في الرابعة عشر مـن عمرها انضمت إلى كنيسة تنفرد بطابع خاص يتمثل في ادعاء أفرادها بـأن الله يتحدث إليهم ليلاً وكان أمراً غريباً بل مستنكراً لديها وامتلأت حيرة مـن

تلك الطريقة لمعرفة الله المحيط بكل شيء وعلى خـلاف المعهـود إذ بهـا تتحول إلى نهج المراهقين الذي يتمثل في حضور الحفلات البالية والحفلات الكبرى والخروج في رحلات طويلة كما توقفت عـن حضـور دروس علـم البيولوجي والانجليزي.

وعندما كانت في السابعة عشرة من عمرها كان من بين قراراتها في عامها الجديد هو البحث في الأديان ولم يكن الإسلام فى المقـام الأول فـي حيـز تفكيرها فهو يبدو لها (أو صُور لها) على أنه دين عنيف وغريب وشهواني، وكل ما كانت تعرفه عن الإسلام هو جملة كانت قد قرأتهـا فـي موسـوعة الأطفال والسينما، وكانت أمها دائماً تقول لها" أنها تفضل لها أن تتزوج من بائع مخدرات عن أن تتزوج من مسلم".

وتستطرد سوزان قائلة أنها لا تعرف إن كانت هي التي وجـدت الإسـلام أم الإسلام الذي وجدها. حيث تصور حكايتها من لحظة بـدأ تشـغيل التلفـاز لمشاهدة برنامج ويجذب انتباهها مقالات في المجلات والصحف وعلى نحـو خاص تبدأ في دراسة الدين الإسلامي حتى تقف على رحمة ومـودة تقـول عنها أنها ما توقعت أن تجدها. وبدرجة كبيرة من الأهمية راق لها الإسـلام حيث لا يوجد فيه الفصل بين العقل والجسد والروح كما في المسيحية .

وعندما قررت أن تسلم أخذت تشحذ همتها لتخبر الأصدقاء والعائلة خصوصا أمها مؤجلة تلك اللحظة حتى تدخل القدر ذات ليلة عندما أعلنت أمها أنهـم سيتناولون شرائح من لحم الخنزير في ذلك العشاء وهنا بكت أمها وعانقتها وبعد ذلك بعدة أيام لبست سوزان الحجاب. وعن الحجاب تقول سوزان أنـه مبالغ فيه إذا ما قورن بالإسلام حيث أن الإسلام يمس كل شكل فـي حياتـك وبالنسبة لي فالحجاب علامة تذكرني بأنني قريبة من الله ويجعل المرأة رمزا

للإسلام أو سفيرا له. وتقول أنها كثيراً ما كانت تلقى المضايقات في الشارع بسبب إسلامها وأبتعد عنها بعض من أصدقائها المقربين، ولكن الآن بعد خمس سنوات وقد بلغت الرابعة والعشرين، فإن لديها أصدقاء مسلمين وغير مسلمين، ولديها زوجها المسلم الاسترالي المولد الذي يعمل في معسكرات قريبة من ريشموند، وقد حصلت على درجة جامعية علمية في الآداب والعلوم وتود أن تصبح عالمة اجتماع.

إنها تعتقد أن قدرها في الحياة ألا تستسلم أو تخضع. فحجابها يعني التعليقات الوقحة وكثيراً من النظرات في الشارع. وتفكر في ارتداء قميص مكتوب عليه " إذا ظللت تنظر إلي فستلقى رداً مناسباً. وفى نفس الوقت لا تزال تجد نفسها في جدال داخل المجتمع المسلم بشأن دور المرأة. تعتقد سوزان أن هدفها الأسمى هو العمل بالمساجد حيث كانت المرأة باستمرار بمنأى عن هذا، مع أن هناك الكثيرات اللواتي يمكن أن يقمن بذلك ولكن هذا كان محظوراً، حيث ظل هذا الأمر مقصورا فقط على الرجال . وكثيرا ما كانت تصاب بالإحباط بسبب بعض الاتجاهات داخل المجتمع الإسلامي بسبب مسائل تتعلق بالجنس أو العرق. وهى تعتقد أن الإسلام الحقيقي هو ما تطالب به هي ومجموعة نسائية تزداد أعدادها باستمرار.

إنها عضو فعال داخل المجتمع الإسلامي تتحدث باسم الإسلام في الكنائس والمدارس غير الإسلامية كما تعمل في مساعدة اللاجئين.

وعندما أخبرناها بأنها فازت بلقب " مسلم هذا العام "وهى جائزة تقدر بـ ٢٠٠٠ دولار توزعها في المؤسسات الخيرية، قبلت ذلك بشرط أن تنفق هذا المال في أستراليا على منظمات إسلامية وغير إسلامية. إن حياتها لم تكن

دوما مستقرة ولكنها كما تقول إنها اعتادت على عدم الاستسلام، إنها لم تندم أبداً على التحول إلى الإسلام[1].

## ١٦– قصة إسلام الكاتبة الأمريكية ماركريت ماركوس

إن أقدار الله في خلقه عجيبة، وتصاريفه مدهشة، وهدايته لخلقه تحار فيها العقول، ولا تدركها الأبصار، فمهما أراد من شيء حصل، وإذا قدر شيئاً وقضاه لا بد من وقوعه كما أمضاه، سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون. كانت هذه مقدمة لا بد منها للحديث عن مريم جميلة، تلك اليهودية الأمريكية التي هداها الله تعالى للإسلام في سياق عجيب، وجذب مدهش، وفي زمن لم يكن فيه للإسلام رواج، ولا للمسلمين سوق نافقة، ولكنها الهداية، لا تعرف الحواجز، ولا تقف دونها العقبات، وتنفذ إلى القلوب نفاذ الشمس إلى الأرض، وتسري إلى العقول سراية الضياء إلى الظلام.

ولدت هذه المرأة العظيمة في نيويورك ١٩٣٤، لأبوين يهوديين من أصل ألماني، واسمها كان (مارجريت ماركوس) وكان لطريقة نشأتها في تلك البيئة المتلوثة بركام الجاهلية دليل على عناية الله تعالى بها، فهي لم تذق الخمر في حياتها، ولم تلتق بالرجال، ولم تحضر حفلات القوم، وكل هذا عجيب من مثلها، وكانت وهي في طفولتها تحضر الدروس التي تقيمها مدرسة الأحد اليهودية.. وتسمع الحاخام وهو يخبرهم بأن العرب واليهود هم أولاد إبراهيم الخليل ـ عليه وعلى نبينا أفضل الصلوات وأتم التسليم ـ

---

[1] انظر الموقع على الشابكة (الانترنت):
www.theage.com.au/articles/2004/04/04/1081017035193.html

فصارت تتمنى أن تذهب إلى فلسطين لرؤية أولاد عمها والاجتماع بهم ، ثم إنها صدمت بعد ذلك يوم رأت أبويها يحتفلان بقرار التقسيم سـنة ١٩٤٧، ويجمعان التبرعات لإقامة الدولة المسخ ، ثم يحتفلان بانتصار اليهود سـنة ١٣٦٧هـ ١٩٤٨، فصارت تناقش أبويها بقوة في إقامة دولة اليهود علـى أحزان العرب وآلامهم، فعجبا من كلامها.

ثم إنها أقبلت على القراءة المطولة والعجيبة من فتاة مثلها، فقد قادتها هذه القراءة إلى الهداية، وأبعدتها عن الغواية والعماية، وقرأت أول مـا قـرأت ترجمة القرآن للبريطاني المسلم محمد بيكت هول فتأثرت بما قرأت، وكـان لقوة الترجمة أثر في حياتها لم يزل، خاصة أنها قارنت بين هـذه الترجمـة وترجمة يوسف على التي وصفتها بأنها ضعيفة وتبريرية، أي أن المتـرجم لم يستطع أن ينفك عن أَسر النظرة الغربية وهو يترجم كتـاب الله تعـالى، وهذه ملاحظة جيدة منها تدل على تعمق وفهم.

ثم إنها عثرت في مكتبة نيويورك العامة على كتاب مشكاة المصابيح مترجماً إلى الإنجليزية، وهو كتاب في الحديث النبوي الشريف، فعكفت عليـه حتـى فرغت منه!! ولو سألت طلاب العلم منا اليوم ومثقفينا عن هذا الكاتب فلربما جهلوا عنوانه، فدع عنك قراءته، ومن رحمة الله بها أنها اطلعت على هـذا القدر الكبير من الأحاديث في مرحلة مبكرة، فهذا الاطلاع الواسع حماها من القرآنيين (الذين يزعمون أنهم يأخذون بالقرآن فقط) وضلالاتهم، واستطاعت أن تفهم الإسلام فهماً جليلاً باطلاعها علـى مصـدريه، والاغتـراف مـن معينهما.

واصلت مريم دراستها الجامعية في جامعة نيويورك ـ كلية الآداب، لكنهـا مرضت فانقطعت عن الدراسة سنتين، وتناوشتها الوساوس في مرضها من

كل جانب حتى كادت تلحد ، لكن الله تداركها بمزيد من القــراءة والاطــلاع، والعجيب أنها استطاعت بهمتها ودأبها أن تتصل بشخصيات إسلامية رفيعــة القدر في عصرها، فقد أرسلت للبشير الإبراهيمــي فــي الجزائــر، وســعيد رمضان في جنيف، ومعروف الدواليبي في سوريا، والأستاذ سيد قطب فــي سجنه بالقاهرة رحمهم الله جمعياً.

وقد دلها الأستاذ سعيد رمضان على الأستاذ سيد، وطلب منها أن تراســله، وأرسلت رسائل عديدة لشخصيات أخرى، لكن كانت نقطة التحول في حياتها هي صلتها بالأستاذ المودودي ــ رحمه الله تعالى ــ وقد عرفته بقراءتهــا مقالة في مجلة إسلامية كانت تصدر في جنوب أفريقيا، وأيضاً كان الأســتاذ سيد هو الذي نصحها بالاتصال بالمودودي، وقد أعجبــت بالمقالــة جــداً، وأرسلت للأستاذ رسالة على عنوانه في باكستان ، فما راعها إلا وقد جاءها الجواب بعد قرابة شهرين فسرت له أيما ســرور، واســتمرت المراســلات بينهما قرابة ثلاثة سنين، وكانت تنقل له في مراسلتها ما يقال عنه في إعلام أمريكا وكندا.

والعجيب أن هذه المراسلات اتضح منها عمق ثقافة مريم جميلة إلى الحــد المدهش، فقد سألته أسئلة متنوعة عن الشخصيات التالية، وناقشته مناقشة مطولة في أشياء بدرت منهم، فعلى سبيل المثال سألته عن شــاه ولــي الله الدهلوي، وهو من الأعلام الكبار في تاريخ الهند، ويعد من جملة المجددين، فظنت أنه أراد اختراع مذهب جديد خارج عن المذاهب الأربعة، فبــين لهــا المودودي أن الشاه أرد أن يجتهد في تقريب المذاهب الأربعة، والاســتفادة منها جميعا، وليس كما ذهبت إليه في ظنها ..

وسألته عن محمد إقبال (الشاعر المشهور) وقالت له: إن إقبال نصر القومية والوطنية في شعره، فصدقها الأستاذ المودودي وأخبرها أن هذا من الأمـور التي بالغ فيها إقبال ـ رحمه الله ـ وسألته عن عبد الناصر وقالت: إنـه شخص يريد أن يعمل لنفسه ولمجده الشخصي، وأن كل مساعداته لأفريقيـا وغيرها تصب في مصلحته الشخصية، وهذا منها فهم دقيق في ذلك الوقـت العصيب الذي طغت فيه سمعة عبد الناصر علـى مفـاهيم كثيـرة، وكانـت شخصيته القوية ودعاواه القومية قد ضللت أكثر الناس، فأن تفهـم مـريم جميلة شخصيته بهذا الوضوح في آخر الخمسينات فهذا يعد فهماً متقدماً.

وسألته عن أتاتورك والمآسي التي صنعها في تركيا، ولها قول جميـل فـي النورسي، حيث قالت عنه: إنه ليس بمبالغة أن نقول: إن مـا تبقـي مـن الإيمان الإسلامي في تركيا إنما يرجع إلى الجهود المثابرة لبـديع الزمـان النورسي. وسألته عن القاديانية التي كانت آنـذاك فـي بدايـة انتشـارها وتأسيسها مساجدها الضرار في أمريكا، وهذه الأسئلة والمناقشات جرت في زمن يهوديتها ـ وهذا عجيب ـ فهي قد وصلت إلى مرحلة عالية للفهـم والنضج والوعي والثقافة وهي يهوديـة نتمنـى أن يصـل إليهـا أغلـب المسلمين!!.

ثم شرح الله صدرها في سنة ١٣٨١ – ١٩٦١ فذهبت إلى إمام مسجد فـي بروكلين في نيويورك وهو داود فيصل، وأسلمت على يديه، وسمت نفسـها بمريم الجميلة، وابتدأت في حياتها مرحلة عجيبة كلها ابـتلاءات ومحبـة، فعلى سبيل المثال كانت تذهب إلى المسجد وتناقش المسلمين الـذين كـانوا يغضبون من آرائها عن عبد الناصر وأتاتورك!! وجاءها طالب سعودي فـي الجامعة ليخبرها أن على كل المسلمين أن يصلوا مع النصارى فـي كنيسـة

**الجامعة، فإن لم يستطيعوا فعلى الأقل يحضرون دروس الأخلاق النصـــرانية في الجامعة!!. ورأت المركز التجاري للتوشي في نيويورك فولجته سعيدة به لتفاجأ بالخمور تملأ المركز من أرضه إلى سقفه!! وفوجئت بامرأة فرنســية موظفة في المركز أخبرتها أن بورقيبة بدأ مرحلة جديدة في تونس ترك فيها الدين خلف ظهره!!.**

**وكانت بعد تخرجها في الجامعة تبحث عن عمل، فذهبت إلى المركز العربــي في نيويورك فما أن عرفوا أنها كانت يهودية فأسلمت، وأنها تعارض أعمال وأفكار عبد الناصر إلا وأعرضوا عنها، وبعد مقابلة باردة. وكانــت تحضــر الجمعة في المسجد ، فاتفق الطلبة على أن يتداولوا الخطب فيما بينهم، فلما وصلتها النوبة كتبت خطبة بديعة رائعة عن وضع المسلمين وكيفية عـــلاج أمراضهم، وألقاها أحد الطلبة نيابة عنها، فقامت عليها قيامة سائر الطلاب؛ لأنها ذكرت القومية ورموزها بسوء، وبينت أنها علة العلــل فــي الجســم الإسلامي!!.**

**وكان هناك من الطلاب من يشكك في الحديث النبوي!! ومن كان يزين لهـــا طريقة أتاتورك ونهرو!!.. وهكذا تعرضت لمحن كثيرة في عقيدتها وفكرهـــا وثقافتها، وكانت تخبر الأستاذ المودودي بكل هذا..**

**ثم بعد ذلك أخبرها والداها بأنهما سيتقاعدان قريبا، ويتركـــان شـــقتهما ذات الغرف الأربعة، ويسكنان في شقة أخرى صغيرة، وأنها لـــيس بوســـعها أن تكون معهما، ولا بد أن تدبر أمرها!! وكان عمرها آنذاك ســـبعة وعشـــرين عاماً فضاقت عليها الدنيا، وكان الأستاذ المودودي قد عرض عليها مراراً أن تنتقل إلى باكستان لكنها كانت مترددة، ثم بعد كل الذي جرى عليها قـــررت الذهاب، وأقنع المودودي أمها وأباها وطمأنهما على ابنتيهما التي ستجد كل**

الرعاية والاهتمام، وفعلاً حزمت حقائبها وتركت نيويورك سنة ١٣٨٢-١٩٦٢ واتجهت إلى لاهور بالباخرة!!..

فيا لها من رحلة شاقة! لكن الإيمان العظيم يذلل المصاعب والمشاق، والغريب أنها وقفت في الإسكندرية ونزلت من الباخرة فصادفت مسجداً فصلت فيه، فسألها الإمام عن وجهتها فأخبرته أنها ذاهبة إلى باكستان، فما كان منه إلا أن قال لها ــ غفر الله له ــ : هل أنت غبية لتتركي أمريكا ؟!. فانظروا رعاكم الله إلى هذا الإمام وإلى صبر مريم جميلة على ما واجهته.

ثم إنها وصلت لاهور، وأحسن إليها الأستاذ المودودي، وأسكنها في بيته سنتين، ثم إنه زوجها لأحد أتباعه وهو محمد يوسف خان، وهو متزوج وعنده خمسة من الأولاد، لكن هذه المرأة العجيبة لم تمانع في التعدد، وقد اقتنعت به وهي ما زالت في أمريكا، وكانت تحزن من المانعين له.. أو من المبررين له تبريراً ضعيفاً، ثم طبقته بنفسها في لاهور، والطريف أنها عرضت على المودودي الزواج منها لكنه اعتذر!! ولها ابنان وبنتان واثنا عشر حفيداً. وهي تعيش اليوم مع ضرتها في بيت واحد، وهي سعيدة بحياتها وراضية. وعاشت في لاهور من سنة ١٣٨٣ - ١٩٦٣ إلى يوم الناس هذا، ولم تخرج أبداً، ولم تعد إلى أمريكا التي يتمنى كثير منا الذهاب إليها والعيش فيها!!.

وعاشت حياة إسلامية رائعة، وهي مشرفة على حلقات نسائية في بيتها، وما زالت تكتب الكتب وترسل الرسائل إلى الآن ــ حفظها الله ــ وقد كلمتها بالهاتف ورجوتها أن تأتي للحج لكنها اعتلت عليّ بضعفها وكبرها، وقلت لها : إن مجيئك إلى المملكة سيكون له أثر كبير على المسلمات اللواتي سيعرفن قصتك أو عرفنها، لكنها اعتذرت ــ حفظها الله ــ فقلت لها: ما هي

وصيتك للمسلمين فقالت: ادرسوا القرآن والحديث، ولا تتبعوا الحضارة الغربية، وادرسوا الثقافة الإسلامية.

**محطات مهمة في حياتها:**

١- بقيت بضع سنوات وهي ملحدة تماماً بسبب أنها لم تجد ديناً يشبع نهمها الثقافي والفكري والروحي حتى أضاء حياتها الإسلام.

٢- لبست الحجاب الكامل والتزمت به، فلقد رأيت لها صورة وهي بالجلباب الأسود السابغ، ولا يظهر من جسدها شيء، وهذه أعظم رسالة لكل المسلمات اللواتي يتساهلن في لبس الحجاب، ويتهاونَّ به، فهذه كانت يهودية أمريكية، والتزمت بالحجاب الكامل السابغ.

٣- حاولت أن تدعو والديها إلى الإسلام مراراً عندما كانت في أمريكا وبعد وصولها إلى لاهور برسائل متعددة لكنهما رفضا، وماتا كافرين سنة ١٩٨٥، وهكذا الإيمان إذا تمكنت بشاشته من القلوب لا يستطيع صاحبه إلا أن يدعو من يحب إليه، ولا يتصور قعوده عن تلك المهمة الجليلة.

٣- عدد كتبها التي ألفتها قرابة ١٤ كتاباً، وكلها تفيض بروح وثابة، وفهم متميز، واطلاع وثقافة واسعة، وأفردت كتاباً في مأساة الفلسطينيين سمته أحمد خليل، ونشره الأستاذ المودودي في باكستان.

٤- تعد المودودي أعظم مفكري القرن على أنها كانت تراسل شخصيات مثل الأساتذة سيد قطب وجملة غيره، ذكرتهم لكم في ثنايا ما كتبته آنفاً، وهذه شهادة محترمة من امرأة واسعة الثقافة، عظيمة الاطلاع مثلها.

٥- أظن أن القراء الكرام يوافقونني على عدّ هذه المرأة مثلاً كبيراً ومهماً في الوصول إلى الهداية عن طريق الاقتناع الكامل الذي تولد إثر قراءة مطولة وثقافة واسعة، ومراسلات مع عدد كبير من الشخصيات الإسلامية

رفيعة المستوى، وهي بهذا تصلح أن تكون مثلاً رائعاً لبنات جنسها اللواتي يقرأن قليلاً، وثقافة الكثرة الكاثرة منهن ضعيفة. وأنها تخطت كل العقبات التي كانت أمام إسلامها، وكل المعوقات المتوقعة في مجتمع غير مسلم، يحضى بذاكرة وتراكم معرفي سلبي تجاه الاسلام وتاريخ من الصراع معه، منذ ما قبل عصر النهضة حتى العصر الحاضر. تخطت كل ذلك الركام المعيق لهدي القرآن ونفحات الإسلام أن تصل الى النفوس الحائرة، بإرادة قوية وفهم كبير وصبر طويل.

وأخيراً نقول ما أعظم التبعة الملقاة علينا في إيصال الإسلام لكل البشر، إذ كم فيهم من أمثال مريم جميلة ممن يبحث عن الحق ويريده؟!.

## ١٧– قصة إسلام المبشّر اللاهوتي إبراهيم خليل فلوبرس

إبراهيم خليل فلوبرس الأستاذ السابق بكلية اللاهوت الإنجيلية، هو أحد الملايين الذين انقادوا لما وجدوا عليه آباءهم، نشأ في الكنيسة.. وترقى في مدارس اللاهوت.. وتبوأ مكانة مرموقة في سلم التبشير.. وبأنامل يديه خط عصارة خبرته الطويلة، عدة مئات من الصفحات بصورة رسالة للماجستير تحت عنوان: (كيف ندمر الإسلام بالمسلمين؟!.) في علم اللاهوت. لقد كان (فلوبرس) متخصصاً لا يجارى.. وفي منظار (الناسوت) كان ابن الكنيسة الإنجيلية.. الأمريكية، يتيه خيلاء.. ولأسباب القوة والمتعة والحماية المتوفرة.. ما كان (إبراهيم) يقيم لعلماء الأزهر، ـ وقد شفهم شظف العيش ـ أي وزن أو احترام!..

لكن انتفاضة الزيف لم تلبث فجأة أن خبت.. وضلالات التحريف الإنجيلي والتخريف التوراتي انصدعت على غير ميعاد.. وتساقطت إذ ذاك غشاوة الوهم، وتفتحت بصيرة الفطرة، فكان لإبراهيم خليل فلوبرس، وقد خطا عتبات الأربعين يوم الخامس والعشرين من سنة ١٩٥٩م، ميلاداً جديداً. لقد أصبح اسمه الجديد إبراهيم خليل أحمد... مع داعية القرآن كان هذا اللقاء.. وعبر دهاليز الضلالة والزيف، متجهاً صوب عالم الحق والهداية والنور كان هذا الحوار الأخوي الإيماني:

ـ كيف كانت رحلة الهداية التي أوصلتك شاطئ الإيمان والإسلام، ومن أين كانت البداية ؟

ـ كان مولدي في مدينة الإسكندرية وفي الثالث عشر من يناير عام ١٩١٩، نشأت نشأة مسيحية ملتزمة وتهذبت ودرست في مدارس الإرسالية الأمريكية، وتصادف وصولي مرحلة (الثقافة) المدرسية مع اندلاع الحرب

العالمية الثانية، وتعرض مدينة الإسكندرية لأهوال قصف الطائرات.. فاضطررنا للهجرة إلى مدينة أسيوط، حيث استأنفت في كليتها التعليم الداخلي وحصلت على الدبلوم عام ١٩٤٢م، وسرعان ما تفتحت أمامي سبل العمل فالتحقت بالقوات الأمريكية من عام ١٩٤٢م وحتى عام ١٩٤٤م.

ـ ما طبيعة هذا العمل وكيف حصلت عليه؟

ـ كان للقوات الأمريكية وقتذاك معامل كيماوية لتحليل فلزات المعادن التي تشكل هياكل الطائرات التي تسقط، من أجل معرفة تراكيبها ونوعياتها، وبحكم ثقافتي في كلية أسيوط وتمكني من اللغة الإنجليزية ولأن الأمريكان كانوا يهتمون اهتماماً بالغاً بالخريجين ويستوعبونهم في شركاتهم، فقد أمضيت في هذا العمل سنتين.. لكن أخبار الحرب والنكبات دفعتني لأن أنظر إلى العالم نظرة أعمق قادتني للاتجاه إلى دعوة السلام وإلى الكنيسة.. التي كانت ترصد رغباتي وتؤجج توجهاتي.. فالتحقت بكلية اللاهوت سنة ١٩٤٥م وأمضيت فيها ثلاث سنين.

ـ ما هي الخطوط العامة لمنهج الكلية وأين موقع الإسلام فيه؟

ـ في الثمانية أشهر الأولى كنا ندرس دراسات نظرية.. يقدم الأستاذ المحاضرة على شكل نقاط رئيسية، وعلينا نحن أن نكمل البحث من المكتبة. وكان علينا أن ندرس اللغات الثلاث: اليونانية والآرامية والعبرية إضافة إلى اللغة العربية كأساس والإنجليزية كلغة ثانية.. بعد ذلك درسنا مقدمات العهد القديم والجديد، والتفاسير والشروحات وتاريخ الكنيسة، ثم تاريخ الحركة التبشيرية وعلاقتها بالمسلمين، وهنا نبدأ دراسة القرآن الكريم والأحاديث النبوية، ونتجه للتركيز على الفرق التي خرجت عن الإسلام أمثال الإسماعيلية، والقاديانية، والبهائية... وبالطبع كانت العناية بالطلاب شديدة،

ويكفي أن أذكر بأننا كنا حوالي ١٢ طالباً وُكّلف بتدريسنا ١٢ أستاذاً أمريكياً و٧ آخرين من المصريين.

ــ هذه الدراسات عن الإسلام وعن الفرق.. هل كانت للاطلاع العلمي وحسب أم أن هدفاً آخر كان وراءها؟.

ــ في الواقع كنا نؤسس على هذه الدراسات حواراتنا المستقبلية مع المسلمين، ونستخدم معرفتنا لنحارب القرآن بالقرآن... ونحارب الإسلام بالنقاط السوداء في تاريخ المسلمين!. كنا نحاور الأزهريين وأبناء الإسلام بالقرآن لنفتنهم، فنستخدم الآيات مبتورة تبتعد عن سياق النص ونخدم بهذه المغالطة أهدافنا، وهناك كتب نعتمدها في هذا الموضوع أهمها كتاب (الهداية) من ٤ أجزاء و (مصدر الإسلام) إضافة إلى استعانتنا واستفادتنا من كتابات المستغربين (من أتباع مدرسة الإستشراق) أمثال د. طه حسين الذي استفادت الكنيسة من كتابه (الشعر الجاهلي) كثيراً، وكان طلاب كلية اللاهوت يعتبرونه من الكتب الأساسية لتدريس مادة الإسلام!. وعلى هذا المنهج كانت رسالتي في الماجستير تحت عنوان (كيف ندمر الإسلام بالمسلمين) سنة ١٩٥٢م والتي أمضيت ٤ سنوات في إعدادها، من خلال الممارسة العملية للوعظ والتبشير بين المسلمين من بعد تخرجي عام ١٩٤٨م.

ــ كيف إذاً حدث الانقلاب فيك... ومتى اتجهت لاعتناق الإسلام؟

ــ كانت لي ــ مثلما ذكرت ــ صولات وجولات تحت لواء الحركة التبشيرية الأمريكية، ومن خلال الاحتكاك الطويل، ومن بعد الاطلاع المباشر على خفاياهم تأكد لي، أن المبشرين في مصر ما جاءوا لبثّ الدين وإنما لمساندة الاستعمار والتجسس على البلاد!

- وكيف؟.

ـ الشواهد كثيرة، وفي أي مسألة من المسائل، فإذا كانت البلد تستعد للانتفاضة على الظلم، كانت الكنيسة أول من تدرك ذلك لأن المسيحي والمسلم يعيشان على أرض واحدة، ويوم يتأوه المسلم سرعان ما يسمع النصراني تأوهاته فيوصلها إلينا لنقوم بتحليلها وترجمتها بدورنا، ومن جانب آخر كان رعايا الكنيسة في القوات المسلحة، أداة مباشرة لنقل المعلومات العسكرية وأسرارها، وعن طريق المراكز التبشيرية التابعة لأمريكا والتي تتمتع بالرعاية وبالحماية الأمريكية، كانت تدار حرب التجسس، ولك أن تعلم هنا أن النصراني له جنسيتان وانتماءان: انتماؤه للوطن الذي ولد فيه وهو انتماء مدني، تُعبر عنه جنسيته المصرية، وانتماء ديني أقوى تمثله الجنسية المسيحية. فهو يحس في أوروبا وفي أمريكا - بالدرجة الأولى- حصنا له، بينما يشعر في مصر أنه غريب! تماماً كانتماء الإسرائيلي الذي يعتبر انتماءه بالروح إلى أرض أورشليم انتماء دينياً، وانتماءه إلى الوطن الذي ولد فيه انتماء مدنياً وحسب!. ولذلك قام مخَطّط المبشرين والكنيسة على جعل مصر تدور في فلك الاستعمار فلا تستطيع أن تعيش بعيداً عنه، الأمر الذي جعلني أشعر بمصريتي وأحس أن هؤلاء أجانب عني، وأن جاري المسلم أقرب إليّ منهم بالفعل... فبدأت أتسامح.. وأعني أن أقرأ القرآن بصورة تختلف عما كنت أقرؤه سابقاً، وفي شهر يونيو تقريباً عام ١٩٥٥م استمعت إلى قول الله سبحانه: ﴿قل أُوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به..﴾[١]

---

[١] سورة الجن/ ١.

ومن الغريب أن هذه الآية الكريمة رسخت في قلبي، ولما رجعت إلى البيت سارعت إلى المصحف ومسكته وأنا في دهشة من هذه السورة، واستشعرت في آية أخرى كيف إن الله سبحانه يقول:

﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله﴾[1]

إبراهيم خليل الذي كان إلى عهد قريب يحارب الإسلام ويقيم الحجج من القرآن والسنة ومن الفرق الخارجة عن الإسلام لحرب الإسلام... يتحول إلى إنسان رقيق يتناول القرآن الكريم بوقار وإجلال... فكأن عيني رُفعت عنهما غشاوة وبصري صار حديداً... لأرى ما لا يُرى... وأحس إشراقات الله تعالى نوراً يتلألأ بين السطور، جعلتني أعكف على قراءة كتاب الله، ومنها قوله تعالى: ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ﴾[2] وقوله: ﴿ ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾[3] إذاً فالقرآن الكريم يؤكد أن هناك تنبؤات في التوراة وفي الإنجيل عن النبي محمد. ومن هنا بدأت ولعدة سنوات دراسة هذه التنبؤات ووجدتها حقيقة لم يمسها التبديل والتغيير، لأن بني إسرائيل ظنوا أنها لن تخرج عن دائرتهم.. وعلى سبيل المثال جاء في (سفر التثنية) وهو الكتاب الخامس من كتب التوراة (أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به) توقفت أولاً عند كلمة (إخوتهم) وتساءلت: هل المقصود هنا من بني إسرائيل؟ لو كان كذلك لقال (من أنفسهم) أما وقد قال (من وسط إخوتهم) فالمراد بها أبناء العمومة، ففي سفر التثنية يقول الله لسيدنا موسى عليه السلام: (أنتم مارون بنجم

---

[1] سورة الحشر/ ٢١.

[2] سورة الأعراف/ ١٥٧.

[3] سورة الصف/ ٦.

إخوتكم بني عيسو..)[1] و (عيسو) هذا الذي نقول عنه في تراث الإسلام (العيس) هو شقيق يعقوب عليه السلام، فأبناؤه أبناء عمومة لبني إسرائيل، ومع ذلك قال (إخوتكم) وكذلك أبناء (إسحاق) وأبناء (إسماعيل) هم أبناء عمومة، لأن إسحاق أخو (إسماعيل) عليهما السلام، ومن (إسحاق) سلالة بني إسرائيل، ومن (إسماعيل) كان (قيدار) ومن سلالته كان سيدنا محمد ﷺ، وهذا الفرع الذي أراد بنو إسرائيل إسقاطه، وهو الذي أكدته التوراة حين قالت (من وسط إخوتهم) أي من أبناء عمومتهم.

وتوقفت بعد ذلك عند لفظة (مثلك) ووضعت الأنبياء الثلاثة: موسى، وعيسى، ومحمد (عليهم الصلاة والسلام) للمقابلة فوجدت أن عيسى عليه السلام مختلف تمام الاختلاف عن موسى وعن محمد (عليهما الصلاة والسلام)، وفقاً للعقيدة النصرانية ذاتها والتي نرفضها بالطبع، فهو الإله المتجسد، وهو ابن الله حقيقة، وهو الأقنوم الثاني في الثالوث، وهو الذي مات على الصليب.. أما موسى عليه السلام فكان عبد الله، وموسى كان رجلاً، وكان نبياً، ومات ميتة طبيعية، ودفن في قبر كباقي الناس وكذلك سيدنا رسول الله محمد ﷺ وإذاً فالتماثل إنما ينطبق على محمد ﷺ، بينما تتأكد المغايرة بين المسيح وموسى (عليهما السلام)، ووفقاً للعقيدة النصرانية ذاتها! فإذا مضينا إلى بقية العبارة: (وأجعل كلامي في فمه..) ثم بحثنا في حياة محمد ﷺ، فوجدناه أمياً لا يقرأ ولا يكتب، ثم لم يلبث أن نطق بالقرآن الكريم المعجزة فجأة يوم أن بلغ الأربعين.. وإذا عدنا إلى نبوءة أخرى في التوراة في سفر أشعيا تقول: (أو يرفع الكتاب لمن لا يعرف القراءة ولا الكتابة ويقول له

---

[1] سفر التثنية إصحاح/ ٢، والعدد/ ٤.

اقرأ، يقول ما أنا بقاريء..)[1] لوجدنا تطابقاً كاملاً بين هاتين النبوءتين وبين حادثة نزول جبريل بالوحي على رسول الله في غار حراء، ونـــزول الآيـــات الخمس الأولى من سورة العلق.

ــ هذا عن التوراة، فماذا عن الإنجيل وأنت الذي كنت تدين به؟

ــ إذا استثنينا نبوءات برنابا الواضحة والصريحة ببعثة محمــد ﷺ، وذلــك لعدم اعتراف الكنيسة بهذا الإنجيل أصلاً، فإن المسيح عليه السلام تنبأ في إنجيــل يوحنا تسع نبوءات، و(الفارقليط) الذي بشر به يوحنا مرات عديدة... هــذه الكلمة لها خمسة معــاني: المعــزّي، والشــفيع، والمحــامي، والمحمــد، والمحمود، وأي من هذه المعاني ينطبق على ســيدنا رســول الله ﷺ تمــام الانطباق، فهو المعزّي المواسي للجماعة التي على الإيمان وعلى الحق من بعد الضياع والهبوط، وهو المحامي والمدافع عن عيسى ابــن مــريم عليه السلام وعن كل الأنبياء والرسل بعدما شوه اليهود والنصارى صورتهم وحرفوا ما أتوا به وهو الإسلام.. ولهذا جاء في إنجيل يوحنا: (أنــا أصــلي إلــى الله ليعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد روح الحق)[2].. وقال فــي نبــوءة أخرى في إنجيل يوحنا: (وأما متى جاء ذاك الروح الحق فهو يرشدكم إلــى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به. ويخبركم بأمور آتية، ذاك يمجدني)[3] وهذا مصداق قول الله تعالى:

﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ .[4]

---

[1] سفر أشعيا إصحاح/ ٧٩.

[2] إنجيل يوحنا إصحاح ١٤/ العدد ١٦ و١٧.

[3] إنجيل يوحنا إصحاح ١٦/ العدد ١٣ــ ١٤.

[4] سورة الكهف/ ١١٠.

ـ كيف كانت لحظة إعلانك للإسلام وكيف كانت بداية الحياة الجديــدة فــي رحاب الهداية والحق؟

ـ بعد أن وصلت إلى اليقين وتلمست الحقائق بيدي، كان عليّ أن أتحدث مع أقرب الناس إلي زوجتي، لكن الحديث تسرب عن طريقها إلــى الإرســالية للأسف، وسرعان ما تلقفوني ونقلوني إلى المستشفى وتحت مراقبة صارمة مدعين أني مختل العقل! ولأربعة شهور تلت عشت معانـــاة شــديدة جــداً، ففرقوا بيني وبين زوجتي وأولادي، وصادروا مكتبتي وكانت تضم أمهــات الكتب والموسوعات... حتى اسمي كعضو في مجمع أسيوط، وفــي مــؤتمر (سنودس) شُطب، وضاع ملفي كحامل ماجستير من كلية اللاهوت... ومــن المفارقات العجيبة أن الإنجليز في هذه الآونة كانوا قد خلعوا الملك طلال من عرش الأردن بتهمة الجنون... فخشيت أن يحدث معي الأمر ذاتــه.. لــذلك التزمت الهدوء والمصابرة وصمدت حتى أطلق سراحي، فقدمت استقالتي من الخدمة الدينية واتجهت للعمل في شركة أمريكية لــلأدوات المكتبيــة، لكــن الرقابة هناك كانت عنيفة جداً، فالكنيسة لا تترك أحداً مــن أبنائهــا يخــرج عليها ويَسْلَمْ، إما أن يقتلوه أو يدسوا عليه الدسائس ليحطموا حياته.. وفي المقابل لم يكن المجتمع المسلم حينذاك ليقدر علــى مســاعدتي... فحقبــة الخمسينيات والستينيات -كما تعلمون- كانت تمثل تصاعد التيــار القــومي ومحاربة الدين، وكان الانتماء للإسلام والدفاع عنــه حينــذاك لا يعنــي إلا الضياع! ولذلك كان عليّ أن أكافح قدر استطاعتي، فبدأت العمل التجــاري، وأنشأت مكتباً تجارياً هرعت بمجرد اكتماله للإبراق إلى (د. جون تومسون) رئيس الإرسالية الأمريكية حينذاك، وكان التاريخ هو الخامس والعشرين من ديسمبر ١٩٥٩ والذي يوافق الكريسمس، وكان نص البرقية: (آمنت بــالله

الواحد الأحد، وبمحمد نبياً ورسولا). لكن إشهار اعتناقي الرسمي للإسلام كان يفترض عليّ -وفق الإجراءات القانونية- أن ألتقي بلجنة من الجنسية التي أنا منها لمراجعتي ومناقشتي. وفي الوقت الذي رفضت جميع الشركات الأوربية والأمريكية التعامل معي، تشكلت اللجنة المعنية من سبعة قساوسة بدرجة الدكتوراه.. خاطبوني بالتهديد والوعيد أكثر من مناقشتي! وبالفعل تعرضت للطرد من شقتي لأنني تأخرت شهرين أو ثلاثة عن دفع الإيجار، واستمرت الكنيسة تدس علي الدسائس أينما اتجهت.. وانقطعت أسباب تجارتي.. لكني مضيت على الحق الذي اعتنقته.. إلى أن قدر الله أن تبلغ أخباري وزير الأوقاف حينذاك الأستاذ عبد الله طعيمة، والذي استدعاني لمقابلته وطلب مني بحضور الأستاذ محمد الغزالي المساهمة في العمل الإسلامي بوظيفة سكرتير لجنة الخبراء في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، فكنت في منتهى السعادة في بادئ الأمر، لكن الجو الذي انتقلت إليه كان ــ وللأسف ــ مسموماً، فالشباب يدربون على التجسس بدل أن يتجهوا للعلم! والموظفون مشغولون بتعليمات (منظمة الشباب) عن كل مهامهم الوظيفية، وكان التجسس على الموظفين وعلى المديرين وعلى وكلاء الوزارة... حتى يتمكن الحاكم من أن يمسك هؤلاء جميعاً بيد من حديد! ولكم تركت أشيائي منظمة كلها في درج مكتبي لأجدها في اليوم الثاني مبعثرة! وعلى هذه الصورة مضت الأيام وأراد الله سبحانه أن يأتي د. محمد البهي وزيراً للأوقاف بعد عبد الله طعيمة. وكان د.البهي قد تربى تربية إيمانية منضبطة، لكن توفيق عويضة سكرتير المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية وأحد ضباط الصف الثاني للثورة تصدى له.. وحدث أن استدعاني د. محمد البهي في يوم من الأيام بعدما صدر كتابي: (المستشرقون

والمبشرون في العالم العربي والإسلامي) وأحب أن يتعرف عليّ... فترامى الخبر إلى توفيق عويضة، واعتقد أنني من معسكر د. البهي والأستاذ الغزالي.. ووجدت نفسي فجأة أتلقى الإهانة من مدير مكتبه وهو يقول لي: اتفضل على الوزارة التي تحميك! خرجت والدموع في عيني، وقد وجدتهم صادروا كتبي الخاصة من مكتبي ولم يبقوا لي إلا شيئاً بسيطاً حملته ورجعت إلى الوزارة.. وهناك اشتغلت كاتب وارد!!.. فكان يوم خروجي على المعاش بتاريخ ١٢ / ١ / ١٩٧٩ وقد بلغت الستين، ومن ذلك اليوم بدأ إبراهيم خليل يتبوأ مركزه كداعية إسلامي، وكان أول ما نصرني الله به أن التقيت مع الدكتور جميل غازي ـ رحمه الله ـ بـ ١٣ قسيساً بالسودان في مناظرة مفتوحة انتهت باعتناقهم الإسلام جميعاً، وهؤلاء كانوا سبب خير وهداية لغرب السودان حيث دخل على أيديهم الألوف من الوثنيين وغيرهم في دين الله أفواجا.

ـ إذاً هل تعتقد أن مصر مهددة بفتنة طائفية بين المسلمين والأقباط؟

ـ كلما تتبعنا حوادث الاقتتال الطائفي في مصر، وجدنا أن ثمة ما لم يكن على مراد النصارى من نظام البلد كان البداية.. ثم تبدأ الوقائع المعروفة: قطعة أرض يختلف حولها مسلم ونصراني، الأخير بإحساسه أنه مسنود يفتري على المسلم، فيثير ذلك حمية الآخر فيضربه وتتطور الأمور، وسرعان ما تتدخل أمريكا وانجلترا لتحقق مرمى أكبر من مراميها... أتذكر يوم أن أرادت انجلترا احتلال مصر كيف افتعلت معركة بين مالطي (من مالطة) وحمّار في الإسكندرية انتهت ولأسباب واهية بقتل المالطي، فكانت ذريعة استند إليها الأسطول الإنجليزي لضرب الإسكندرية وكانت حجتهم حماية النصارى غير الآمنين؟.

مرة وفي عام ١٩٧٥ طُلب مني تقديم محاضرة بكلية أسيوط، فتكلمت عن المسيح عليه السلام وعن الرسول ﷺ، من خلال الأناجيل والتوراة... وكان للمحاضرة صدى واسعاً انتهى بإعلان ١٧ من الشبان أبناء الجامعة إسلامهم.. فماذا حدث ؟.. استدعاني وكيل أول وزارة الأوقاف وقال لي بالحرف الواحد: أنا مكلف بأن أبلغك أن تكف عن الدعوة.

قلت له : أنا ما دخلت الإسلام حتى أنال قرشين كل شهر ولكنني دخلته حتى أشرب فأسقي. وقدمت استقالتي فوراً بين يديه... وبعد اتصالات أجراها بالهاتف –وكأنما أثرت كلمتي بالوكيل– قال لي : نأخذ عليك تعهداً إذاً أن لا تتعرض للبابا في محاضراتك!.

هذه هي الفتنة الطائفية التي يتحدثون عنها ويخوفون الناس بها، في عام ٦٣ طُلب مني أن أسجل حديثاً لإذاعة القرآن الكريم من مصر، فتعرضت خلال الحديث لقوله تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم...﴾[١] وبعد التسجيل أتت الأوامر من القيادة العليا، بأن إبراهيم خليل لا يدخل الإذاعة ثانية ولا التلفزيون.. فهذه آيات تمس النصارى!.

وبعد هذا العرض يتبين لنا أن الإيمان إذا ما دخل القلب ولامس بشاشته، فانه لن يستطع أحدٌ إخراجه منه، وإن العقبات التي توضع أمام المهتدين الجدد، لن تؤثر على قناعتهم الجديدة وإيمانهم الصافي، ولا تحول بين هؤلاء النفر وقناعتهم بالدين الجديد، الذي انتمى اليه هؤلاء العلية من القوم، بعد بحث وتفحص ودراسة وتفكير عميق.

---

[١] سورة المائدة/ ١٧.

## ١٨- قصة إسلام البارون الانكليزي شارلز هاملتون

عرف السيد عبد الله آرشيبالد هاملتون قبل إسلامه بلقب سير شارلز ادوارد آرشيبالد واتكنز هاملتون. أعتنق الإسلام في العشرين من ديسمبر/ ١٩٢٣م وكان سياسياً انجليزياً معروفاً. وكان قد نال لقب بارون من الدرجة الثانية في عام ١٩١٩.م أما ميلاده فكان في العاشر من ديسمبر ١٨٧٦م. وقد شغل منصب قائد في سلاح الدفاع الملكي البريطاني، كما كان رئيساً لجمعية سلسي للمحافظين. وفيما يلي يتحدث السيد هاملتون عن قصة إسلامه كما جاء كتاب (الإسلام خياري)

Islam Our Choice الصادر باللغة الانجليزية عن أوقاف السيدة المسلمة عائشة بواني فيقول: لقد ظل جمال الإسلام ونقاؤه البسيط يشدني إليه دائماً، منذ أن بلغت سن الرشد. ولم يكن بوسعي قط، رغم ولادتي ونشأتي في بيئة مسيحية، أن أؤمن بالجانب التعسفي من الكنيسة، وكنت على الدوام أقدم المنطق والعقل على الإيمان الأعلى المجرد. وبمرور الزمن تمنيت أن أعيش بسلام مع خالقي، وأيقنت ألا فائدة لي من كلا الكنيستين الانجليزية، وكنيسة روما على حد سواء. لقد كان اعتناقي للدين الإسلامي تلبية خالصة لما يمليه عليّ ضميري. ومنذ ذلك الحين وأنا أحس أنني غدوت رجلاً أفضل وأصبحت أنساناً حقيقياً. ليس هناك أي دين من الأديان تعرّض لمثل ما تعرّض له الإسلام من إساءة على يد الجهلة والمتزمتين. ولكن يا ليت قومي يعلمون! إن الإسلام يمنح القوة للضعيف والغنى والفقير. وتنقسم البشرية في نظري إلى ثلاث طبقات: الأولى هي طبقة أولئك الذين حباهم الله من فضله وآتاهم ملكاً وثروة. والطبقة الثانية تتمثل في الذين لا مناص لهم من الكد والعمل لكسب قُوتِهِمْ. وأخيراً هناك الحشد الهائل من المتعطشين أو الذين سقطوا على جانب الطريق بلا جريرة من أنفسهم.

هذا ويعترف الإسلام بالعبقرية والنبوغ والتميز الشخصي. فهو دين بناء وعمارة لا دين تخريب. فان كان هناك على سبيل المثال رجل يملك أرضاً وهو على جانب من الثراء، فلا يحتاج إلى فلاحة أرضه وقد تركها بوراً، فإذا انقضت مدة معينة على ذلك الحال تنتقل ملكيتها بصورة طبيعية إلى الأراضي العامة، وتنص الشريعة الإسلامية على أن ملكيتها تنتقل إلى يد أول رجل يقوم بزراعتها حسب قاعدة (الأرض لمن زرعها).

والإسلام يحظر على معتنقيه لعب الميسر والانخراط في أية صفقة من صفقات اليانصيب، كما يحرم كافة المشروبات الكحولية ويمنع الربا الذي كان في حالات كثيرة سبباً في الأسى والشقاء الذي أصاب بني الإنسان. لذلك فالإسلام يحول دون أي نوع من الاستغلال الدنيء قد يقترفه أحد الناس التعساء. ونحن المسلمون لا نؤمن بالقدرية ولا بالجبرية وإنما نؤمن بالقضاء والقدر. فالعقيدة بلا عمل تعتبر في رأينا أمراً لا وجود له، لأن العقيدة لا تكفي إذا لم نسع إلى تطبيقها في واقع حياتنا. كما نؤمن بأننا سنحاسب على أعمالنا في الحياة الدنيا وفي الآخرة،.وعلى كل منا أن يتحمل أعباءه. فلا تزر وازرة وزر أخرى. والإسلام يؤمن بأن الإنسان يولد على الفطرة مبرأ من الذنوب. كما يقرر أن الرجل والمرأة ينحدران من نفس واحدة وجوهر واحد، وقد زودهما الله بمقدرات فكرية وروحية وخلقية متكافئة. ولا أحسب أنني بحاجة إلى الحديث كثيراً عن مبدأ الأخوة العالمية بين البشر في الإسلام. فهذه حقيقة مسلّم بها، إذ أن الأمير والحقير والغني والفقير كلهم سواسية. وإنني ألمس دائماً هذه الروح الكريمة بين إخواني المسلمين كما أثق بحديثهم. فقد لقيت منهم كل معاملة عادلة كرجل عادي وأخ لهم، كما تكرموا عليّ أعظم الكرم واستضافوني أحسن الضيافة.فأنا أشعر دائماً أنني واحد منهم.

وفي ختام كلمتي أقول: انه بينما نجد أن الإسلام يهدي البشرية في حياتها العملية اليومية، فان ما يسمى بالمسيحية المعاصرة تعلم أتباعها بصفة غير

مباشرة وفي مجال الواقع أن يعبدوا الله في أيام الآحاد فحسب وأن يفترسوا عباده ومخلوقاته في بقية أيام الأسبوع.

## ١٩- قصة إسلام الكاتب الفرنسي يعقوب ريموند

يذكر الكاتب الفرنسي المعروف يعقوب ريموند أهم الدوافع التي جعلت نفسه تقبل على الإسلام وتتوق روحه العطشى إلى منهل القرآن العذب.. فيقول: لقد وجدت ثلاثة فروق جذرية بين المسيحية والإسلام ساهمت في إقناعي بصدق الإسلام.

الفارق الأول هو: إن المسيحية في الذي تقر وتعترف فيه بكافة الأنبياء تجرد عيسى من النبوة وترفعه إلى مرتبة الإلوهية كما تنكر نبوة محمد ﷺ بالكلية.فلم أجد لذلك أي مبرر. إذ أن حضرة النبي محمد ﷺ يؤمن بجميع الأنبياء السابقين ويؤكد إن الرسالة السماوية التي أنزلت إليه هي الرسالة السماوية الوحيدة التي لا تزال مكنونة لم تمس بسوء.

أما الفرق الثاني فهو: إن المسيحية تنادي بالنظرية القائلة بأن عيسى ابن الله وإنه طرف في التثليث المقدس.وبذلك يكون عيسى في نظرها إلهاً وابن الله في وقت واحد مما يتعذر فهمه. كما أن النظرية تناقض التعاليم التي نادى بها موسى وإبراهيم. فقد علما الناس بأن يعبدوا إلهاً واحداً لا شريك له. كذلك نجم عن التصور بأن عيسى ابن الله نتيجة أخرى هي إقامة الفوارق بين الأنبياء (طبيعتهم وبشريتهم) وتقسيمهم إلى درجات.

وأما الفرق الثالث فهو: إن المسيحية تجعل الكنيسة وسيطاً بين الناس وربهم. فهي تقول لك: اقترف ما شئت من الآثام والكنيسة تعفو عنك وتضمن لك الخلاص والنجاة. ومن هنا فالخالق في تصور النصرانية ليس إلهاً حراً يفعل ما يشاء، بل لا بد للكنيسة أن تقوده – سبحانه – يوم القيامة. وقد وجدت لحسن الحظ تصويباً لهذه الفكرة المضحكة وتصحيحاً لها في

الإسلام. فالدين الإسلامي يبين إن الله واحد لا شريك له، هو الذي سيقضـــي يوم القيامة في الأعمال التي اكتسبها كل ذكر وأنثى في حياتهم الـــدنيا دون أي تدخل أو نفوذ من أية جهة من الجهات. وهذه صفة طبيعية لازمة للخالق تظهر بجلاء لكل ذي فكر صحيح.

ثم سألت نفسي: أين الاستقرار والثبات بالنسبة للدين الذي تظل فيه تعاليمه عرضة للتعديلات المستمرة، حسب ما تقتضيه العادات المتغيـــرة المتقلبـــة. وآخر مثال على هذه التعديلات هو مجلس الفاتيكان الثاني. إذ يتضح من هذا أن الديانة النصرانية تقدم عادات البشر وتقاليدهم وتصفها في منزلة أســـمى من إرادة الله. أما في الإسلام فكلمة الله وإرادة الله هي الأسمى. وممـــا زاد في إقصائي وبعدي عن النصرانية إلى جانب ما تقدم، ما لاحظته بأن أسلوب الحياة المادية البحتة التي انتشرت في أوربا وأمريكا الشمالية في الأوقـــات الحاضرة، قد أدت إلى تحطيم ابسط القيم الإنسانية تحطيماً كاملاً. فينحصـــر اهتمام الناس في الأقطار الأوربية والأمريكية في تحقيق هدف واحـــد فـــي الحياة، وهو تأمين مزيد من وسائل الراحة المادية بصرف النظر عن الغذاء الروحي والنفسي. فترى كل واحد منهم يلهث وراء ملذاته الشخصـــية، دون التفات إلى ما يضر به نفسه والآخرين. كما ينعدم الإحساس بـــالإخوة بـــين الإنسان وأخيه الإنسان. لقد اختفت فكرة رعاية شؤون المجتمع وأصـــبحت النزعة الفردية هي الفلسفة الغالبة المسيطرة في هذا العصر. تلـــك صـــورة مؤسفة أرسمها عن بني وطني إلا إن واجبي كمسلم هو الذي دفعنـــي إلـــى البيان لإخوتي المسلمين في الأقطار الشرقية، كيف كانت الأنانية الحاضـــرة في أوربا وأمريكا نتيجة لتصورها الخاطئ لفكرة الخالق.

أدعو الله أن يأتي اليوم الذي يصبح الإسلام الدين العالمي الوحيد في كافـــة القارات في العالم. وإنني موقن بالإجابة. اللهم حقق ذلك يا رب العـــالمين، فعالمنا اليوم أحوج ما يكون الى نورك وهديك القويم، وإلى تلـــك النتيجـــة الطيبة، التي يسعد بها البشر جميعاً، بدل ذلك الشقاء الـــذي يعيشـــه كلهـــم

**اليوم، بسبب إتّباع خطوات الشيطان في كل مكان.. وأنت أعلم وأحكم بحال الإنسان يا علام الغيوب.**

## ٢٠- قصة إسلام الكاتب الانكليزي وليم بير شل بشير بيكارد

**إن صاحب هذه القصة مؤلف وكاتب مشهور. ومن بين مؤلفاته الأدبية بالانجليزية " ليلة مجنون " و " مغامرات القاسم " وكتاب " عالم جديد " وهو انجليزي تخرج من كانتربوري Canterbury يتحدث بيكارد عن قصة إسلامه فيقول:**

**قال رسول الله ﷺ: ما من مولود إلا ويولد على الفطرة، وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه[1]. لقد مضت سنوات عديدة قبل أن أدرك هذه الحقيقة وأعني بها ولادتي على الفطرة ؟ أي على الإسلام. ففي المدرسة والكلية كنت منهمكاً أكثر مما ينبغي بشؤون اللحظة العابرة ومتطلباتها. ولست أعتبر حياتي في تلك الحقبة من الزمن مشرقة، إلا أنها كانت في تقدم مستمر. فقد تعلمت في البيئة النصرانية الحياة الطيبة. وكنت أبتهج عند تصور الله وتذكر العبادة والصلاح، وإذا كان ثمة شئ أعبده حينئذ، فقد كان ذلك متمثلاً في النبل والشجاعة.**

**وعلى أثر تخرجي من جامعة كامبرج ذهبت إلى أواسط أفريقيا وعينت في إحدى الوظائف الإدارية في محمية أوغندا. وقد عشت في تلك البلاد حياة ممتعة مثيرة إلى درجة لم أكن أحلم بها من قبل في بلادي إنكلترا. واضطرتني الظروف إلى العيش بين إخواني السود الذين كنت أحبهم حباً جماً تبعاً لنظرتهم إلى الحياة التي اتصفت بالبهجة والبساطة. وكان الشرق**

---

[1] معنى الحديث أن ابن آدم يولد على دين الإسلام (دين الفطرة) كما ورد في الآية الكريمة: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم. قالوا بلى شهدنا﴾. الأعراف/ ١٧٢.
ومعنى بقية الحديث أن الأبوين هما اللذان يحولان دين أبنائها أما إلى اليهودية أو النصرانية أو المجوسية.

يستهويني بصورة دائمة. وكنت قد قرأت في كامبرج قصص الليالي العربية (ألف ليلة وليلة) كما قرأتها وحيداً في أفريقيا. كما أن حياة التجــول التــي قضيتها في محمية أوغندا لم تجعل الشرق أقل معزة عندي. ثم قامت الحرب العالمية الأولى فأودت بحياتي الهادئة. إذ أســرعت بــالعودة إلــى أوربــا وتدهورت صحتي. وما أن تم شفائي حتى قدمت طلباً للالتحاق بــالجيش إلا أن طلبي قوبل بالرفض لأسباب صحية. فعوضت ذلك بأن التحقــت بســلاح الفرسان المتطوعين في الجيش وتمكنت بصورة أو بأخرى من النجاح فــي الفحص الطبي، واستلمت حلة عسكرية كجندي في سلاح المشاة مما بعــث السرور في نفسي. وخدمت في فرنسا في الجبهة الغربيــة واشــتركت فــي معركة الصوم Somme التي وقعت عام ١٩١٧ فجرحت فيهــا وأصــبحت أسير حرب. فسافرت عبر بلجيكا إلى ألمانيا وهناك نزلت المستشــفى وفــي ألمانيا شاهدت كثيراً من صور البؤس والألم الذي تعرض له بنــو الإنســان وخاصة الروس الذين أهلكتهم الديزنتاريا (dysentery). وكنت على شــفا الموت من شدة الجوع. ولما كنت أعاني من تمزق في ذراعي الأيمــن، لــم يلتئم جرحي بالحال وإنما استغرق ذلك وقتاً طويلاً، كنت خلاله عديم النفــع بالنسبة للألمان. لذلك أرسلت إلى سويسرا للعــلاج وإجــراء عمليــة فــي المستشفى. وأذكر جيداً كيف كتبت رسالة إلى وطني أثناء إقامتي في ألمانيا، طلبت فيها نسخة من ترجمة جورج سبيل لمعاني القرآن [١] وقد علمت فــي السنوات التالية أنه تم إرسالها لي ولكنها لم تصل بحال من الأحــوال، ثــم تماثلت للشفاء في سويسرا بعد أن أجريت لي عملية في الــذراع والســاق. وأصبح في مقدوري أن أخرج من المستشفى وأتجول. فابتعت نســخة مــن ترجمة سافاري (Savary) الفرنسية لمعاني القرآن، وكانت في نظري أغلى ما أملك. فلقيت من مطالعتها أعظم متعة وابتهجت بها كثيراً حتى غــدوت،

---

[١] وهي ترجمة محرفة بقلم أحد القسس. وخير ترجمة باللغة الانجليزية كانت بقلــم محمــد بكثــال المؤلف الانجليزي المسلم – كما يرى ريموند – واسمها:

( The Meaning Of The Glovisus Koran)

وكأن شعاع الحقيقة الخالد قد أشرق علي بنوره المبارك. ولما لم تزل يـــدي اليمنى متعطلة أخذت أتدرب على كتابة القرآن بيدي اليسرى. ومما يوضـــح مدى تعلقي بالقرآن أن من أعظم الذكريات الحية الباقية فـــي نفســـي مـــن الليالي العربية، قصة الشـــاب الـــذي تـــم اكتشـــافه وحيـــداً فـــي مدينـــة الموتى(المقبرة) وهو جالس يقرأ القرآن من غير أن يحس بما كـــان يـــدور حوله. وفي تلك الأيام التي قضيتها في سويسرا كنت مستسلماً لله بكل معنى الكلمة. وبعبارة أخرى كنت مسلماً. ثم عدت إلى لندن فـــي ديســـمبر عـــام ١٩١٨م عقب توقيع اتفاقية الهدنة. وبعد ذلك بعامين أو ثلاثة أي في عـــام ١٩٢١م التحقت بدورة للدراسة الأدبية بجامعة لندن. وكانت اللغة العربيـــة أحد الموضوعات التي وقع اختياري عليها. فأخذت أستمع للمحاضرات التي ألقيت عن اللغة العربية في كلية الملك (King College). وفي تلك الكليـــة وقف أستاذ اللغة العربية في أحد الأيام وهو المرحوم السيد محمد بلشـــاه – وكان من العراق – فذكر في معرض دراستنا القرآن الكريم فقال: " ســـواء آمنت به أو لم تؤمن به، فلا بد أن تجـــده كتابـــاً ممتعـــاً للغايـــة، وجـــديراً بالدراسة" فكان جوابي على ذلك أن هتفت قائلاً: (آوه! ولكنني أومن به حقاً!) فأدت هذه الملاحظة إلى إثارة الدهشة والاهتمام الشديد في نفـــس الأســـتاذ. فدعاني بعد وقت قصير إلى مرافقته إلى المصلى الكائن في نوتنج هيل جيت (Notting Hill Gate).

وأخذت بعدها أكثر من الذهاب إلى ذلك المصلى. وتعلمت المزيد عن الجانب التطبيقي في الإسلام حتى كان يوم رأس السنة الميلادية الجديدة فـــي عـــام ١٩٢٢م حين أعلنت على الملأ انضمامي إلى امة الإسلام. كان ذلك قبل أكثر من ربع قرن مضى [1]. ومنذ ذلك الحين وأنا أعيش عيشة إســـلامية صـــرفة من الناحيتين النظرية والعملية وبالقدر الذي أستطيع. إن قوة الله وحكمتـــه ورحمته لا حدود لها. وان آفاق المعرفة تمتد أمامنا إلى مـــا وراء الأفـــق.

---

[1] هذا بالنسبة لتاريخ كتابه هذا الحديث من قبل المؤلف.

وإنني على يقين بأن خير لباس يمكننا أن نرتديه في رحلتنا عبر هذه الحياة، هو لباس الإسلام والخضوع لله، وأن نجعل الحمد فوق نواصينا، وأن تكون محبة الله الواحد الأحد ملء قلوبنا.

## ٢١- قصة إسلام الشاعر والصحفي الأمريكي دونالد ركويل

ولد السيد دونالد ركويل في تيلورفيل ( Taylor Ville) في الولايات المتحدة الأميركية، وتلقى علومه في مدرسة " سبرنج فيلد" (Spring Field) العليا بواشنطن.ثم أتم دراساته في جامعات واشنطن وكولومبيا حيث نال جوائز كثيرة. وهو شاعر وناقد أدبي وكاتب صحفي،. وهو يشغل منصب رئيس تحرير مجلة "الشخصيات الإذاعية" وقد تسمى باسم محمد عبد الله بعد إسلامه تيمناً باسم الرسول ﷺ. يحدثنا الشاعر ركويل عن قصة إسلامه فيقول:

لقد جذبتني إلى الإسلام عوامل كثيرة، ودواع مختلفة لا أستطيع حصرها أو الوقوف عليها جميعاً. لأن منها الظاهر الجلي الذي لا يماري فيه إنسان. ومنها الباطن الخفي الذي يغوص في أعماق الروح ويكمن في خبايا الضمير. لقد قرأت عن الإسلام وقرأت القرآن وشيئا من سيرة النبي محمد بن عبد الله ﷺ فلفت نظري أشياء كثيرة، لفت نظري بساطة العقيدة الإسلامية وسهولتها. فليست هناك أسرار ولا ألغاز تؤمن بها ولا تناقشها. بل مرد الإيمان إلى العقل والتفكر والتأمل في الكون، والنظر في ملكوت الله. وان ما في الكون من نظام بديع يهدي – ضرورة – إلى وجود اله متصرف له الخلق والأمر. فإذا عرفت الله وآمنت بوجوده، فالإسلام يقول لك: إن الله أقرب إليك من حبل الوريد. والله يخبرك عن نفسه فيقول: ﴿وإذا سألك عبادي

عني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعانِ﴾.[1] فلا ضرورة من ثم إلى وسيط بينك وبين خالقك، ولا حاجة بك إلى كاهن تعترف له فيقبل التوبة منك. أو هيكل لا تتم العبادة إلا فيه: ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله.﴾ [2]

وراعني حقاً، تلك السماحة التي يعامل بها الإسلام مخالفيه...سماحة في السلم وسماحة في الحرب... ولين بيّن مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى، والجانب الإنساني في الإسلام واضح ملموس في كل وصية من وصاياه وفي كل تشريع جاء به. فالناس وان اختلفوا في حظوظ الدنيا ومتاعها متساوون أمام الله. لا فضل لأحد على آخر بسبب غنى أو جنس أو لون.. وإنما يتفاضلون بالتقوى. وللفقير والعاجز والمحتاج حقه المعلوم على القادرين يؤدونه زكاة واجبة.

والإسلام لا يقعد بمتبعه عن ركب التقدم والعمران، بل يأمر الناس أن يأخذوا بالأسباب. كما قال النبي الكريم ﷺ: (إعقل وتوكل). وهو لا يحرم الإنسان الطيب من متاع الدنيا قال تعالى:

﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ [1]

وقال: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ [2]

كثيرٌ من محاسن الإسلام في عقائده وعباداته ومعاملاته، لا يمكنني حصرها ها هنا، دعتني إلى اعتناق ذلك الدين. وإذا كان ما ينبغي أن أختم به الكلام فهو تلك العظمة التي تطالع كل من يقرأ سيرة الرسول الكريم وتاريخه.. عظمة في الشخصية والربانية.. عظمة في الدعوة لدين الله.. وعظمة في الجهاد في سبيله.. فلا جَرَمَ أن يكون محمد ﷺ خاتم النبيين. وقد أسميت

---

[1] سورة البقرة/ ١٨٦.

[2] سورة البقرة/ ١١٥,

[1] سورة القصص/ ٧٧.

[2] سورة الأعراف/ ٣٢.

نفسي " محمد عبد الله" تيمناً بتلك الشخصية الكريمة وإعجاباً بسجاياها الكاملة.

## ٢٢- قصة إسلام عالم الأجنة الكندي الدكتور كيث مور

البروفيسور الكندي كيث مور هو من أكبر علماء التشريح والأجنة في العالم، وقد حصل على جائزة جرانت من الجمعية الكندية لاختصاصيي التشريح في عام ١٩٨٤م، وهي الجائزة الأكثر أهمية التي قدّمت في حقل علم التشريح في كندا وفي العديد من الجمعيات الدولية، مثل الجمعية الكندية والأمريكية لاختصاصيي التشريح ومجلس إتحاد العلوم الحيوية.

ويتحدث د. كيث مور عن قصة إسلامه فيقول: لقد دُعيتُ مرة لحضور مؤتمر حول الإعجاز العلمي عُقد في موسكو في سنة ١٩٩٥م، فكرهت في بادئ الأمر أن أحضره، لأنه يعقد في مدينة كانت عاصمة الكفر والإلحاد لأكثر من سبعين سنة وقلت في نفسي: ماذا يعلم هؤلاء الناس عن الله حتى ندعوهم إلى ما نادى به القرآن الكريم؟!. فقيل لي: لابد من الذهاب لأن الدعوة قد وجهت إلينا من قبل الأكاديمية الطبية الروسية. فذهبنا إلى موسكو، وفي أثناء استعراض بعض الآيات الكونية وبالتحديد عند قول الله تعالى: ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾[١].

وقف أحد العلماء المسلمين وقال: إذا كانت ألف سنة تساوي قدرين من الزمان غير متكافئين (اليوم وألف سنة) دلّ ذلك على اختلاف السرعة. ثم بدأ يحسب هذه السرعة فقال: ألف سنة.. لابد وأن تكون ألف سنة قمرية

[١] سورة السجدة/ ٥.

لأن العرب لم يكونوا يعرفون السنة الشمسية، والسنة القمرية اثنا عشر شهراً قمرياً، ومدة الشهر القمري هي مدار القمر حول الأرض، وهذا المدار محسوب بدقة بالغة، وهو ٢،٤ بليون كم. فقال: ٢،٤ بليون مضروب في ١٢ -وهو عدد شهور السنة- ثم في ألف سنة، ثم يقسم هذا الناتج على أربع وعشرين-وهو عدد ساعات اليوم- ثم على ستين- الدقائق - ثم على ستين- الثواني -. فتوصل هذا الرجل إلى سرعة أعلى من سرعة الضوء. فوقف أستاذ في الفيزياء- وهو عضو في الأكاديمية الروسية- وهو يقول: لقد كنت أظنني- قبل هذا المؤتمر-من المبرزين في علم الفيزياء، وفي علم الضوء بالذات، فإذا بعلم أكبر من علمي بكثير. ولا أستطيع أن أعتذر عن تقصيري في معرفة هذا العلم إلا أن أعلن أمامكم جميعاً أني:

(أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله).

من الجدير بالذكر أن أربعة من المترجمين، قد تابعوا ذلك العالم وأعلنوا إسلامهم، وهم من الذين لم يتحدث أحد معهم على الإطلاق، وإنما كانوا في غرفهم الزجاجية قابعين، يترجمون الحديث من العربية إلى الروسية والعكس، فجاءوا يشهدون (أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله). ليس هذا فحسب وإنما انتشر في الإعلام بعد ذلك أن التلفاز الروسي قد سجل هذه الحلقات وأذاعها كاملة، فأدت إلى إسلام أكثر من ٣٧ عالماً من أشهر العلماء الروس، الذين أسلموا بمجرد مشاهدتهم لهذه الحلقات[١].

وفي مؤتمر الإعجاز العلمي الأول للقرآن الكريم والسنة المطهرة، والذي عقد في القاهرة عام ١٩٨٦ وقف الأستاذ الدكتور كيث مور ( Keith Moore ) في محاضرته قائلاً: (إنني أشهد بإعجاز الله في خلق كل طور من أطوار القرآن الكريم، ولست أعتقد أن محمداً ﷺ أو أي شخص آخر

[١] انظر كتاب: الذين هدى الله/ د. زغلول النجار.

يستطيع معرفة ما يحدث في تطور الجنين لأن هذه التطورات لم تكتشف إلا في الجزء الأخير من القرن العشرين، وأريد أن أؤكد على أن كل شيء قرأته في القرآن عن نشأة الجنين وتطوره في داخل الرحم، ينطبق على كل ما أعرفه كعالم من علماء الأجنة البارزين). علماً أن مراحل خلق الإنسان التي ذكرها القرآن هي سبع مراحل. وقد أثبت علم الأجنة هذه المراحل وصحتها وتطابقها مع المراحل المذكورة في القرآن. وهذه المراحل هي:

١- أصل الإنسان (سلالة من طين) ٢- النطفة ٣- العلقة ٤- المضغة ٥- العظام ٦- الإكساء باللحم ٧- النشأة. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا، ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [١].

لقد كان الدكتور كيث مور وهو أحد الحضور في هذا المؤتمر العلمي العالمي، من أشهر علماء علم الأجنة والتطور الجنيني داخل الرحم، وكان طبيباً بارزاً يعرفه كل أطباء العالم تقريباً، وله كتاب يدرس في معظم كليات الطب في العالم، وقد ترجم هذا الكتاب لأكثر من ٢٥ لغة، فهو صاحب الكتاب الشهير: (The Developing Human).

وفي مؤتمر الإعجاز العلمي في موسكو سنة (١٩٩٥م) وقف كيث مور وسط ذلك الجمع قائلاً: "إن التعبيرات القرآنية عن مراحل تكون الجنين في الإنسان لتبلغ من الدقة والشمول ما لم يبلغه العلم الحديث، وهذا إن دلّ علي شئ فإنما يدلّ على أن هذا القرآن لا يمكن أن يكون إلا كلام الله، وأن محمداً رسول الله"

---

[١] سورة المؤمنون ١٢ـ١٤.

فقيل له: هل أنت مسلم؟؟!. قال: لا.. ولكني أشهد أن القرآن كــلام الله وأن محمداً مرسل من عند الله. فقيل له: إذاً فأنت مسلم، قال: أنا تحــت ضــغوط اجتماعية تحول دون إعلان إسلامي الآن، ولكن لا تتعجبوا إذا سمعتم يومــاً أن كيث مور قد دخل الإسلام. وقد أعلن الدكتور كيث مور إسلامه –فعــلاً– بعد سنة من ذلك البحث الطبي الفريد الذي قدّمه للمؤتمر والحمــد لله. وقــد اعتبر المؤتمر الخامس للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، والذي عقد فــي موسكو (أيلول ١٩٩٥) هذا التقسيم القرآني لمراحل خلق الجنين وتطــوره صحيحاً ودقيقاً، وأوصى في مقرراتــه علــى اعتمــاده كتصــنيف علمــي للتدريــــس.

إن الدكتور كيث مور Keith Moore الذي هو من أشهر علماء التشــريح وعلم الأجنة في العالم – كما ذكرنا– ورئيس هذا القسم في جامعة تورنتــو بكندا، قد ألف – فيما بعد – كتاباً يدعو إلى الإيمان بأن القــرآن كتــاب الله المعجز. وهو يعد من أهم المراجع الطبية في هذا الاختصاص يحمل عنوان: (مراحل خلق الإنسان _ علم الأجنة السريري) وضمنه ذكر هــذه المراحــل المذكورة في القرآن، وربط في كل فصل من فصول الكتاب التي تتكلم عــن تطور خلق الجنين، بين الحقائق العلمية والآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتعلقة بها، وشرحها وعلق عليها بالتعاون مع الشيخ الدكتور عبد الكــريم الزنداني وزملائه[1].

---

[1] كتاب: الذين هدى الله/ د. زغلول النجار، وكتاب: رجال ونساء أسلموا/ غوريغورس بن أهرون. إعداد وترجمة د. عرفات كامل العشي.

## ٢٣- قصة إسلام عالم التشريح التايلندي تاجاتات تاجسن

إن البروفيسور تاجاتات تاجاسون هو رئيس قسم علم التشريح في جامعة شيانك في تايلاند، وقد أدلى بشهادته بأن هذا الكلام الموجود في القرآن، لا يمكن أن يصدر من بشر، ثم نطق بالشهادتين، بعد قصة مثيرة عن سبب إسلامه وإذعانه لإعجاز القرآن. والقصة باختصار هي:

قام بعض الدعاة المتحمسين لنشر الإسلام وإعجاز كتاب الله العزيز، بالاتصال بالبروفيسور التايلندي تاجاتات تاجاسون، وعرضوا عليه بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتصلة بمجال تخصصه في علم التشريح وبعد أن أجاب على تساؤلاتهم قال:

- نحن كذلك يوجد في كتبنا البوذية المقدسة أوصافاً لأطوار الجنين.

فقالوا له:

- نحن في شوق لأن نقف على ما جاء في تلك الكتب.

وفي اللقاء القادم في العام التالي عندما جاء لغرض الامتحان خارجياً لطلاب كلية الطب بجامعة الملك عبد العزيز سألناه عما وعدنا به، وفى أمانة علمية جديرة بالاحترام أجاب:

- أنا أقدم لكم اعتذاري عن معلوماتي السماعية، لقد أجبتكم دون أن أتأكد من هذه المعلومات، ولكنى بالرجوع إلى تلك الكتب لم أجد شيئاً حول ذلك الموضوع.

عندئذٍ قدم له هؤلاء محاضرة كان قد أعدها البروفيسور كيث مور أستاذ علم التشريح بجامعة تورنتو بكندا، وعنوانها مطابقة علم الأجنة لما في القرآن والسنة وسألناه هل تعرف البروفيسور مور؟.. فأجاب على الفور:

- بالطبع إنه من كبار العلماء المشهورين في هذا التخصص، وهو مرجع عالمي وإني لمندهش مما سجله هنا في هذه المحاضرة.

ثم سألوه عدداً من الأسئلة في مجال تخصصه كان من بينها ذلك السؤال المتعلق بالجلد:

- هل هناك مرحلة ينعدم عندها الإحساس بألم الحرق؟؟.. فقال:

- نعم إذا كان الحرق عميقاً ودمر عضو الإحساس بالألم.. فبادروه بالقول:

- حسناً ما رأيك إذن أن القرآن الكريم الذي عند تاريخ نزوله على محمد ﷺ لأكثر من ألف وأربعمائة عام، قد أشار إلى تلك الحقيقة العلمية عندما ذكر الطريقة التي سيعاقب الله به الكافرين يوم القيامة حيث يقول: ﴿إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب﴾[1].

فالقرآن هنا يقرر أنه عندما ينضج الجلد يخلق الله للكفار جلداً جديداً كي يتجدد إحساسهم بالألم، وذلك تأكيد من جانب القرآن على أن الأطراف العصبية التي تجعل الإنسان يشعر بالألم موجودة في الجلد.. فقال:

- هذا أمر يدعو للدهشة والغرابة حقيقة، فتلك معرفة مبكرة جداً عن مراكز الإحساس والأعصاب في الجلد ولا أدري كيف ذكر قرآنكم هذه الحقيقة العلمية!!..

- ترى أيمكن أن تكون هذه المعلومات قد استقاها محمد نبي الإسلام من مصدر بشرى؟.

- بالطبع لا ففي ذلك الوقت لم تكن هناك معارف بشرية حول هذا الموضوع.

- من أين إذن وكيف عرف ذلك.

---

[1] سورة النساء/ ٥٧.

**– المؤكد عندي هو استحالة المصدر البشرى ولكنى أسألكم أنتم من أين تلقى محمد هذه المعلومات الدقيقة.. فقالوا له:**

**– من عند الله.. فقال لهم:**

**– الله!!.. ومن هو الله؟.**

**وبعد أن شرحوا له المفهوم الإسلامي للفظ الجلالة الأعظم راقته تلك الرؤية وعاد إلى بلاده، ليحاضر عن هذه الظاهرة القرآنية التي عايشها وتأثر بها، حتى جاء موعد المؤتمر الطبي السعودي الثامن، واستمع في الصالة الكبرى التي خصصت للإعجاز على مدى أربعة أيام لكثير من العلماء، ولاسيما غير المسلمين يحاضرون عن ظاهرة الإعجاز العلمي، وفى ختام جلسات المؤتمر وقف البروفيسور (تاجاتات تاجاسون) يعلن ويقول: بعد هذه الرحلة الممتعة والمثيرة فإني أؤمن أن كل ما ذكر في القرآن الكريم، يمكن التدليل على صحته بالوسائل العلمية، وحيث أن محمداً نبي الإسلام كان أمياً، إذن لابد أنه قد تلقى معلومات عن طريق وحى من خالق عليم بكل شئ. وإنني أعتقد أنه حان الوقت لأن أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله[1].**

---

[1] انظر كتاب: رجال ونساء أسلموا/ غوريغورس بن أهرون.إعداد وترجمة د. عرفات كامل العشي. وانظر شهادته المصورة في الموقع على الانترنت: http://alhakekah.com/aduio/tejasen-1-56k[1].ram

## ٢٤- قصة إسلام أستاذ القانون الألماني د. هوفمـــان

هوفمان هو دكتور في القانون من جامعة هارفرد، وكان سفير ألمانيـا فـي المغرب، من مؤلفاته بعد إسلامه: (يوميات مسلم ألماني) ، و(الإسلام عـام ألفين) و(الطريق إلى مكة) وكتاب (الإسلام كبديل) الذي أحدث ضجة كبيـرة في ألمانيا.

لقد أصبح اسم الدكتور هوفمان بعد إسلامه (مراد هوفمان) وكتبه على جميع كتبه التي نشرها بعد إسلامه.

تعرض د. هوفمان قبل إسلامه لحادث مرور مروّع، فقال له الطبيب الجراح بعد أن أنهى إسعافه: "إن مثل هذا الحادث لا ينجو منه في الواقع أحد، ويبدو أن الله يدّخر لك يا عزيزي شيئاً خاصاً جداً" [١].

لما أشهر إسلامه حاربته الصحافة الألمانية محاربة ضارية، وحتى أمه لمـا أرسل إليها رسالة، أشاحت عنها بقولهـا القاسـي وقالـت: "ليبـق عنـد العرب! [٢]. ولكن هوفمان لم يكترث بكل هذا، فنراه يقول: "عندما تعرضـت لحملة طعن وتجريح شرسة في وسائل الإعلام بسبب إسلامي، لـم يسـتطع بعض أصدقائي أن يفهموا عدم اكتراثي بهذه الحملة، وكان يمكن لهم العثور على التفسير في هذه الآية: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [٣].

---

[١] الطريق إلى مكة/ مراد هوفمان، ص ٥٥.

[٢] انظر كتاب: ربحت محمدا ولم أخسر المسيح/ د. عبد المعطي الدالاتي، نقلاً عن مجلة (المجلة) العدد ٣٦٦ ، مقال: هل حان الوقت لكي نشهد إسلاماً أوربياً؟/ فهمي هويدي.

[٣] الطريق إلى مكة/ مراد هوفمان ص (٤٩) .

يتحدث هوفمان عن التوازن الكامل والدقيق بين المادة والروح في الإسلام، فيقول: "ما الآخرة إلا جزاء العمل في الدنيا، ومن هنا جاء الاهتمام في الدنيا، فالقرآن يلهم المسلم الدعاء للدنيا، وليس الآخرة فقط، فيقول في القرآن: ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ .. وحتى آداب الطعام والزيارة تجد لها نصيباً في الشرع الإسلامي" [1] . "إن الانتشار العفوي للإسلام هو سمة من سماته البارزة على مر التاريخ، وذلك لأنه دين الفطرة المنزّل على قلب المصطفى ﷺ" [2] .

"الإسلام دين شامل وقادر على المواجهة، وله تميزه في جعل التعليم فريضة، والعلم عبادة.. وإن صمود الإسلام ورفضه الانسحاب من مسرح الأحداث، عُدَّ في جانب كثير من الغربيين خروجاً عن سياق الزمن والتاريخ، بل عدّوه إهانة بالغة للغرب!!" [3] .

"من أكثر ما يُذهل المستشرق في القرآن، تفصيله الدقيق لحماية الأقليات من أهل الكتاب في المجتمع الإسلامي، وفي ذلك الدليل الساطع على سعة هذا الدين وتسامحه" [4] .

---

(1) الإسلام كبديل/ مراد هوفمان ص (٥٥-١١٥) .

(2) يوميات مسلم ألماني/ مراد هوفمان .

(3) الطريق إلى مكة/ مراد هوفمان ص ١٤٨.

(4) الإسلام كبديل/ مراد هوفمان، ص، ١٢٤.

"في عيد الأضحى ينظر العالم الغربي إلى تضحية المسلمين بحيوان على أنه عمل وحشي، وذلك على الرغم من أن الغربي ما يزال حتى الآن يسمي صلاته (قرباناً)! وما يزال يتأمل في يوم الجمعة الحزينة لأن الرب (ضَحَّى) بابنه من أجلنا!!"[(١)] .

"لا تستبعد أن يعاود الشرق قيادة العالم حضارياً، فما زالت مقولة (يأتي النور من الشرق) صالحة[(٢)] .. إن الله سيعيننا إذا غيرنا ما بأنفسنا، ليس بإصلاح الإسلام، ولكن بإصلاح موقفنا وأفعالنا تجاه الإسلام..[(٣)] وإذا ما أراد المسلمون حواراً حقيقياً مع الغرب، عليهم أن يثبتوا وجودهم وتأثيرهم، وأن يُحيوا فريضة الاجتهاد، وأن يكفوا عن الأسلوب الإعتذاري والتبريري عند مخاطبة الغرب، فالإسلام هو الحل الوحيد للخروج من الهاوية التي تردّى الغرب فيها، وهو الخيار الوحيد للمجتمعات الغربية في القرن الحادي والعشرين"[(٤)] .

---

(١) الطريق إلى مكة/ مراد هوفمان، ص ٩٢.

(٢) الإسلام كبديل/ مراد هوفمان، ص ١٣٦.

(٣) الإسلام عام/ مراد هوفمان ٢٠٠٠، ص ١٢.

(٤) مجلة (الكويت) العدد (١٧٤) .

## ٢٥- قصة إسلام العالم البريطاني آرثر أليسون:

عندما حضر البروفيسور "آرثر أليسون" رئيس قسم الهندسة الكهربائية والإلكترونية بجامعة لندن إلى القاهرة عام ١٩٨٥م، ليشارك في أعمال المؤتمر الطبي الإسلامي الدولي حول الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، كان يحمل معه بحثه الذي ألقاه، وتناول فيه أساليب العلاج النفسي والروحاني في ضوء القرآن الكريم، بالإضافة إلى بحث آخر حول النوم والموت والعلاقة بينهما في ضوء الآية القرآنية الكريمة:

﴿اللهُ يتوفّى الأَنفُسَ حينَ مَوتِها والتي لَم تَمُت في مَنامِها فيُمسكُ التي قضى عليها الموتَ ويُرسِلُ الأُخرى إلى أجلٍ مسمى إن في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكرون﴾[١] .

والغريب في الأمر أنه لم يكن – وقتئذ – قد اعتنق الإسلام، وإنما كانت مشاعره تجاهه لا تتعدى الإعجاب به كدين.

وبعد أن ألقى بحثه جلس يشارك في أعمال المؤتمر، ويستمع إلى باقي البحوث التي تناولت الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، فتملكه الانبهار وقد ازداد يقينه بأن هذا هو الدين الحق.. فكل ما يسمعه عن الإسلام يدلل بأنه دين العلم ودين العقل. فلقد رأى هذا الحشد الهائل من الحقائق القرآنية والنبوية، والتي تتكلم عن المخلوقات والكائنات، والتي جاء العلم فأيدها، فأدرك أن هذا لا يمكن أن يكون من عند بشر.. وما جاء به محمد ﷺ من أربعة عشر قرناً يؤكد أنه رسول الله حَقّاً..

وأخذ "أليسون" يستفسر ويستوضح من كل مَن جلس معه، عن كل ما يهمه أن يعرفه عن الإسلام كعقيدة ومنهج للحياة في الدنيا..

---

[١] سورة الزمر/ ٤٢.

حتى لم يجد بُداً من أن يعلن عن إيمانه بالإسلام..
وفي الليلة الختامية للمؤتمر، وأمام مراسلي وكالات الأنباء العالمية، وعلى شاشات التليفزيون، وقف البروفيسور "آرثر أليسون" ليعلن أمام الجميع أن الإسلام هو دين الحق.. ودين الفطرة التي فطر الله الناس عليها.. ثم نطق بالشهادتين أمام الجميع بصوت قوي مؤمن:
"أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله".
وفي تلك اللحظات كانت تكبيرات المسلمين من حوله ترتفع، ودموع البعض قد انهمرت خشوعاً ورهبة أمام هذا الموقف الجليل.
ثم أعلن البروفيسور البريطاني عن اسمه الجديد "عبد الله أليسون".. وأخذ يحكي قصته مع الإسلام فقال:
إنه من خلال اهتماماتي بعلم النفس، وعلم ما وراء النفس، حيث كنت رئيساً لجمعية الدراسات النفسية والروحية البريطانية لسنوات طويلة.. أردت أن أتعرف على الأديان، فدرستها كعقائد، ومن تلك العقائد عقيدة الإسلام، الذي وجدته أكثر العقائد تمشياً مع الفطرة التي ينشأ عليها الإنسان.. وأكثر العقائد تمشياً مع العقل، من ذلك أيضاً أن هناك إلهاً واحداً مهيمناً ومسيطراً على هذا الوجود.. ثم إن الحقائق العلمية التي جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية – من قبل أربعة عشر قرناً – قد أثبتها العلم الحديث الآن، وبالتالي يتأكد لكل ذي لبٍّ أن ذلك لم يكن من عند بشر على الإطلاق، وأن النبي محمداً ﷺ هو رسول الله.
ثم تناول "عبد الله أليسون" جزئية من بحثه الذي شارك به في أعمال المؤتمر، والتي دارت حول حالة النوم والموت من خلال الآية الكريمة: ﴿اللهُ يَتَوفَّى الأنفسَ حينَ مَوتِها والتي لم تَمُت في مَنامِها فيُمسِكُ التي قضى عليها المَوتَ ويُرسِلُ الأخرى إلى

أجلٍ مسمىً إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون.}[1]. فأثبت "أليسون" أن الآية الكريمة تذكر أن الوفاة تعني الموت، وتعني النوم، وأن الموت وفاة غير راجعة في حين أن النوم وفاة راجعة... وقد ثبت ذلك علمياً من خلال الدراسات الباراسيكولوجية والفحوص الإكلينيكية من خلال رسم المخ، ورسم القلب، فضلاً عن توقف التنفس الذي يجعل الطبيب يعلن عن موت هذا الشخص، أم عدم موته في حالة غيبوبته أو نومه. وبذلك أثبت العلم أن النوم والموت عملية متشابهة، تخرج فيها النّفسُ (الروح) وتعود في حالة النوم ولا تعود في حالة الموت.

ثم قرر العالم البريطاني المسلم البروفيسور "عبد الله أليسون" أن الحقائق العلمية في الإسلام هي أمثل وأفضل أسلوب للدعوة الإسلامية، ولا سيما للذين يحتجون بالعلم والعقل.

ولذلك أعلن البروفيسور "عبد الله".. أنه سيقوم بإنشاء معهد للدراسات النفسية الإسلامية في لندن على ضوء القرآن المجيد والسنة النبوية.. والاهتمام بدراسات الإعجاز الطبي في القرآن والسنة، ولكي يوصل تلك الحقائق إلى العالم الغربي الذي لا يعرف شيئاً عن الإسلام.

كما وعد بإنشاء مكتبة إسلامية ضخمة باللغتين العربية والإنجليزية للمساعدة في إجراء البحوث العلمية في مجالات الإعجاز العلمي المختلفة وأسلمة العلوم عموماً[2].

---

[1] سورة الزمر/ ٤٢.

[2] انظر للتفصيل كتاب: رجال ونساء أسلموا/ غوريغورس بن أهرون.
إعداد وترجمة د. عرفات كامل العشي.

## ٢٦- قصة إسلام العالم الجيولوجي الألماني ألفريد كرونير

العالم البروفسيور الفريد كرونير من أشهر علماء الجيولوجيا فـي العـالم.. حضر مؤتمراً جيولوجياً في كلية علوم الأرض في جامعة الملك عبد العزيز.. وقال له أحد المشاركين المسلمين في المؤتمر: هل عندكم حقـائق علميـة تشير إلى أن جزيرة العرب كانت بساتين وأنهارا، هذه الصحراء التي ترونها كانت قبل ذلك بساتين وحدائق؟.. فقال : نعم هذه مسألة معروفـة عنـدنا.. وهي حقيقة من الحقائق العلمية وعلماء الجيولوجيا يعرفونهـا.. وأنـك إذا حفرت في أي منطقة تجد الآثار التي تدلك على أن هذه الأرض كانت مروجا وأنهارا، والأدلة كثيرة.. ولعلمك فانه من ذلك العالم الموغل في القدم الـذي كان يسود الجزيرة، مناطق آثارية عديدة، منها قرية الفاو التـي اكتشـفت تحت رمال الربع الخالي.. وهناك أدلة أخرى كثيرة في هذه الظاهرة. فقـال له: وهل عندك دليل على أن بلاد العرب ستعود مروجا وأنهارا؟.. قال: هذه مسألة علمية ثابتة نعرفها نحن الجيولوجيون ونقيسها ونحسبها، ونسـتطيع أن نقول ونحدد العصر بالتقريب حين كان ذلك الحال واقعا حقيقيا في أرض الجزيرة.. وهي مسألة ليست بعيدة بل قريبة للدارسين والمطلعـين مـنكم.. قلت: لماذا ؟.

قال: لأننا درسنا تاريخ الأرض في الماضي، فوجدنا أنها تمر بأحقاب متعددة من ضمن هذه الأحقاب المتعددة.. حقبة تسمى العصور الجليدية. فما معنـى العصر الجليدي؟ معناه: أن كمية من ماء البحر تتحول إلى ثلج وتتجمع فـي القطب المتجمد الشمالي ثم تزحف نحو الجنوب، وعندما تزحف نحو الجنوب تغطي ما تحتها وتغير الطقس في الأرض، ومن ضمن تغيير الطقس تغييـر يحدث في بلاد العرب، فيكون الطقس باردا، وتكون بلاد العرب من أكثر بلاد

العالم أمطارا وأنهارا. ويقول المحاور: أربط بين السيول والأمطار في منطقة أبها وبين تلك التي تحدث في شمال أوروبا، وأنا أتأمل فيما يقول..

فقال له: هل تؤكد لنا هذا؟.. قال: نعم.. هذه حقيقة علمية لا مفر منها! فقال له: اسمع يا بروفسور هذا الحديث النبوي الذي يشير إلى ما قلت.. فمن أخبر محمدا ﷺ بذلك؟.. هذا كله الذي ذكرته وجوهره مذكور في حديث نبوي رواه مسلم. يقول ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً. فمن قال لمحمد ﷺ أن أرض العرب كانت مروجا وأنهارا ؟!..

ففكر وقال: الرومان..

فقلت له: ومن أخبره بأن أرض العرب ستعود مروجا وأنهارا..

ففكر وفكر وقال: فيه رب فوقنا هو الذي عنده هذا العلم الذي تعلمناه نحن البشر وكشفنا ما كان مجهولاً حتى وقت قريب!!..

وهنا قال له الداعية المسلم: اكتب ما ذكرت يا بروفسور..

فكتب بخطه: لقد أدهشتني الحقائق العلمية التي رأيتها في القرآن والسنة، ولم نتمكن من التدليل عليها إلا في الآونة الأخيرة بالطرق العلمية الحديثة، وهذا يدل على أن النبي محمداً ﷺ لم يصل إلى هذا العلم إلا بوحي علوي..

قال العالم المسلم الدكتور عبد المجيد الزنداني: أيها الإخوة الكرام: هذا موقف العالم الألماني الكبير الذي كان ينكر الدين والإيمان به، وقد تضاعف شعوري بمسئولية الأمة الإسلامية أمام دينها، وأنا أرى قيادات العالم الكبار ما أن تقوم لهم الحقائق حتى يسلموا.. ليس فقط يسلموا بل وينشروا ويكتبوا في كتبهم دون مبالاة.

قال المحاور جزاه الله عن الإسلام خيرا: فقلت في نفسي: لو أن هنالك عملا جادا من أمة الإسلام ومن الجامعات العربية والإسلامية، فلن تمر عشر

سنوات أو خمس عشرة سنة، إلا وثلـث علمـاء الأرض، سـيكونون مـن المسلمين. والله يا إخوة الإيمان.. ما مر بيني وبين هذا العالم الألماني سوى ساعتين ونصف ساعة حتى قال هذا كله.. وهذا عملاق من عمالقة العلـم. ويكتب هذا ويقره. وهذا يدل على أن هناك علما واحدا وحقيقة واحدة وإلها واحدا هو رب العالمين الذي أرسل النبي محمداً ﷺ رحمة للعالمين. ولو أن هناك دعوة قوية وحركة وعملا متواصلا من المسلمين، لوجـد مـا يثبـت للعالم، أنه بيدنا الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفـه. إن هذا العصر عصر علم وتداخل ثقافات، عصر يتفاعل مـع مـا جـاءت بـه الرسالة الإسلامية من حقائق وعلوم وأمور اعجازية، وهو عصر خضع فيه كل شيء للعلم، ولكننا بإذنه تعالى وبجهود العلماء الدعاة، في بدايات عصر خضوع العلم للإسلام وللقرآن الحق، ولكنا لازلنا غير مستثمرين لتلك الميزة المسخرة لصالح كتاب الله وسنة نبيه.

انه القرآن الذي يقوم وحده فيبشر الناس ويدعوهم إلى النور ويـدعو إلـى التي هي أقوم، ويكشف الضمأ الذي يعيشه الإنسان لهذا الـدين ولـو كـره الكافرون.. قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد ﴾[١].

---

[١] سورة فصلت/ ٥٣.

## الحقائق العلمية والجيولوجية

– يذكر علماء الجيولوجيا أنه قد مرّ على الأرض منذ عشرة آلاف سنة عصر جليديّ بدأ رحلته من القطب الشمالي ووصل إلى الجزيرة العربية، فحوّلها إلى أنهار وبساتين.

– مر على الأرض مرحلة جليدية خفيفة بدأت في القرن السادس عشر وامتدّت لثلاثة قرون كان ذروتها في سنة ١٧٥٠.

– إن الأعاصير الثلجية التي تضرب أوروبا وأمريكا علامة على بداية عصر جليدي آخر، تعود به شبه الجزيرة العربية كما كانت منذ عشرة آلاف سنة مروجاً وأنهاراً.

– تم اكتشاف قرية الفاو في الربع الخالي في جزيرة العرب، حيث كانت مدفونة تحت جبال من الرمال، فاعتبرت دليلاً على وجود حياة سابقة هناك.

– وقد نشر أحد الباحثين حول هذا الموضوع في مجلة الوعي الاسلامي قبل سنين مقالاً يشير فيه، إلى تلك الحقائق الآثارية والتاريخية لتاريخ جزيرة العرب القديم. ويذكر أن علماء الآثار وجدوا تحت أرض الربع الخالي، قرية عاد التي سكنها قوم هود (عليه السلام)، الذين ذكرهم القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد . إرم ذات العماد . التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾[1].

---

[1] سورة الفجر/ ٥ – ٨.

**التفسير العلمي للظاهرة:**

قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً[1] .إن هذا الحديث النبوي يشير بوضوح إلى أن منطقة شبه الجزيرة العربية كانت فيما مضى مملوءة بالأنهار والبساتين، وأنها ستعود كما كانت قبل أن تنتهي الحياة على هذه الأرض.

ترى ماذا يقول علماء الجيولوجيا عن هذا التقرير النبوي؟

يذكر العلماء الجيولوجيون أنه مر على كوكب الأرض عدة عصور جليدية كان آخرها منذ عشرة آلاف سنة، وهو زمن تحوّلت فيه كمية من البحار إلى ثلوج تراكمت في القطب المتجمد الشمالي. ثم أخذت هذه الثلوج بالزحف نحو الجنوب باتجاه أوروبا وأمريكا، حتى وصلت إلى شبه جزيرة العرب، والتي أصبحت عندئذ أكثر مناطق العالم من حيث الأمطار والأنهار، فكثرت فيها البساتين والمروج. وقد أجملت الموسوعة البريطانية وصف هذه الظاهرة فذكرت ما ترجمته أن تغيرات المناخ والطقس كانت كبيرةً بالقرب من المناطق الجليدية التي امتدت نحو الجنوب وتسببت بتغير المناخ فيه وظهور حياة نباتية جديدة. ويشير الجيولوجيون أيضاً إلى أن العواصف الثلجية التي تضرب أوروبا وأمريكا اليوم، علامة على بداية عصر جليدي آخر، وأن هذا العصر الجليدي عندما يكتمل، ستصبح البلاد العربية أكثر المناطق من حيث الأنهار والبساتين. وتم اكتشاف قرية الفاو -كما أشرنا آنفاً- في الربع الخالي بالصحراء السعودية، والتي كانت تحت جبال من الرمال، حيث قدّر الجيولوجيون أن الرمال الموجودة في الصحراء العربية، توجد تحتها أنهار وأشجار اندرست بفعل تكاثف الرمال فوقها. وقد استغرب

---

[1] رواه مسلم.

الجيولوجي الألماني "كرونير" (Kroner) عندما عُرِضت عليه ترجمة هذا الحديث النبوي الشريف "لا تقوم الساعة حتى تعود بلاد العرب مروجاً وأنهاراً" وأنها ستعود كما كانت؟.. فأجاب الدكتور كرونير: إن هذا لا يمكن أن يصدر إلا بوحي" . إن شهادة هذا العالم الجيولوجي الألماني تصديق لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى القرآن مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾[1] وقوله أيضاً: ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ .

**ما هو وجه الإعجاز في حديث المروج والأنهار:**

ان وجه الإعجاز العلمي في الحديث النبوي، هو قوله عليه الصلاة والسلام: "حتى تعود" والعودة لا تكون إلا بعد ذهاب أي كينونة سابقة، فبلاد العرب كانت مروجاً وأنهاراً وستعود كما كانت، وهذا ما كشفه علماء الجيولوجيا في القرن العشرين.

**ما جاء في المراجع العلمية عن الظاهرة:**

جاء في الموسوعة البريطانية ما ترجمته:

" هل كانت بلاد العرب مروجاً وأنهاراً؟

١- من أهم مظاهر العصر الجليدي الأخير (١,٦٠٠,٠٠٠ إلى ١٠,٠٠٠ سنة ماضية) كان التمدد والانكماش المتكرران لغطاء الأرض الجليدي، هذه التغيرات الجليدية أثرت على المحيط الجيولوجي والمناخي والبيولوجي، وعلى تطور البيئة الإنسانية الأولى. اعتمد العصر الجليدي في تغيراته على تحرك القشرة الجليدية. فكل كندا تقريبا، والثلث الشمالي من الولايات المتحدة، ومعظم أوروبا، وكل اسكندنافيا، ومناطق كبيرة من شمال سيبريا

[1] سورة النمل/ ٦.

كانت مغطاة بالجليد خلال العصور الجليدية. وفي زمن ما، خلال العصر الجليدي كان ٣٠% من أرض الكوكب الأرضي مغطى بالجليد، وأحياناً كان الغطاء الجليدي يتقلص إلى أقل مما هو موجود اليوم.

٢- تغير المناخ: إن التغيرات البيئية المصحوبة بتغير المناخ، سببت اضطرابات قوية لطيور الفاونا والفلورا على اليابسة وفي المحيطات. هذه الاضطرابات كانت كبيرة قرب القشور الجليدية الأمامية التي امتدت إلى الجنوب وسببت في تغيّر المناطق المناخية والنباتية.

وفي المناطق المعتدلة في وسط أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، حيث توجد غابات صغيرة اليوم، كانت الخضرة والنباتات مشابهة لنباتات المنطقة الشمالية التاندرا ذات الأعشاب والحشائش والقليل من الأشجار خلال العصور الجليدية. وجنوباً كانت توجد مناطق واسعة من الغابات ذات النسب المتفاوتة من شجر الصنوبر وغيرها، والتي امتدت إلى البحر الأبيض المتوسط في أوروبا وشمال لويزيانا في شمال أمريكا.

٣- العصر الجليدي الصغير:

ان عدد من العصور الجليدية المهمة، حصلت خلال تاريخ كوكب الأرض، أولها كان منذ حوالي ٥٧٠ مليون سنة، وأقربها منذ حوالي (١,٦٠٠,٠٠٠ سنة وانتهى منذ ١٠,٠٠٠ سنة). مر على الأرض عصر أشبه ما يكون بالعصور الجليدية سُمِّيَ بالعصر الجليدي الصغير، في القرن السادس عشر واستمر لثلاثة قرون، وصل إلى ذروته في عام ١٧٥٠م حيث كان الغطاء الجليدي منتشراً انتشاراً كبيراً على سطح الأرض أكثر من أي وقت مضى منذ العصور الجليدية الأساسية".

٤- وتقول نظرية (كيتاني) العلمية المعروفة، أن شبه الجزيرة العربية كانت ذات ماء وأنهار وأشجار في العصور القديمة التي واكبت وتلت العصر

الجليدي الرابع في الأرض، وأن مناخ الجزيرة قد تغير بعد ذلك العصر، بسبب الحركات التكوينية (زلازل وبراكين) وتغير المناخ بعد عصر ظهور الإنسان على الأرض[1]. يقول العالم الايطالي (كيتاني) أن مظان المياه تحولت إلى البحر الأحمر، وبذلك بقي سكان الجزيرة وبادية الشام أناس تكفيهم بعض المياه المتوفرة، وهم (العرب الباقية).. وخرج أقوام آخرون وعبروا إلى مياه دجلة والفرات وسيمان وجيحان والعاصي والأردن والنيل وهم العرب العاربة. أما العرب البائدة فإنهم لم يبيدوا بفترة واحدة بل في فترات مختلفة كسكان أوغاريت وماري وإيبلا وقبائل جرهم وجديس وطسم ومدين والعمالقة وغيرهم من الأقوام الذين وردت أسمائهم في المدونات التاريخية القديمة، وهؤلاء العرب البائدة هم من العرب الباقية والعرب العاربة. أما العرب المستعربة كقريش وثقيف وخزاعة وغيرهم ممن جاورهم، فإنهم استعربوا لمياه مكة السطحية والجوفية وسكنوا فيها. وهذا التفسير لأقسام العرب له صلة بمعنى لفظة عرب التي تشير إلى الماء الصافي والصفاء ووفرة الماء والزرع والكلأ الذي ساد في العصرور القديمة، منذ عصر آدم وما بعده لما بعد الطوفان في عصر نوح عليهما السلام[2].

---

١ أي عصر آدم الذي تؤكد الأدبيات الإسلامية أنه عاش وذريته في حدائق وجنان وبساتين ومراعي مكة (أم القرى) وما حولها من أرض الجزيرة.

[2] انظر: ملامح في فقه اللهجات العربيات/ د. محمد بهجت قبيسي، ص ٤٠٦.

## ٢٧- قصة إسلام المغني البريطاني المعروف كات ستيفنز وزمر أخرى من قافلة المهتدين في الغرب:

كات ستيفنز المغني البريطاني الشهير، وقد لُقب بمطرب القارتين، وحاز على ١٧ أسطوانة ذهبية، بعد إسلامه أنشأ مدرسة إسلامية للأطفال في لندن، وأنشأ مؤخراً ثانوية للبنات وأخرى للبنين، وهي الأولى من نوعها في بريطانيا.

كان كات ستيفنز يسبح يوماً في البحر، فأوشك على الغرق، فدعا ربه دعاء مضطر غريق: "يا رب إن أنقذتني فسوف أخدم دينك الحق" فجاءته موجة قوية حملته وقذفت به على الشاطئ، ثم حملته موجة الهداية إلى شاطئ الإسلام، وذلك بعد أن أصيب بمرض السل، فأهداه أخوه وكان في زيارة للقدس نسخة من معاني القرآن الكريم، فلما شرع في قراءتها تذكر عهده مع ربه، وعرف أن الدين الحق الذي خُلق ليخدمه هو الإسلام، يقول: "لما قرأت القرآن اكتشفت معنى الخلق والحياة، وأيقنت أنه ليس من كلام البشر، ووجدت التوحيد فيه يتماشى مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها، لقد شعرت كأن القرآن يخاطبني، فكلماته كانت قريبة مني مع كونها مخالفة تماماً لكل ما قرأته من قبل، لقد أجاب القرآن على تساؤلاتي، وبذلك شعرت بالسعادة، سعادة العثور على الحقيقة".

بعد إشهار إسلامه، وكما يُتوقع، تخلّعت صحافة الغرب وتقيأت كالسكير، وشنّت عليه حملات التشويه، فلم يكترث (يوسف إسلام) بها، وتابع خُطاه في الارتقاء، وهجر اللذات ليمارس الذات.

ثم أسلم شقيقة من بعد، كما أسلمت والدتهما، أما والده فقد أدركته رحمة الله فاعتنق الإسلام قبل وفاته بثلاثة أيام. ثم غدا يوسف من كبار الدعاة إلى الإسلام في أوربة، وتزوج من مسلمة، ورزق منها خمسة أولاد.

يقول : "قبل الإسلام كنت مثل السفينة التي تجري في البحر، ولكن بدون اتجاه وبعد أن درست القرآن الكريم نطقت بالشهادتين، فولدت من جديد، ورحت أدرس سيرة الرسول ﷺ فأدركت الثروة الهائلة في حياته وسنته"[١] ."هزني تعريف القرآن بخالق الكون، فقد اكتشفت الإسلام عبر القرآن، وليس من أعمال المسلمين! أيها المسلمون! كونوا مسلمين حقاً حتى يتمكن الإسلام من الانتشار في العالم كله، فالإسلام هو السلام لكل العالم"[٢] . "أدركت وأنا في المدرسة أن هناك فرقاً كبيراً بين دروس الدين ودروس العلوم الأخرى كالحساب، في حصة الدين تعلمنا أن ٣=١، وهذا غير صحيح في دروس الرياضيات! وأخيراً وجدت الواحد واحداً في الإسلام".

---

[١] حوارات مع أوربيين ومسلمين/ د. عبد الله الأهدل.

[٢] عظماء ومفكرون يعتنقون الإسلام/ محمد طماشي، ص ١٨٢.

## ٢٨- قصة إسلام الأمريكي مالكولـــم إكـــس:

مالكولم اكس زعيم من الملوّنين الأمريكيين، كان يُلقَّب قبل إسلامه بالشيطان و (أحمر دويترويت) إذ كان زعيماً عنصرياً متطرفاً في عداوتـــه للبـــيض، ولكنه عدل عن هذا النهج بعد إسلامه، وبعد رحلته للحج خاصة إذ غمرتـــه أخوّة المسلمين البيض تحت مظلة الإسلام، فأرسل إلى أتباعـــه مـــن مكـــة رسالة يبين فيها انعطاف مساره، يقول فيها: "ما رأيت قط كرماً أصـــيلاً، ولا روحاً غامرة من الأخوة كهذه التي تسود هنا بين الناس من كل لون وجنس، في هذه الأرض المقدسة، وطن إبراهيم ومحمد.. فها هنا عشرات الألـــوف من الحجاج قدموا من كل أنحاء العالم، ليؤدّوا المناسك نفسها بـــروح مـــن الوحدة والأخوة، ما كنت أظن بحكم خبراتي في أمريكا أنها يمكن أن تنشأ بين البيض والسود.. وإن أمريكا في حاجة إلى أن تفهم الإسلام، لأنه هـــو الدين الوحيد الذي يمكن أن يمحو المشكلة العنصرية في مجتمعهـــا.. لقـــد تقابلت مع مسلمين بيض وتحدثت معهم، بل تناولت الطعام معهـــم! ولكـــن النزعة العنصرية محاها من أذهانهم دين الإسلام.. إننا هنا نصلي لإله واحد، مع أخوة مسلمين لهم أعين زرقاء كأصفى ما تكون الزرقة، ولهـــم بشـــرة بيضاء كأنصع ما يكون البياض.."[١] . عجباً لأمر الإسلام! كيف حوّل الحقـــد الأسود في قلب هذا الزعيم إلى حب أبيض فياض.. لم يستطع أن يعبر عنـــه إلا بهذه التداعيات التي ختم بها رسالته؟!.. لقد غدت نيته بالإسلام بيضاء، وأشد بياضاً من لون بشرة أعدائه السابقين، إنه الإسلام دين الإنسان[٢].

---

[٢] ربحت محمدا ولم أخسر المسيح/ د. عبد المعطي الدالاتي.

"في مجتمع الإسلام لا يشعر أي إنسان بأي تمييز، فلا توجد في الإسلام عقدة الاستعلاء، ولا عقدة النقص"[3] .

## ٢٩- قصة إسلام الكندية صوفي بوافير:

صوفي بوافير ماجستير في تعليم الفرنسية والرياضيات.

تمثل قصة إسلام السيدة (سلمى بوافير) نموذجاً للرحلة الفكرية الشاقة التي مر بها سائر الذين اعتنقوا الإسلام، وتمثل نموذجاً للإرادة القوية، والشجاعة الفكرية – وشجاعة الفكر أعظم شجاعة اللتين اتسم بهما المسلمون الجدد، نساءً ورجالاً. تروي السيدة سلمى (أم صفوان) قصة اهتدائها إلى الإسلام فتقول باعتزاز: "ولدت في مونتريال بكندا عام ١٩٧١ في عائلة كاثوليكية متدينة، فاعتدت الذهاب إلى الكنيسة، إلى أن بلغت الرابعة عشرة من عمري، حيث بدأت تراودني تساؤلات كثيرة حول الخالق وحول الأديان، كانت هذه التساؤلات منطقية ولكنها سهلة، ومن عجبٍ أن تصعب على الذين كنت أسألهم! من هذه الأسئلة: إذا كان الله هو الذي يضر وينفع، وهو الذي يعطي ويمنع، فلماذا لا نسأله مباشرة؟!.. ولماذا يتحتم علينا الذهاب إلى الكاهن، كي يتوسط بيننا وبين من خلقنا؟!.. أليس القادر على كل شيء هو الأولى بالسؤال؟.. أسئلة كثيرة كهذه كانت تُلحُّ علي، فلمّا لم أتلق الأجوبة المقنعة عنها توقفت عن الذهاب إلى الكنيسة، ولم أعد للاستماع لقصص الرهبان غير المقنعة، والتي لا طائل منها.

لقد كنت أؤمن بالله وبعظمته وبقدرته، لذلك رحت أدرس أدياناً أخرى، دون أن أجد فيها أجوبة تشفي تساؤلاتي في الحياة، وبقيت أعيش الحيرة الفكرية

---

[3] موسوعة (مقدمات العلوم والمناهج)/ أنور الجندي – مجلد٨، ص ١٤٠.

حتى بدأت دراستي الجامعية، وفي الجامعة لفت انتباهي زي إحدى الطالبات اليهوديات المحتشمات، فتقربت منها وصادقتها، وبدأت أعتني بدراسة اليهودية، وسرعان ما اكتشفت عورات هذا الدين، وليس أقلها أني لا أستطيع اعتناقه لأني لم أولد يهودية! وكان السؤال الكبير: إذا كان الله يقبل عباده فكيف يرفض أن أعتنق دينه؟ وكيف يرفض الدين الحق الراغبين باعتناقه؟ وعرفت أخيراً أن اليهودية ليست هي ضالتي، ولا عندها الري لظمأ أسئلتي. شرعت بدراسة الإسلام، فتعرفت على شاب مسلم جعلت منه عوناً لي على فهم هذا الدين، فأدهشني ما وجدت فيه من أجوبة مقنعة عن تساؤلاتي الكبرى! وبقيت سنة كاملة وأنا غارقة في دراسة هذا الدين الفذ، حتى استولى حبه على قلبي، والمنظر الأجمل الذي جذبني إلى الإسلام هو منظر خشوع المسلم بين يدي الله في الصلاة، كانت تبهرني تلك الحركات المعبرة عن السكينة والأدب وكمال العبودية لله تعالى. فبدأت أرتاد المسجد، فوجدت بعض الأخوات الكنديات اللواتي سبقنني إلى الإسلام الأمر الذي شجعني على المضي في الطريق إلى الإسلام، فارتديت الحجاب أولاً لأختبر إرادتي، وبقيت أسبوعين حتى كانت لحظة الانعطاف الكبير في حياتي، حين شهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . إن الإسلام الذي جمعني مع هذا الصديق المسلم، هو نفسه الذي جمعنا من بعد لنكون زوجين مسلمين، لقد شاء الله أن يكون رفيقي في رحلة الإيمان هو رفيقي في رحلة الحياة".

## ٣٠- قصة إسلام الكاتبة البريطانية إيفلين كوبلد:

انها شاعرة وكاتبة، من كتبها (البحث عن الله) و(الأخلاق). تقول: "يصـــعب عليَّ تحديد الوقت الذي سطعت فيه حقيقة الإسلام أمامي فارتضـــيته دينـــاً، ويغلب على ظني أني مسلمة منذ نشأتي الأولى، فالإسلام دين الطبيعة الذي يتقبله المرء فيما لو تُرك لنفسه"[١]. "لما دخلت المسجد النبوي تولّتني رعدة عظيمة، وخلعت نعلي، ثم أخذت لنفسي مكاناً قصّياً صليت فيه صلاة الفجر، وأنا غارقة في عالم هو أقرب إلى الأحلام.. رحمتك اللهم، أي إنسان بعثـــت به أمة كاملة، وأرسلت على يديه ألوان الخير إلى الإنسانية !"[٢]."لم نُخلـــق خاطئين، ولسنا في حاجة إلى أي خلاص من المسيح عليه الســـلام، ولســـنا بحاجة إلى أحد ليتوسط بيننا وبين الله الذي نستطيع أن نُقبل عليه بأي وقت وعلى أية حال[٣].

## ٣١- قصة إسلام الشاعرة الأوكرانية أكسانتا ترافنيكوفا:

أتقنت اللغة العربية، وتنوقتَها إلى حد الإبداع الشعري الجميل، وها هي تقول:

خذ قصوري والمراعي.. وبحوري ويراعي.. وكتابي والمدادْ.

واهدني قولةُ حقٍ تنجني يوم التنادْ.

دع جدالاً يا صديقي وتعالْ ..

كي نقول الحق حقاً لا نُبالْ.

---

(١) الإسلام/ للدكتور أحمد شلبي، ص ٢٩٧.

(٢) آفاق جديدة للدعوة الإسلامية في الغرب/ أنور الجندي، ص ٣٦٠.

٣ لمَ أسلم هؤلاء الأجانب/ محمد عثمان (٢/ ٦٤).

ونرى النور جلياً رغم آلات الضلالْ.
نحن ما جئنا لنطغى.. بل بعثنا لحياةٍ وثراءْ.
وصلاةٍ ودعاءْ.. عند أبواب الرجاءْ..
يومها عرسُ السماءْ.

## قصة الدكتورة لورا فينشيا فاليري:

أستاذة اللغة العربية في جامعة نابولي بإيطالية. لها كتاب (محاسن الإسلام) و(تقدم الإسلام السريع). تقول فاليري: "أية قوة عجيبة تكمن في هذا الدين ؟! أية قوة داخلية من قوى الإقناع تنصهر به؟ ومن أي غور سحيق من أغوار النفس الإنسانية ينتزع نداؤه استجابة مزلزلة؟!"[1]. "تفجر ينبوع ماء عذب في وادٍ غير ذي زرع، ذلك الينبوع هو الإسلام الذي تدفق بغزارة واتخذ سبيله في الأرض سرباً، لم يشهد التاريخ حدثاً مماثلاً لهذا الحادث الخطير"[2]. "سيعود المسلمون ثانية إلى الارتواء من منهلهم العذب الصافي وهو القرآن"[(3)].

---

[1] التسامح في الإسلام/ د. شوقي أبو خليل، ص ٦٦.
[2] آفاق جديد للدعوة/ أنور الجندي، ص ٢٦١.
[(3)] محاسن الإسلام/ د. لورا فينشيا فاليري

## ٣٢- قصة إسلام الفيلسوف الفرنسي رينيه جينو:

(رينيه جينو) عالم وفيلسوف وحكيم، درس الأديان عامة، ثم اعتنق الإسلام، فأحدث إسلامه ضجة كبرى في أوربة وأمريكا، وكان سبباً في دخول الكثيرين إلى الإسلام، ألف الكثير من الكتب منها (أزمة العالم الحديث) و (الشرق والغرب) و (الثقافة الإسلامية وأثرها في الغرب)، كما أصدر مجلة سماها (المعرفة) وقد ترجمت كتبه إلى كثير من اللغات الحية، وقد حرَّمت الكنيسة قراءة كتبه! ولكنها انتشرت في جميع أرجاء العالم، وممن تأثر بكتاباته الكاتب الفرنسي المشهور أندريه جيد الذي كتب يقول: "لقد علمتني كتب جينو الكثير، وإن آراءه لا تُنقَض". يقول رينيه جينو (عبد الواحد يحيى):

"أردت أن أعتصم بنص لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلم أجد بعد دراسة عميقة، سوى القرآن"[١]. "لقد ابتعدت أوربا عن طريق الله فغرقت في الانحلال والدمار الخلقي والإلحاد، ولولا علماء الإسلام لظل الغربيون يتخبطون في دياجير الجهل والظلام" .

## قصة إسلام الطبيب الفرنسي بنوا:

يقول علي بنوا: "العامل الرئيسي في اعتناقي الإسلام هو القرآن، فقد كنت قبل الإسلام مؤمناً بالقسم الأول من الشهادتين (لا إله إلا الله) فقد كان شعوري الفطري بوحدانية الله يمنع عليّ قبول مبدأ (ثالث ثلاثة) أو الإيمان بقدرة البشر على مغفرة الذنوب، كما كنت لا أصدق مطلقاً مسألة الخبز المقدس الذي يمثل جسد المسيح عليه السلام. وبعد أن قرأت القرآن بعقلية

---

[١] الإسلام في قفص الاتهام/ الدكتور شوقي أبو خليل، ص ١٦.

من يحمل أحدث الأبحــاث العلميـــة، كان ذلك كافيـــاً لإيماني بالقســـم الثاني من الشـــهادتين (محمد رســول الله) ". "مما أبعدني عن الكاثوليكية، التغافل التام عن النظافة قبل الصلاة" ، قلت: يذكر الدكتور حســـان شمسي باشا في كتابه القيّم (هكذا كانوا يوم كنا): أن الكاثوليك كــانوا يعتقــدون أن ماء المعمودية الذي يغتسلون به عند ولادتهم يُغنيهم عن الاغتســال طــوال الحياة" ص٩٢.

## ٣٣- قصة إسلام الباحث الفرنسي ليون روشي:

سياسي فرنسي، تعلم العربية ليتجسس على المسلمين، ولكنــه اقتنــع بالإسلام حقيقة فاعتنقه، وأصدر كتابه (ثلاثون عاماً في الإسلام). يقول فيه: "وجدت في الإسلام حل المسألتين الاجتماعية والاقتصادية، اللتــين تشغلان بال العالم طُرّاً :

- الأولى: في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ فهي أعظــم مبدأ للتعاون الاجتماعي بين المسلمين.

- والثانية: في فريضة الزكاة.. ولو تمسك المسلمون بالإسلام لكــانوا أرقى العالمين، وأسبقهم في كل الميادين". ويقــول روشـــي: "وجــدت الإسلام أفضل دين، ولقد بحثت في تــأثير هــذا الــدين فـــي نفــوس المسلمين، فوجدته قد ملأها شجاعة وشهامة، ووداعــة وجمــالاً، ثــم وجدت هذه النفوس على مثال ما يحلم به الحكماء من نفــوس الخيــر والرحمة"[1].

---

[1] آفاق جديدة للدعوة/ أنور الجندي، ص٦٥.

**قصة إسلام المطرب العالمي (جيرمين جاكسون):**

جيرمين جاكسون (محمد عبد العزيز) يروي قصة هدايتـــه فيقــول[1]:
"قمت في عام ١٩٨٩ برحلة في دول الشرق الأوسط، وفـــي البحـــرين وقفت أحاور عدداً من الأطفال، فسألوني عن ديني فـــأجبتهم (شـــهود يَهْوه) ولما سألتهم عن دينهم أجابوا بصوت شبه جمـــاعي (الإســـلام) أدهشتني هذه الإجابة، فهؤلاء الأطفال كانوا فخورين جداً بدينهم، ولمـــا استرسلت معهم بالأسئلة كان كل واحد مـــنهم يحـــدثني عـــن الإســـلام باعتزاز، في تلك اللحظة علمت بكل كياني أني سأصبح مسلماً، فسافرت إلى (مكة) وأعلنت هناك إسلامي، وأديت العمرة". "لما أسلمت أحسست بحق أني قد ولدت من جديد، فقد وجدت في الإسلام كل الأســئلة التـــي حيرتني سابقاً، لقد قدّم لي الإسلام حـــلاً لكـــل مشـــكلاتي". "مجتمعنـــا الأمريكي يشجع العنف والخمر والمخدرات، لأن التلفزيون يُقدم كل هذه الأمور على طبق من فضة.. والمرأة في العـــالم الإســـلامي كـــالوردة المحفوظة، التي لا ينالها كل عابر سبيل".

---

[1] من حوار أجراه معه الأستاذ عمار بكار في مجلة (المجلة) العدد ٩٦٦ عام ١٩٩٨ . انظر كتاب: ربحت محمداً ولم أخسر المسيح.

## كتائب النور وبقية القافلة المستمرة للمهتدين الغربيين:

**ممن اعتنق الإسلام في أمريكا:**

**مهندسو مؤسسة الأبحاث الأمريكية (NASA) وذلك بعد هبوطهم النـــاجح على سطح القمر [1]، والكاتبة د.جميلة كولوكترو نينو، والصــحفي كــاري واندر، ونانسي وليم صاحبة كتاب (رحلتي من المســيحية إلــى الإســلام) وعثمان لولن، وتشارلز بلال، والزنجي عبد العليم موسى، وأمينة أســيلمي صاحبة كتاب (الإسلام في حياتي) وجمال زارا بورو، وســتيف جونســتون، والبروفسور محمد أكويا، والكاتب مايكل ولفي، وبطل العــالم الشــهير فــي الملاكمة خلال سبعينيات القرن الماضي كاسيوس كلاي الذي غير اسمه إلى محمد علي كلاي، ولاعب كرة السلة الشهير كريس جاكسوم (محمود عبــد الرؤوف)، والبروفسور أرماندو يوفالي.**

**وفي ألمانــيـــــا :**

**كريستيان هوفمان (المتحدث الرسمي باسم الحزب المسيحي الديموقراطي)، وهارون بهر صاحب كتاب (العودة إلى دين الطبيعــة) وكثيــر مــن حــزب الخضر، وعائشة ليمو صاحبة كتاب (النساء في الإسلام)، والكاتبة فاطمــة جريم، والسياسي محيي الدين لودن والمذيعة الألمانية الشهيرة كريســتياني باكر، وأمينة فيدر، والداعية محمد صديق، وصاحب مستقيم رئيس تحريــر مجلة الإسلام والغرب، والداعية أحمد فون دنفر صــاحب كتــاب (الإســلام وعيسى) و (علوم القرآن) و (يــوم مــع الرســول) و (الإســلام وغوتــه) والبروفسور عبد الجواد فلاتوري.**

---

[1] الصراع من أجل الإيمان/ د. جفري لانغ، ص ٤٢.

**وفي إنكلــتـــــــــرا:**

**البروفسور عبد الله أليسون رئيس قسم الهندسة الإلكترونية في لندن، والعالم عبد الرشيد سكنر صاحب (تكنولوجيا السلوك الإنساني) وأستاذ علم النفس في جامعة بافورد بانكلترا، وجنداش بيرت نجل جون بيرت رئيس هيئة الإذاعــة البريطانية، ومارببلا وجوناثان سكوت ابنتا اللورد ريتشارد سكوت، والدكتورة آمنة كوكسون، المصلح حسين روف، البحار مستر براون، ومــارتن لــنج، وجمايما جولد ابنة المليونير البريطاني جولد سميث، والملاكم العالمي كريس يوبانك (حمدان)، والموسيقي براين هوايت (إبراهيم)، وديبي روجرز (عائشة) التي أسلم على يديها أكثر من ٣٠ إنساناً.**

**وفي اليــابـــــان:**

**الطبيب الشهير شوقي نوتاغي الذي أسلم على يديه مئــات اليابــانيين فــي أشهر، والمترجم هانوتو، وزعيم طائفة الأموتو كيوتارو ديكوشي، والمفكــر البروفسور هشام كورودا والبروفسور كوسوجي، والعالم جعفــر إيزيتســو، والبروفسور عبدالجبار مائدا، والحافظ البروفسور شيروتاناكا، والبروفسور مرتضى كوراساوا، وجميلة تاكاهاشي، ومحمد ساتورا.**

**وفي فرنـــســــا:**

**إيفا ميروفيتش أستاذة السوربون، والعلامة شــمبرنيو، جــون كــارتيجني، الموسيقي جوليان نارس، الرسام برناردشو، وعبد الرحمن وكاترين تــوريز حفيدا مؤسس الحزب الشيوعي الفرنسي موريس توريس.**

**وفي روســـــيــــا:**

**البروفسورة فاليريا بوروخوفــا أســتاذة الفلســفة واللغــات فــي جامعــة موسكو،وقد ترجمت معاني القرآن إلى اللغة الروسية.**

**وفي سـويـسـرا:**

**المفكر الشهير تيتوس بروكهاردت مؤلف كتاب (الفن في الإسلام) والصحفي ألبرت هويدا، وحاتم كول.**

**وفي السـويـد:**

**رئيس الوزراء السابق أولفا بالما، والبروفسورة آن صوفي رولـو رئـيس قسم الأديان في جامعة مالمو.**

**ومن اللاهوتيين ورجال الديـن:**

**المبشر الإنجليزي محمد جون، والقس أنطونيو مقار صـاحب كتـاب ( لمـاذا أسلمت؟) والحاخام الأوزبكي إبراهيم بولات، والقس جان باتيسـت أهونيمـو، والقس الكندي توماس أرفنج، والقس بري هارسيو الذي أدخل الآلاف في دين الإسلام[1].**

**ممن أسلم من النخبة وأصحاب الفكر والتخصصات العلمية المختلفة:**

**وممن أسلم من النخبة والعلماء في مختلف أنحاء العالم: عالم النفس أرثـر كين، والبروفسور تاجاسون عميد كلية الطب في تايلند، والمستشرق منصور لين، والداعية عبد الواحد فانبوميل، وموريس كوديرا، وعبـد الله بـالمر، محمد أيوب مولباور، فون هارفيش، جـون وبسـتر، عبـد الله هـاملتون، فريزوف شوان، المهندس أحمد مبين، عبد الله بوريـك، أمينـة هوبهـوم، الدكتور كريم كرو، قسطنطين ملحم، سيف الدين موسيح، والكاتبات: استان رانيس آني بيزانت.. وغيرهم كثير ممن لا يمكن إحصائهم في كتاب، وهم في ازدياد واقبال منقطع النظير، لا يتوقف حتى يتم الله وعده بدخول الناس في دين الله أفواجاً، لاسيما في هذا العصر، عصر العلم والتطور فـي كافـة**

---

[1] انظر للتفصيل كتاب: ربحت محمداً ولم أخسر المسيح/ د. عبد المعطي الدالاتي.

**المجالات، مما يؤدي حتماً إلى أن يرى الإنسان الحديث آيات الله في الآفــاق وفي أنفسهم حتى يؤمنوا بالخالق العليم وبالكتاب الهادي إلى سواء السبيل، مهما حاول الشيطان وأذنابه وضع العراقيل في طريق الهداية والنور، بإذن الله العلي القدير.**

## أمريكا أنموذج للثقافة الغربية والتسامح الحضاري!..

**لقد هاجر ستون مليونا من أوربا إلى أمريكا فــي القــرنين الثــامن عشــر والتاسع عشر، هربا من الاضطهاد الديني والسياســي أو مــن الصــعوبات الاقتصادية.[١] وفي عام ١٩٥٤م أصدرت المحكمة العليا في الولايات المتحدة حكماً، بأن التمييز العنصري مخالف للدستور، وبعد عشر سنوات أي في عام ١٩٦٤م صدر قانون الحقوق المدنية يلغي التمييز العنصري.[٢] وبهذا القانون تخلصت الولايات المتحدة رسمياً من وصمة التمييز العنصري، سابقة بــذلك جنوب أفريقيا وروديسيا الشــمالية وإســرائيل. فــي عــام ١٩٧٢م تبنــى الكونكرس –بدعم من الرئيس– اقتراحاً بتعــديل للدســتور يضــمن حــق المساواة للمرأة، أطلق عليه E.R.A .. ولكن هذا الاقتراح أخفق في الحصول على موافقة عدد ملحوظ من الولايات[٣].**

**لقد ظل العنصر الغالب في السكان الانجلوسكسون البروتستانت، الذين أطلق عليهم في ما بعد اصطلاح WASP وهو مختصر عبارة:**

WHITE ANGLO SAXON PROTISTANT **وقد جلــب هــؤلاء معهــم ثقافتهم إلى أمريكا الشمالية، فسادت قيمها الخيرة والشريرة الأرض وكونت**

---

[١] New Encyclopaedia Britannica v, 29, p.191

[٢] New Encyclopaedia Britannica v, 29, p.262

[٣] انظر: التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب/ صالح عبد الرحمن الحصين.

**الثقافة الأمريكية، وإن كانت قد دخلت هذه الثقافة عناصر من الجماعات الأخرى القادمة لأمريكا اختيارا أو اضطراراً.**

**ولقد ظل تصوير السكان الأصليين بأنهم همج متوحشون عدوانيون، جنس منحط، النغمة السائدة في الأعمال الأدبية الأمريكية، وفي أفلام هوليود، وفي وسائل الدعاية والإعلام، وفي الوقت نفسه يصور الغزاة بما ورد في عبارات السناتور ألبرت بيفرج: إن الله اصطفى الأمة الأمريكية من بين كل الأمم والشعوب وفضلها عليهم، وجعلها شعبه المختار، وذلك من أجل قيادة العالم وتخليصه من شروره.[1] لقد تعرضت ثقافة السكان الأصليين لحملة تشويه لازمت حرب الإبادة وكانت سلاحاً من أسلحتها. لم يكتف التاريخ المنتصر، بان أطلق على غزواته اسم حرب الهنود، بل انه أسقط كل فظاعاته الدموية على الهنود، مثل عادة سلخ الرؤوس والتمثيل بالجثث[2].**

**لقد امتزج في ثقافة الواسب الأمريكية الميول الدينية بشعور التفوق الثقافي والعرقي، وامتزج كذلك بالإيمان بالديمقراطية والحرية والعدل، والصق بالإرث الروماني، وما يعبر عنه من النظرة الدونية للشعوب الأخرى، وترسخت عقيدة الحق في التوسع والغلبة، وشاعت في هذه الثقافة بعض الشعارات مثل شعار (المصير الواضح) حتى صار لها وزن عقدي. وفي عام ١٩٩٦م أظهر المسح الديني والسياسي، الذي أجرته جامعة أكرون أن ٣١% من البالغين المسحيين الأمريكان يؤمنون بحرب هرمجيدون، أي بالأفكار الأصولية التي تدعو إلى سحق الأخر وتدميره، وهو الذي لا يؤمن بالعقيدة التوراتية الإنجيلية.[3]**

---

[1] انظر:أمريكا والإبادات الجماعية/ حق التضحية بالآخر، منير العكش، ص١٤٩.

[2] أمريكا والإبادات الجماعية/ حق التضحية بالآخر، منير العكش، ص٦٩.

[3] Crace Halsell, Forcing Gods Hand, 2003,p.5,19.

إن الثقافة الأمريكية كغيرها من الثقافات، تحتوي على كنز ثري من القيم الإنسانية والحضارية، كما تحتوي على مكونات أخرى، هي مزيج من التاريخ والموروثات الثقافية والغرائز البشرية، بل أن الجانب الخير في هذه الثقافة، لا ينجح دائما في كبح الجانب الأخر. ولعل من أسباب ذلك أن التسليم بالقيم الإنسانية في هذه الثقافة لا يرتفع دائما إلى المستوى الأيديولوجي، وإنما يبقى في المستوى النفعي ووفق مقتضى اعتبار الذات.
وعلق السيناتور أدوارد كندي بقوله: ان انتهاكات حقوق الإنسان في جوانتناموا جلبت العار على الدولة، وفي كثير من أنحاء العالم ينظرون إلينا على أننا الدولة التي تسحق الناس بدون محاكمة وتعذبهم.
إن الثقافة الأمريكية هي صورة مجسمة للثقافة الغربية، وإن الثقافة الغربية تعبر عن نضج الإنسان وتطور تفكيره، وتسليمه بالقيم الإنسانية واستشرافه لصياغة الحياة، وفق مقتضاها، وفي الوقت نفسه لا تنفي هذه الثقافة شوائب أخرى مثل: سيادة فكرة الصراع، والنسبية الخلقية، والميكافيلية والمعايير المزدوجة للقيم، والإخفاق في ضبط الميول الغريزية الحيوانية، ولكن ربما كان أهم عامل في ما يحدث من إخفاق للثقافة الغربية في رعاية القيم الإنسانية، بما فيها قيمة التسامح ومقاومة النزعة العدوانية. أن تسليم المثقفين الغربيين بالقيم الإنسانية ليس في كل الأحوال تسليم الإيمان القلبي، بل هو في أحيان كثيرة تسليم المنطق النفعي.

**الطفل بالطبيعة:**

**إن اختلاف النظرة إلى " الطبقية " بين الإسلام والثقافة الغربيـــة، يؤيــده أن مفكري النهضة الأوربية ومفكري الثورة الفرنسية، قد نجحــوا فـــي خلــق شعارات أصبحت ترددها شعوب أوربا وأمريكا، عن حرية الإنسان، وحقوقه والمساواة بين الناس أمام القانون، وقد طبقت هذه الشعارات عملياً في داخل المجتمعات الأوربية والأمريكية، وأصبحت من أساسيات التربية لكــن هــذه الشعارات أخفقت في أن تفرض نفسها في علاقة الغرب مع الغير.**

**كان أرسطو يعد الشعوب الأخرى عبيدا بالطبيعة، وكان اليونانيون والرومان ينظرون إلى أنفسهم على أنهم هم المتمدنون، أما من كــان أجنبيــا عــنهم وعلى الأخص شعوب البحر الأبيض، فكانوا يطلقون عليهم لفظ (البرابــرة). وفي النصف الأول من القرن السادس عشر تم اختراع مصطلح جديد، بــدلا من اصطلاح (العبد بالطبيعة) هو اصطلاح (الطفل بالطبيعة) وكان ذلك بقصد الدفاع عن شعوب العالم الجديد، محتجا بان هؤلاء بشر، وهــم وان كــانوا متخلفين، فهم قابلون للتعلم والدعوة للتحضر ولأن يتحولوا إلى مسيحيين[1].**

**ويعبر المؤلفان دافــيس وســردار M.W.DAVIES, Z. SARADAR فــي كتابهما (لماذا يكره الناس أمريكا؟)** Why do people hate America? **عن معنى المصطلح بقولهما: لقد كان المقصود من اختراع (الطفل بالطبيعة) في حالة الهنود الحمر أن يكونوا تحت الحماية، والتعليم، والنقل إلى المسيحية، والى الحضارة، والصعوبة في مثل هذه الحالة، أنه لا يوجد في هذا الإطــار الاستعماري (اختبار للنجاح) كما انه من الصعب افتــراض أن تــتم تربيــة**

---

[1] انظر: التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب/ صالح بن عبد الرحمن الحصين.

إنسان من قِبَلِ قاتليه ومضطهديه ومستغليه، إن اصطلاح (الطفل بالطبيعــة) اصطلاح مؤدب مؤسس على الاستعلاء العنصري، حتى لو كان قد صدر عن رجل دين شفوق، أراد أن يقاوم به فظاعات الإبادة البشــرية، التـــي كـــان يرتكبها معاصروه، تجاه السكان الأصــليين لأمريكـــا، إن فلســـفة (الطفـــل بالطبيعة) في الحقيقة عاشت طويلا في الوعي الأوربي، بل لا تزال معنا حتى الآن، إنها دائماً لب المحاضرات التي تلقـــى علـــى البلـــدان الناميـــة، فـــي الموضوعات المتنوعة من السياسة الاقتصادية إلى حقوق الإنسان، من قِبَلِ البلدان المتقدمة التي نمت وأَثْرَتْ من الاستعمار، ولا تزال تجنـــي الأربـــاح المشروعة وغير المشروعة، من نظام الاقتصاد العالمي غير المتكافئ الذي خلقته[١].

في عام ١٩٦٤ صدر في الولايات المتحدة قانون الحقوق المدنية، الذي ألغى التمييز العنصري، وفي الربع الأخير من القـــرن العشـــرين ألغـــي التمييـــز العنصري في رودسيا وجنوب أفريقيا، وبهـــذا انتهـــى الوجـــود الرســـمي والقانوني للتمييز العنصري. ولكن هذا لا يعني أن التمييز العنصري اختفـــى عمليا في الغرب، فأثره على الفكر والسياسة والإعلام لا يزال قويا وفـــاعلا، ولا يزال صادقاً على هذا الواقع، ما قاله المؤرخ أرنولد توينبي قبل نصـــف قرن من أن (الحضارة المعاصرة في حاجة ملحة إلى أن تتعلم مـــن انجـــاز الإسلام في إلغاء التمييز العنصري بين البشر). فليس من الغريب أن ترد في خطاب السياسيين وكتابة الكتاب عبارة: (العالم المتحضر) يشار بها عادة إلى

---

١ Z. Sardar& M.W.Daviesm Why do people hate A Merica? U.K.2002,p.154
نقلا عن كتاب: التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب.

**شعوب أوربا وأمريكا الشمالية، وتعني بدلالة مفهوم المخالفة أن غيرهم من الشعوب (عالم غير متحضر).**

**إن الحضارة الغربية في فصلها ونسختها الأمريكية الأخيرة، التي اتخذت من التوراة مرجعاً ومن حضارة الإغريق أصلاً ومنهجاً، ومن العولمة أداة جبارة للهيمنة، حتى وصل الغرور ببعض مفكري الغرب في أمريكا أن يدعي أن الحضارة البشرية وصلت إلى نهايتها وانتهت بهيمنة الحضارة الأمريكية على باقي الحضارات للأمم والشعوب الأخرى، تسعى إلى إلغاء الآخر الحضاري مهما كانت هويته ومنهجه. ولقد كتب الكاتب الأميركي (فرانسيس فوكوياما) في كتابه (نهاية التاريخ)، ما يدعو إلى أمركة الحضارة وهيمنتها وإفنائها لباقي الحضارات المنافسة والمتدافعة معها في النهاية الحتمية لتاريخ الحضارات. ويقول كاتب أمريكي آخر: ان على الحضارة الأمريكية المعاصرة، أن تتصادم مع باقي الحضارات التي لا تزال موجودة على الأرض وتسحقها، وإن هذا الصدام حتمي وضروري لتطور الحضارة الإنسانية المعاصرة، لأن الحضارة الأمريكية قد وصلت إلى الكمال، في حين أن باقي الحضارات قد تحجرّت وماتت في عصر العولمة الحالية، وأن القرن الجديد يجب أن يكون قرناً أمريكياً بكل صفاته وملامحه وتوجهاته!!.. وهذا الكاتب هو (صاموئيل هنتكتون) الذي أطلق تلك النزعات الأمريكية الاستعمارية الجديدة في كتابه (صدام الحضارات)، وهو يحاول إثبات ادعاءاته بحجج واهنة، ويلتقي مع شريكه (فرانسيس فوكوياما) في النظرية التي يجمعها عنوان الكتابين (صدام الحضارات ونهاية التاريخ)، فيؤكد: أن التاريخ وصل إلى نهايته بوصوله إلى عصر العولمة السياسية والاقتصادية والإعلامية والتقنية، وهيمنة القطب الأوحد (الأمريكي) على مقدرات الدول والشعوب والأمم والأنظمة في العالم، بعد انهيار القطب الثاني (الاتحاد السوفييتي) في مطلع العقد الأخير من القرن العشرين، حين انهار إلى أكثر من عشرين دولة، وسقط اثر ذلك المعسكر الاشتراكي الذي كان دائرا حول الاتحاد السوفييتي ومتحالف معه، وأدي**

انهيار القطب المنافس للقطب الأمريكي إلى انهيار جدار برلين الذي كان يفصل بين الألمانيتين، ويفصل بين المعسكر الغربي والمعسكر الشرقي في أوربا.. وأصبح العالم المعاصر في حقيقته، ليس الا تاريخ الغرب وتاريخ الامبراطوية الأمريكية العظمى. لقد سيطر المنهج الأمريكي المتغطرس على عقول بعض الكتاب والمفكرين والساسة، بعد تلك التطورات التي شهدها العالم، بعد انهيار القطب الثاني المنافس. ولقد ابتدع الغرب بعد ذلك الحدث الحاسم، عدواً جديداً وهمياً أطلقوا عليه اسم الإرهاب، لكي يتهموا به العالم الإسلامي، ممثلا بالواقع السياسي والتراث والتاريخ والحضارة التي قامت في الشرق تحت راية القرآن، لإخضاعه للهيمنة الجديدة للمارد العالمي، ووفق ثقافة منحازة وميزان متعسّف مع إبخاس للحقوق وظلمٍ للشعوب، محاولين بذلك تسويق الثقافة الغربية بثوبها المادي الجديد، لتحقيق الأحلام والأهداف الاستعمارية الشريرة، والاحتكار والربا والتبشير بالنظام الرأسمالي الحديث ممثلا بالعولمة السياسية والثقافية والاقتصادية وصورها العديدة الأخرى، للسيطرة على مقدرات الأرض وثروات العالم.. ولطالما سيطر هذا المنهج المزدوج والثقافة المنحازة على عقولهم وفكرهم، سيما بعد أن أصبح التقدّم العلمي وعناصر القوة والتحكم التقني بيد الغرب بعد عصر النهضة ومع بعده.

## هل يتنبأ القرآن بدخول أمريكا الإسلام بعد ربع قرن؟!.

**هناك سور عديدة في القرآن تذكر مكة أم القرى وأصل الأمم والحضارات في التاريخ، وشعائر الحج والعمرة التي يؤديها المسلمون، وهم يشدون الرحال إلى بيت الله الحرام في مواسم الحج والعمرة، ومن بين تلك السور التي يدور موضوعها حول مكة وتاريخها وأحداثها المهمة، سورتان من سور القرآن القصار، ينبغي التوقف عندهما ومحاولة التعرف على أسرارهما، ومعرفة ما فيهما من الآيات والدلائل التي يتصف بها بيت الله جل جلاله. والسورتان تشيران إلى العصر الذي كانت فيه قريش تتقلد الزعامة والسدانة في مكة بين سائر قبائل العرب الأخرى، منذ زمن قصي بن كلاب جد النبي الرابع وحتى عهد ظهور الإسلام، والسورتان هما سورة الفيل وسورة قريش.**

**قال تعالى:** ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل. ألم يجعل كيدهم في تضليل. وأرسل عليهم طيراً أبابيل. ترميهم بحجارة من سجيل. فجعلهم كعصف مأكول﴾[1].

**وقال تعالى:**﴿لإيلاف قريش. إيلافهم رحلة الشتاء والصيف. فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾[2].

**إن سورة الفيل سورة مكية تتحدث عن واقعة الفيل، حين أراد ملك الحبشة واليمن أبرهة الحبشي أن يغزو مكة، ويهدم الكعبة بهدف توجيه الأنظار إلى مملكته، والشروع ببناء كعبة بديلة في اليمن ليحج الناس إليها، بدل الحج إلى مكة، غير أن أبرهة باء بالفشل في قصة الفيل المشهورة. وكان ذلك في عهد عبد المطلب بن هاشم جد النبي ﷺ. وتشير السورة إلى التدخل الإلهي في هذه المعركة غير المتكافئة بين الأحباش وأهل مكة، والى إرسال طير**

---

[1] سورة الفيل.

[2] سورة قريش.

الأبابيل التي كانت تحمل حجارة من سجيل، ورمت بها جيش أبرهة حتى أهلكته عن بكرة أبيه، وارتد أبرهة بما بقي من جنده خائباً من حيث أتى.

إن هذه الحادثة المهمة في تاريخ مكة، والتي تزامنت مع مولد النبي ﷺ في عام الفيل، ذات دلالات ونبوءات عديدة أهمها، إن مكة مكان مختار ومقدّس، وقد اختصها الله تعالى بالتقديس والتفرّد والعناية والحفظ والأمن دون من غيرها من الأماكن والمدن، وكل ذلك بإرادة الله ومشيئته، مهما تجبّر الإنسان واغترّ بقوته وامتلاكه أسباب الرقي والتقدم المادي، ليعلم الطغاة والمتجبرون، أمثال أبرهة وغيره من قوى الظلم الطغيان على مر العصور، أن الله الواحد القهار بالمرصاد لمن يفكر بالعدوان على بيته الحرام ويغزو الأرض التي باركها الله منذ الأزل. ومهما تقدم الانسان في العلم وتقنية القوة، ومهما تطورت الحياة ووصلت التكنلوجيا والأسلحة الفتاكة والمدمرة وغيرها مما يصنع الإنسان. ولنا أن نتصور أن سرباً من الطيور، التي أرسلها الله سبحانه، لتفعل فعلها الحاسم في جيش مدجج بالأسلحة والمعدات مع عدد من الفيلة. ترى ماذا كانت نتيجة محاولة أبرهة، وكيف عالجت يد القدرة الإلهية أطماعه وطغيانه؟.. لقد كانت النتيجة أن هزمت الطير الأبابيل – التي هي من جنود الله التي لا يعلمها إلا هو – ذلك الجيش العظيم، جيش أبرهة وأصحاب الفيل، تماماً كما هَزَمَ المسلمون أصحاب الفيل في العهد الراشدي في معركة القادسية في حروب فتح العراق. ولعل الطغاة والغزاة من أمثال أصحاب الفيل في كل زمان، سيلاقون المصير نفسه. إن هذه المعجزة وما تلاها، تؤكد سنّة التدخل الإلهي في المعارك غير المتكافئة في التاريخ، لتعطي الأمل للفئة المؤمنة القليلة أمام جبروت الباطل مهما تجبّر.

إن سورة الفيل تبشر الناس وتؤكد لنا بأن المعجزة الإلهية تتحقق حين يعجز الناس ولا تتوازن القوى بين الظالم والمظلوم. وقد أكد عبد المطلب أمير مكة في زمن الواقعة، لأبرهة على هذا المفهوم الرباني الحنيفي، المستند إلى الإيمان والثقة بالله سبحانه، الذي لابد أن يدافع عن بيته وعن

المؤمنين، فحين أرسل أبرهة في طلب عبد المطلب أمير مكة، قبل اتخاذ القرار بهدم الكعبة، سأله ماذا يطلب منه قبل أن يقوم بهدم الكعبة. أجابه عبد المطلب بطمأنينة وثبات عجيب، حين قال له: أعد إليّ ابلي.. فاستغرب أبرهة من طلب عبد المطلب هذا، وكيف انه لم يذكر الكعبة ولم يطلب منه فك الحصار عنها، ويسأله عدم هدمها، فأجابه عبد المطلب: يا أبرهة أنا رب الإبل.. وان للبيت رباً يحميه.. فضحك أبرهة من جوابه وسخر من كلامه، فردّ له الإبل، وقال له: يا لك من شيخ خرف، تسألني عن الإبل ولا تسأل عن مكة ومصيرها!!.

ثم وقعت المعجزة الكبرى، وتم تدمير جيش أبرهة وإنقاذ مكة من براثن الأحباش وطغيان حاكمهم المغرور.. وهكذا يعلمنا الله مبدأً إيمانياً مهماً هو: حين يعجز الناس تنزل سفينة نوح.. لإنقاذ البشر من الطغيان على مرّ الأزمان.

لقد ارتبط اسم أصحاب الفيل في التاريخ الإسلامي، بثلاث حروب غير متكافئة ومصيرية بين الإسلام وبين الكفر والطغيان. كانت المرة الأولى في عام الفيل – ذلك العام الذي ولد فيه النبي والرحمة المهداة محمد ﷺ – حين هُزم جيش أبرهة، وهو النصر الإلهي الذي حدث في عام الفيل، والذي ترويه لنا سورة الفيل. والمرة الثانية كانت في معركة القادسية في العراق في عهد عمر، وهزيمة جيش كسرى ورستم والهرمزان، وكانت النتيجة – استناداً إلى نبوءة القرآن في سورة الفيل – دخول أقوام هؤلاء الطغاة والظلمة من الحكام والملوك في الإسلام، رسالة الله الخاتمة إلى البشرية جمعاء – ولو بعد حين – سواء في الحبشة واليمن أم في إيران والعراق وخراسان والهند، وهذه بشارات ونبوءات قرآنية منيرة تؤكدها هذه السورة العظيمة، ومن ظلال سورة الفيل اللطيفة والكريمة. فماذا سيكون – يا ترى – مصير المشروع الأمريكي الجديد؟.. الذي يقوده المحافضون الجدد في أمريكا، وهم الذين رفعوا شعار الفيل لحزبهم الحاكم في أمريكا، وقاموا بغزو

عددا من دول المشرق الإسلامي التي تحيط بمكة، تلك الأرض التي باركها الله وجعلها مهد الأنبياء والمرسلين، فقاموا بغزو أفغانستان والعراق ولبنان والسودان والصومال، وجعلوا من الشرق ترسانة كبيرة لأسلحتهم ومعداتهم الضخمة، وأحاطوا بالعرب في أرض الجزيرة المباركة، من أجل الثروة والنفط والسيطرة على مقدرات شعوب هذه الأرض. وهل سيلاقون المصير نفسه الذي لاقاه أصحاب الفيل في العصور السابقة؟.. وهل سيكون فشلهم وخسارتهم وذهاب ريحهم وريح أعوانهم، سبباً في دخول هذه الشعوب والأقوام، التي جاءت من وراء البحار، في الإسلام استناداً إلى البشارة والنبوءة القرآنية نفسها؟!..

ان إسلام النخبة من علماء الغرب وقادته ومفكريه المنصفين والحكماء، في العصر الحديث، والذين تم اختيار بعضهم في هذا الكتاب، فضلاً عن الأخطار المدمرة للمشروع الاستعماري العولمي الجاري تسويقه على أرض الشرق باسم محاربة الإرهاب العالمي، وكذلك الأزمة المالية العالمية الخانقة الحالية.. كلها دلائل واضحة تصب في هذه النبوءة المباركة، وتشير – بإذن الله – إلى دخول أمريكا والغرب عموما في هذا الدين أفواجا، خلال مدة لا تزيد على ربع قرن في أبعد الاحتمالات، لسبب بسيط عبر عنه أولئك الأخيار المهتدون الذين تكلموا بوضوح ودون لبس، عن الضمأ الروحي الحقيقي للإنسان الحالي، لحضارة القرآن وتعاليمه الإلهية العادلة، في ظل تخبط حضارة الغرب وماديته وغطرسته وظلمه للإنسان في كل مكان، ولعلنا في وقفة بسيطة مع الأزمة المالية والسياسية الحالية، نلمس بوضوح أن تطبيق العالم الرأسمالي لمفردة واحدة وجزئية من مفردات الشرع الحكيم في كتابه المبين، قد أدى إلى حل مؤقت والى تخفيف واضح للأزمة المالية في معظم أرجاء العالم الرأسمالي الذي تقوده أمريكا، فبمجرد تخفيض نسبة الفائدة بنسب محدودة وتبني خطوات محددة في النظام الاقتصادي العالمي ذات طابع إنساني واجتماعي (اشتراكي).. كتأميم بعض الأصول المالية وشراء الأسهم

والمؤسسات التي أعلنت إفلاسها وإسناد البنوك المتضررة في الأزمة، بأموال الدول والحكومات الرأسمالية، قد أدى إلى نتائج ايجابية واضحة التأثير، فكيف إذا ما لجأ الإنسان إلى خالقه في تنظيم شؤون حياته ومنها النظام الاقتصادي، وترك الربا والجشع والاحتكار والملكية اللامحدودة والنزعة الرأسمالية الاستهلاكية، التي تعتمد مبدأ استغلال الإنسان وحصر الثروة العالمية لتكون دُولة بين الأغنياء والرأسماليين من الناس فقط، دون النظر إلى خدمته ومعالجة أزماته المختلفة.

إن حضارة القرآن المتصفة دوماً بالعدل والسلام، بكل أشكاله في داخل الإنسان وخارجه ومحيطه الذي يعيش فيه، وقبل ذلك السلام مع الله الخالق العظيم، تدعوه للدخول في السلم والنور، لتستنير بنور الفطرة والقرآن. النور الوضاء الذي تملتلك مفاتحه بيدها لتنير الأرض بكلمات الله سبحانه كما أنارتها في الماضي القريب، من خلال العودة إلى الفطرة السوية والى القرآن – نور على نور – والالتجاء إلى النبع الصافي الذي بشر به أنبياء الله، وقص لنا سيرتهم العطرة في كتابه العزيز. وتدعو الإنسان المعاصر لهجر حضارة الشيطان وما فيها من بهارج وقيم مادية مزيفة، تغري الإنسان بالشر والظلم والطغيان والحروب والصراعات المدمرة، التي شهدها القرن الماضي وما يزال الإنسان يعاني منها حتى اليوم، وتقول له بلسان حالها، ومن خلال سيرة علماء الغرب المهتدين: أيها الإنسان ليس أمامك إلا خيارين لا ثالث لهما، إما الدخول في دين الله واستلهام تعالم القرآن، كتاب الله ورسالته الخالدة لنا وخطابه المباشر لكل إنسان يعيش على الأرض، أو انك سيواجه الفناء في كل صوره، الفناء الحسي والمعنوي، وفناء حضارته وعالمه وبيئته وكل ما يحيطه، فخسفنا به وبداره الأرض. والذي تقوم المناهج الوضعية بتدميره وتحطيمه، بقصد أم بدون قصد، ولن تنفعه عولمته وتقدمه وتطوره المادي، لأنه سيستخدمها – حتماً – في تدمير نفسه، كما فعل أصحاب الفيل قديماً، ويفعلون اليوم.

أما سورة قريش، فهي سورة مكية أيضاً. وتتحدث عن نعم الله على قريش أشرف قبائل مكة والجزيرة، بإسناد سدانة الكعبة إليها، وتبوّء الرئاسة والزعامة على سائر العرب.
وتتحدث هذه السورة العظيمة عن موضوع خطير ومهم يخص الأمن القومي والأمن الإقليمي والعالمي، وصلته بمكة وموقعها وضرورة تأمين طرق التجارة والسفر والسياحة الدينية منها واليها عبر الاتجاهات الأربعة المعروفة آنذاك، ولذلك تؤكد السورة على أهمية العبادة والخضوع لرب البيت الذي أطعمهم بعد جوع وآمنهم من خوف، سواء في عصر نزول السورة أو العصور التي تلت وحتى الآن. لقد كانت قريش وما زالت توفر الأمن والطعام والإقامة، لأهل مكة والجزيرة عموماً، في مواسم الحج والعمرة، بفضل البيت الحرام، وإجلال الناس له ولأهل مكة، فقداسة البيت وارتباط قلوب الناس به منذ عصر إبراهيم، جعل لقريش مكانة خاصة في قلوب العرب وغيرهم، وجعل لها مهابة ومنزلة خاصة، جعلتهم يعيشون في رغد العيش، وفي أمن قل نظيره بين القبائل والشعوب. لقد شرّف الله تعالى العرب بحمل الرسالة الخاتمة للعالمين، واصطفاها كأمة على باقي الأمم والشعوب والقبائل. وحباها الله وحبا قريشاً بشخص النبي ﷺ، وميّزها على باقي البيوت والأمم. ويشير المصطفى ﷺ إلى ذلك المجد والشرف العلوي لأمة الإسلام في الحديث الصحيح الذي يرويه مسلم فيقول: إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم[1].
وفي هذه السورة يشير القرآن إلى مسألة اعتقادية هامة، وهي أن عبادة رب البيت وهو الله سبحانه الواحد الأحد وإخلاص العبادة له والسير على منهجه، هي المنهج الطبيعي لإظهار الشكر والمنّة، على نعمتي الإطعام

---

[1] رواه مسلم والترمذي.

والأمن والسلام، التي وهبها الله المنعم لعباده المؤمنين، ولذلك قال تعالى: ﴿فليعبدوا ربّ هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾. فليس هناك أخطر على الإنسان من تسلّط الجوع والخوف عليه، بسبب الشرك والصراعات والحروب والفتن، التي تؤدي إلى الفقر والمرض والتخلف والجوع وإراقة الدماء، كما هو حال الحضارة المعاصرة، وما تعانيه من فقدان الأمن الغذائي والقومي، بسبب البعد عن الله سبحانه وتعاليمه الحكيمة العادلة. وهذه السنة الإلهية التي تربط بين الأمن والعبادة، هي دعوة قرآنية تربوية هادفة لكل الأمم والشعوب، بأن يعبدوا رب البيت الذي يطعمهم من جوع، ويضمن لهم الأمن والسلام من بعد الخوف والتفرق والصدام، الذي يعيشه الإنسان في ظل حضارة البعد عن الله والإيمان برسالة السماء في كل زمان.

وفي تفسير الإيلاف يقول الفراهيدي: آلف يؤآلف، وقال الأزهري: الإيلاف شبه الإجارة بالخفارة، وهو ضرب من المال، يدفع طواعية كهدايا أو منح لرؤساء القبائل التي تمر بحرمتها القوافل التجارية القرشية. والإيلاف عند القرطبي: أن يأمنوا عندهم وفي طريقهم وأرضهم بغير حِلْف إنما هو أمان طريق[١]. ويقول الفيروز آبادي: إن الإيلاف الذي جاء في سورة قريش، هو العهد وان اللام في (لإيلاف قريش) للتعجب، أي: اعجبوا لإيلاف قريش.. ويقول: لقد كان تجار قريش يختلفون إلى هذه الأمصار (الشام، والحبشة، واليمن، وفارس) بحبال هذه الأخوة فلا يُتعرض لهم، وكأن كل أخ من إخوة هاشم بن عبد مناف الأربعة الذين عقدوا الايلافات مع الجهات المحيطة بجزيرة العرب، أخذ حبلاً من ملك، ناحية سفره أماناً له[٢]. لذلك أراد أبرهة الحبشي أن يقضي على هذه السنّة والشعيرة التي اعتاد عليها الناس منذ آلاف السنين. وان الإشارة إلى رحلة الشتاء والصيف بمعنى رحلة الحج لزيارة بيت الله، هي أبلغ في المعنى للتذكير بنعم الله على قريش، لأنها كانت

---

[١] انظر: تفسير القرطبي لسورة قريش.

[٢] انظر: القاموس المحيط/ الفيروز آبادي، مادة ألف، ج٣.

السبب وراء الأمن والغنى والمهابة التي ارتبطت بقريش وسكان مكة حتى يومنا هذا. كما أنها أبلغ في التعبير عن المنزلة الرفيعة لمكة وبيتها العتيق لتكون قبلة للناس، يأمّون إليها في الشتاء والصيف من كل فج عميق ومن كافة الألوان والأجناس، فسبحان الله المنعم الذي أنعم على المسلمين ببيته العتيق وجعل من مكة المكرمة قبلة للناس في حجهم وعمرتهم وصلاتهم، وجعل فيها أول بيت وضع للناس لعبادته، وجعلها موطن آدم عليه السلام وبقية الأنبياء والمرسلين، وهي أم القرى وأصل الأمم، انه عزيز حكيم[1].

## أقوال غربية منصفة في القرآن ونبي الإسلام:

كانت قريش في الجاهلية وقبل البعثة النبوية تلقب محمداً ﷺ الصادق الأمين، ذلك هو الحُكم والتقييم الذي رآه جيل محمد ﷺ بالرحمة المهداة قبل بعثته، وذلك هو منظار أهل مكة لنبي المستقبل، كم هو بليغ ومعبر ذلك اللقب الكريم. لقد كان في أعينهم في ذلك العصر يمثل جوهر الصدق والأمانة، هذه الشهادة التاريخية تعطينا تفصيلاً ثميناً لمعالم الصورة النفسية والاجتماعية التي كان عليها محمد قبل أن يبعث نبياً ورسولا.

وعلى مدار التاريخ كان هنالك الكثير من الشواهد على التقييم الرائع والقمة السامقة التي وصفه بها الخصوم قبل الأصحاب والأصدقاء، من خلال سيرته العطرة، فضلاً عن الأثر العظيم الذي خلفه ظهوره في البشرية جمعاء، فنرى أن الثقة بهذا النبي لكاتب انكليزي شهير هو (برناردشو) تصل إلى أقصاها حين يقول: لو أن محمداً موجود الآن بيننا لحل مشكلات العالم جميعها ريثما يتناول فنجاناً من القهوة.

ويقول المستشرق (وليم موير) عن النبي ﷺ: لم يشهد التاريخ مُصلحاً أيقظ النفوس وأحيا الأخلاق ورفع شأن الإنسانية في زمن قصير كما فعل محمد.

---

[1] انظر للتفصيل كتاب: الإسلام العربي، وكتاب: عولمة اللغة والتاريخ/ للمؤلف.

ويقول توماس كارليل عن عظمة محمد: هؤلاء العرب وهذا الرجل محمد وهذا القرن السادس الميلادي، أليس كل ذلك كالشهاب بدا ثم اختفى، شهاب واحد لمع في عالم كالرمال السوداء، لا يؤبه له ولكن يا للعجب إذا بالرمال وكأنها استحالت إلى مسحوق متفجر، يرتفع وهجها في السماء من دلهي إلى غرناطة. قلت: لقد كان (الرجل العظيم) دائماً كالبرق يومض في السماء والناس ينتظرونه وهم كالوقود، ومن هذا الوميض يشتعل الوقود.ويقول أيضاً: لما كان من المستبعد أن يصبح أي منا مسلماً فلا يضيرني أن أقول كل الخير عن محمد بقدر ما أستطيع، فالأكاذيب التي كدسها التعصب من أجل مصلحة ديننا حول هذا الرجل لا تسيء إلا إلينا نحن.

ويقول أيضاً: من المسلم به أن محمداً لم يكتب ولم يقرأ ولم يتلق تعليماً مدرسياً، ولكنه عُرِفَ منذ نشأته بالرجولة وسمو التفكير والأمانة وأصالة الرأي في كل ما يقول وما يعمل، وتاريخ حياته يثبت أنه كان دائماً رجلاً اجتماعياً وصديقاً صدوقاً ومخلصاً ودوداً.

أما البروفسور ستوبارث فيقول: لا يوجد مثال واحد في التاريخ الإنساني بأكمله يقارب شخصية محمد.. ألا ما أقل ما امتلكه من الوسائل المادية وما أعظم ما جاء به من البطولات النادرة، ولو أننا درسنا التاريخ من هذه الناحية، فلن نجد فيه اسماً منيراً هذا النور وواضحاً هذا الوضوح غير اسم النبي العربي ﷺ.

ولو تتبعنا أقوال المستشرقين وإعجابهم بالنبي محمد لطال الكلام وكثر. ومن أجمل ما قرأنا عن قوة سطوع شخصية النبي ﷺ وأثرها في الفكر الغربي، هو ما جاء في كتاب (المائة الأوائل) للكاتب الأمريكي الدكتور (مايكل هارث)، فقد اختار فيه أعظم مائة شخصية في تاريخ العالم –حسب رأيه– من ناحية أثرهم وتأثيرهم في حركة التاريخ البشري، ورغم صعوبة مثل هذا البحث وقلة المعلومات المحايدة المتوفرة في الغرب عن الإسلام ورموزه وشخصياته، فإن المؤلف اختار محمداً ﷺ في أول المائة، في حين جعل

المسيح ﷺ في التسلسل الثالث وموسى ﷺ في التسلسل السادس عشر. كما اختار بعض العلماء الطبيعيين -أمثال نيوتن واينشتاين وغاليلو بالتسلسل الثاني والعاشر والثالث عشر على التوالي، واختار عدداً آخر من الزعماء السياسيين أمثال ماركس وأغسطس القيصر وعمر بن الخطاب ﷺ بالتسلسل الحادي عشر والتاسع عشر والواحد والخمسين، والفلاسفة أمثال أرسطو وديكارت بالتسلسل الرابع عشر والتسلسل الرابع والستين وهكذا.. إلى تسلسل المائة. وقد أجاب المؤلف الأمريكي عن سبب اختياره محمداً ﷺ على رأس قائمة أعظم مئة شخص في العالم منذ بداية البشرية حتى اليوم رغم أنه باحث غير مسلم، فقال: إن اختياري محمداً ليكون الأول في قائمة أهم رجال التاريخ قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين الديني والدنيوي[١].

ويقوم المؤلف بمقارنة يسيرة بين شخصيات أنبياء الديانات السماوية الثلاث، ويستنتج منها تفوق شخصية النبي محمد ﷺ على أخويه موسى وعيسى عليهما السلام، من حيث الكتب التي أنزلت عليهم وهي التوراة والإنجيل والقرآن، ومدى المحافظة على صحتها وأثرها في الواقع البشري إلى الآن، ومدى استكمال الرسالة الدينية والدنيوية في حياة كل نبي، وأخيراً من حيث البيئة التي عاش فيها كل منهما، مقارنة مع افتقار البيئة العربية الصحراوية إلى أي مصدر ومرجع للمعرفة والحضارة، بعكس البيئة التي عاش فيها كل من عيسى وموسى عليهما السلام في عهد الرومان في فلسطين وعهد الفراعنة في مصر.

ويقول هربرت ويلز: كم من الأجيال ستكابد الخوف والشقاء قبل أن يبزغ فجر الإسلام العظيم، الذي يبدو أن التاريخ بأكمله يتجه صوبه!.. وسلام يومئذ يغمر الدنيا.. وسلام يغمر القلوب.

---

[١] المائة الأوائل/ د. مايكل هارث، ص١٨.

ويقول برناردشو في نظرة الإسلام إلى الأنبياء ومن بينهم النبي عيسى ﷺ:

إن أتباع محمد أوفر أدباً في كلامهم عن المسيح"[1]

ويقول أيضاً عن خطورة كتاب العهد القديم على الأطفال والأخلاق عموماً: "الكتاب المقدس من أخطر الكتب الموجودة على وجه الأرض، فاحفظوه في خزانة مغلقة بالمفتاح، احفظوه بعيداً عن متناول الأطفال!!"[2].

ويؤكد (إلياس طعمة) الشاعر المهجري وليد أبو الفضل قول برناردشو بقوله: "في العهد القديم ما يُخجل من تلاوته الخليع، ناهيك عن أنه يُعلّم الفاسق ما يَجهل، فَحوِّل وجهك عما فيه من دعارة بني إسرائيل"[3].

ويقول عالم الاجتماع الهولندي ريسلو: "أدهشتني النظم الاجتماعية التي يقررها الإسلام، وخاصة الزكاة، وتشريع المواريث، وتحريم الربا، وفريضة الحج وإباحة تعدد الزوجات، وشتان بين هذا وبين مبدأ الزواج من واحدة الذي تؤمن به الشعوب الأوربية شكلاً ولكن دون وفاء" [4].

آراء الكتاب الغربيين عن سلوك المسلمين في الحرب:

لقد لفتت هذه المفارقة في السلوك الحربي بين المسلمين وغيرهم، انتباه عدد من الكتاب الغربيين ومن ذلك:

- (آرثوس جلمان) ARTHUS GILMAN إذ يقول: بالمقارنة -على سبيل المثال ـ بفظاعات الصليبيين حينما سقطت القدس في أيديهم عام

---

[1] (برناردشو) لعباس محمود العقاد، ص ١٤٧.

[2] التنصير والاستعمار/ عبد العزيز الكحلوت .

[3] التسريح والتصريح/ أبو الفضل الوليد .

[4] الإسلام/ د. أحمد شلبي، ص ٢٩٩.

**١٠٩٩م، حيث قتلوا سبعين ألف مسلم رجالاً ونساءاً وأطفالاً، فان انتصار محمد كان دائماً محكوماً بأخلاقيات الدين لا بالانتهازية السياسية)[١].**

**- أما المفكر الغربي بودلي R.V.C.BODLEY فيقول: عندما غزا الصليبيون القدس في عام ١٠٩٩ م تركوا الموت والخراب حيثما مروا، ولكن عندما هزمهم صلاح الدين ، لم يتخذ أي إجراء انتقامي، ولم يدمر المسلمون البلدان التي غزوها كما فعل المحاربون من أصحاب الديانات الأخرى، حيثما مر المسلمون خلفوا شيئاً أفضل مما كان في السابق، كانوا مثل السحاب المنهمر، أخصبوا الأرض التي كان الآخرون خلفوا فيها الجدب والخراب.[٢]**

**- وقال الكسندر بولي ALCSANDER POWELE : انتصارات المسلمين الحربية أظهرت درجة من التسامح أخجلت كثيراً من الشعوب المسيحية.[٣]**

**– وقال غوستاف لوبون: كان سلوك الصليبيين حين دخلوا القدس غير سلوك الخليفة الكريم عمر بن الخطاب ﷺ نحو النصارى حين دخلها منذ بضعة قرون، لقد قال كاهن مدينة لوبوي ريموند داجيل: حدث ما هو عجيب من العرب عندما استولى قومنا على أسوار القدس وبروجها، فقد قطعت رؤوس بعضهم وبقرت بطون بعضهم وحرق بعضهم بالنار، فكان ذلك بعد عذاب عظيم، وكان لا يرى في شوارع القدس وميادينها سوى أكداس من رؤؤس العرب وأيديهم وأرجلهم. وروى ذلك الكاهن الحليم خبر ذبح عشرة ألاف مسلم في مسجد عمر، فعرض الوصف الأتي: لقد أفرط قومنا في سفك**

---

١ Arthus Gilman, Saracens, PR. 184-185

٢ R.V.C.Badly. The Messengers, 1954, p. 136_137

٣ Alexander Poull, Struggle of Power in Moslim Aaia, P.48

الدماء في هيكل سليمان وكانت جثث القتلى تعوم في الساحة هنا وهنـــاك.. وكان الجنود الذين أحدثوا تلك الملحمة لا يطيقون رائحة البخار المنبعثة من ذلك إلا بمشقة. ولم يكتف الفرسان الصليبيون الأتقياء بذلك، فعقدوا مؤتمرا أجمعوا فيه على إبادة جميع سكان القدس من المسلمين واليهود وخـــوارج النصارى، فأفنوهم عن بكرة أبيهم في ثمانية أيام، لم يستثنوا منهم امرأة ولا ولدا ولا شيخاً.[1] وتم طرد الصليبيين من القدس على يد صلاح الدين الأيوبي في سنة ١١٨٧م ، ولم يشأ صلاح الدين أن يفعل بالصليبيين مثل مـــا فعـــل الصليبيون الأولون من ضروب التوحش، فيبيد النصارى عن بكـــرة أبـــيهم، فقد أكتفى بفرض جزية طفيفة مانعا سلب شئ منهم. لقد ظلت القيادة للحملة الصليبية الثالثة ١١٨٩-١١٩٢م في يد ريتشارد (قلب الأسد) الذي اقتـــرف جرائم وحشية، كالتي اقترفها رجال الحملة الصليبية الأولى، وكان أول ما بدأ ريتشارد هو قتله أمام معسكر المسلمين، ثلاثة آلاف أسير ســـلموا أنفســـهم إليه بعد ما قطع لهم عهداً بحقن دمائهم.[2]

---

[1] حضارة العرب/ غوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر، ص٢٢٦-٢٢٧.

[2] حضارة العرب/ غوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر، ص ٣٣٠ - ٣٢٩.
وانظر كتاب: التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب.

## شهادات مختارة من أفواه الذين أسلموا في العالم المعاصر:

**قول منصف للدكتور روبرت كرين: روبرت كرين دكتوراه في القانون الدولي والمقارن، رئيس جمعية هارفارد للقانون الدولي، ومستشار الرئيس الأمريكي نيكسون للشؤون الخارجية، ونائب مدير مجلس الأمن القومي في البيت الأبيض سابقاً، ومؤسس جمعية المحامين المسلمين الأمريكيين، اعتنق الإسلام عام ١٩٨٠م. يقول روبرت كرين (فاروق عبد الحق):**

**"الإسلام هو الحل الوحيد، فهو الذي يحمل العدالة في مقاصد الشريعة وفي الكليات والجزيئات والضروريات"** [١]**. "لو قرأ الناس الصحف في أمريكا، فإنهم بلا شك سينتابهم الخوف من الإسلام"** [٢]**.**

**وقول للكاتب فانسان مونتيه:**

**فانسان مونتيه أستاذ اللغة العربية والتاريخ الإسلامي في جامعة باريس ألف كتاب (الإرهاب الصهيوني) و(مفاتيح الفكر العربي) و(الملف السري وإسرائيل) وقد تجاوزت كتبه ثلاثين كتاباً. يقول فانسان مونتيه (المنصور بالله الشافعي): "لما قرأت القرآن لأول مرة في حياتي، واطلعت على نظرته إلى السيد المسيح، وعرفت أنه بشر أوحي إليه، وعرفت تسامح الإسلام تجاه الديانات الأخرى، أعلنت إسلامي، فشعرت بالراحة في ظلاله، فهو لا يفصل بين الروح والجسد، وليس مثل الإسلام دين يدفع إلى الأخلاق العليا، والكرامة الإنسانية، لقد اخترت الإسلام لأنه دين الفطرة.. اخترته ديناً ألقى**

---

[١] الإسلام نهر بلا مجرى/ الدكتور شوقي أبو خليل.

[٢] أمريكا والإسلام – تعايش أم تصادم ؟/ د. عبد القادر طاش، ص٦٦.

به وجه ربي" . "إن مَثل الفكــر العربي المُبعد عـــن التأثــير القرآني كمثــل رجــل أُفــرغ مــن دمــه!" [1] .

وقول للكاتب مارماديوك باكتال:

إنجليزي، أصدر كتاب (الثقافة الإسلامية) كما قام بترجمة معــاني القــرآن الكريم إلى الإنجليزية، مستعيناً بالدكتور محمد أحمد الغمراوي، وتعتبر هــذه الترجمة من أوثق الترجمات، وهي أول ترجمة يقوم بها إنجليــزي مســلم. يقول محمد باكتال: "يمكن للمسلمين أن ينشروا حضارتهم في العالم بــنفس السرعة التي نشروها بها سابقاً، بشرط أن يرجعوا إلى أخلاقهم السابقة، لأن هذا العالم الخاوي لا يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم" .

قول من ذهب لـــ (شلدريك):

يقول خالد شلدريك: "تساءلت في نفسي: إذا كان الإسلام لا أهمية له، فلماذا يبذل الغربيون كل هذه الجهود لمقاومته؟ وليس عندي ريب في أن الإسلام سيســود العالم أجمع بشرط أن يكون المسلمون مثالاً حسناً يعلن عن الإسلام، ويعرّف الأمم به عملياً" [2] . "عقيدة التوحيد الخالص التي امتاز بها الإسلام هي أصح العقائد التي عرفها البشر، وهي كاملة في توحيد الإلوهية وتوحيد الربوبية، وفي إعلان صفات الكمال لبــارئ الكــون.. إن الإســلام لا يُخفيــه انتقــادُ منتقديه.. وإذا كان هناك دين انتشر بالسيف، فليس هو الإسلام بل غيره" [3] .

---

[1] القرآن الكريم من منظور غربي/ د. عماد الدين خليل، ص ٧٨.

[2] آفاق جديدة للدعوة/ أنور الجندي، ص ١٥٤.

[3] موسوعة (مقدمات العلوم والمناهج)/ أنور الجندي – مجلد ٨ ص ١٧٢.

وقول من ذهب للدكتور باينز:

طبيب بلجيكي، يتكلم اللغة العربية، ويحفظ القرآن الكريم. يقول د. ياسين بـــاينز: "كنت قبل الإسلام أرى أنه إذا كان لا بد من دين، فإن هذا الدين لا بد أن يكون شاملاً لكل تصرفات الإنسان في الحياة، فلا يمكن أن يكون الدين الصحيح لساعات قليلـــة من حياة الإنسان، وكنت أرى أن الله لا بد أن يمنح الإنسان هذا النظـــام الشـــامل، ووجدت في الإسلام وحده نظاماً شاملاً لحياة الإسلام، إذ الإسلام يشمل حاجة القلب والنفس والعقل ولكن دخولي في الإسلام كان مبنياً على الفكر أولاً"[١].

وقول للقس والباحث محمد فؤاد الهاشمي:

ألّف كتاب (الأديان في كفة الميزان) يقول فيه: "لقد كان قصدي من البحـــث في الإسلام استخراج العيوب التي أوحى إلي بها أساتذتي، لكن وجدت أن ما زعموه في الإسلام عيوباً هو في الحقيقة مزايا!.. فأخذ الإسلام بلبي، فانقدت إليه، وآمنت به عن تفكّر ودراسة وتمحيص، وبها كلها رجحت كفة الإسلام، وشالت كفة سواه"[٢].

أقوال رائعة للمفكرة الشهيدة صَبورة أُوريبة:

هي (ماريا ألاسترا) ولدت في أسبانيا (الأندلس) عام ١٩٤٩م ، حصـــلت علـــى إجازة في الفلسفة وعلم النفس من جامعـــة مدريـــد، واعتنقـــت الإســـلام عـــام ١٩٧٨م، وكانت تدير مركز التوثيـــق والنشـــر فـــي المجلـــس الإســـلامي، استشهدت في غرناطة عام ١٩٩٨ على يد متطرف إسباني بعد لحظات مـــن إنجاز مقالها(مسلمة في القرية العالمية). ومما كتبت في هذا المقـــال الأخيـــر:

---

[١] حوارات مع مسلمين أوربيين/ د. عبد الله الأهدل، ص ١٠٦.

[٢] الإسلام/ الدكتور أحمد شلبي، ص ٢٨٨.

"إنني أؤمن بالله الواحد، وأؤمن بمحمد نبياً ورسولاً، وبنهجه نهج السلام والخير.. وفي الإسلام يولد الإنسان نقياً وحراً دون خطيئة موروثة ليقبل موقعه وقَدره ودوره في العالم".. "إن الأمة العربية ينتمي بعض الناس إليها، أما اللغة العربية فننتمي إليها جميعاً، وتحتل لدينا مكاناً خاصاً، فالقرآن قد نزل بحروفها، وهي أداة التبليغ التي استخدمها الرسول محمد ﷺ " .

" تُعد التربية اليوم أكثر من أي وقت آخر، شرطاً ضرورياً ضد الغرق في المحيط الإعلامي، فصحافتنا موبوءة بأخبار رهيبة، لأن المواطن المذعور سيكون أسلس قياداً، وسيعتقد خاشعاً بما يُمليه العَقَديّون! [1].

رحمها الله وأدخلها في عباده الصالحين.

وقول للدكتور فاندوبيك:

الحقوقي الدكتور فاندوبيك (محمد المهدي) كان رئيس محكمة العدل الدولية، يقول فاندوبيك: "لقد اقتنعت بأن القرآن الكريم متفرد وليس من وضع البشر، بل هو كتاب الحياة ومنهاج السماء للأفراد والجماعات، ففيه مفاتيح كل شيء بدءاً من السلوك الشخصي للإنسان إلى المناهج الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الرائعة للإنسانية كلها. وأؤكد أنني أدركت ذاتي الحقيقية، حق الإدراك، وأنا أقرأ القرآن" .

قول جميل لعالم الأجناس د. ل. ملما:

يقول عالم الأجناس ملما: بالإضافة إلى الوحدانية، والصلة المباشرة بين الله والخلق، والتسامح الإسلامي أدهشني مبدأ الأخوة في الإسلام، إذ ينفرد

---

[1] عن مقال (مسلمة في القرية العالمية) ترجمة صلاح يحياوي، مجلة (الفيصل) العدد (٢٩١) عام ٢٠٠٠م . انظر كتاب: ربحت محمداً ولم أخسر المسيح.

الإسلام بين كل الأديان بأنه الدين الوحيد الذي طبق مبدأ الأخوة والمساواة عملياً بين الناس، يتجلى هذا واضحاً في لباس الحج والإحرام"[1].

**وقول للبروفسور أبو الحسن بوتولّو:**

وهو أستاذ علم النفس في ميونخ ، أسلم على يديه الكثير . يقول د. بوتولو :"أنا مرتاح لأني أصبحت مسلماً، ولكني لست مرتاحاً لما وصل إليه المسلمون من مستوى غير طيب، والعالم الإسلامي يفتقر حالياً إلى تربية سليمة للأولاد"[2].

**قول آخر للبروفسور لومكس وزوجته ألن يونافيس:**

وهما أستاذان بجامعة كولومبيا، يقولان عن قصة اعتناقهما الإسلام: "الذي أخذ بقلوبنا وأثّر فينا التأثير كله، ذلك المعنى الجميل الذي تضمنته الآيات الكريمات: ﴿قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد﴾[3]. فهذه السورة هي التي جعلتنا ندين بالاسلام".

**وقول للبروفسور نشكنتنا دهيابا:**

وهو أستاذ التاريخ في جامعة ميسوري. يقول: "قد بنيت اختياري للإسلام على ثلاثة أمور: أولاً صحة أخباره، ثانياً موافقته للعقل، ثالثاً أنه عملي لا خيالي، فلا يوجد في الإسلام ثلاثة في واحد، ولا ثلاثون مليوناً من الآلهة"[4].

---

[1] هؤلاء المثقفون اختاروا الإسلام/ محمد عثمان، ص ٢٩٥.

[2] حوارات مع مسلمين أوربيين/ د. عبد الله الأهدل، ص ٥٥.

[3] سورة الاخلاص.

[4] آفاق جديدة للدعوة الإسلامية/ أنور الجندي، ص ١٤٩.

**قول للدكتـــور غرينييـــــه:**

**وهو عضو مجلس النواب الفرنسي. يقول: "تتبعت كل الآيات القرآنية التـــي لها ارتباط بالعلوم الطبية والطبيعية، فوجدت هذه الآيات منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة، فأسلمت لأنـــي أيقنـــت أن محمـــداً ﷺ أتـــى بـــالحق الصُراح [1].. ولو أن كل صاحب فن من الفنون قارن كـــل الآيـــات القرآنيـــة المرتبطة بفنه أو بعلمه مقارنة متعمقة، كما فعلت أنا، لأسلم بـــلا شـــك، إن كان عاقلاً وخالياً من الأغراض" [2].**

**وقول للمخرج السينمائي الأمريكي وكس إنجرام:**

**"في ليلة قمت أصلي، وبقيت أصلي مدة طويلة، وفي صباحها قلبت ظهـــري لعملي وابتعدت عن أخاديع هوليود ومغرياتها، وأعطيـــت جســـمي ونفســـي وحياتي لرب محمد، وأنا اليوم ابن الإسلام" [3].**

**وقول للفنّان روبر ولزلي:**

**"غمرني شعور عميق بالسكينة لم أشعر به من قبل، فكأنمـــا قـــد تســـنّمتُ ذروة الحياة!.. حتى الهواء الذي أستنشقه أضحى معطراً بنفحات القدر!.**

**وقول للـــورد بـــرنـــتـــون:**

**"إن اختلاف الأناجيل هو الذي دفعني لدراسة الإسلام، فوجدت في القـــرآن الحكمة وفصل الخطاب" [4].**

---

[1] الإسلام في قفص الاتهام/ د. شوقي أبو خليل، ص ١٦.

[2] أوربا والإسلام/ د. عبد الحليم محمود، ص ١٠٣.

[3] آفاق جديدة للدعوة الإسلامية/ أنور الجندي، ص ٣٤٩.

[4] الإسلام/ الدكتور أحمد شلبي، ص ٢٩٨.

وقول للورد دوغلاس هاملتون:

دوغلاس (عادل) هاملتون، أسلم وخصص مبلغاً كبيراً من ثروته لخدمة الإسلام.. يقول عن الإسلام: "ارتبطت بالإسلام لأنه الدين الذي يعلن الوحدانية الخالصة، وأعتقد أن الإسلام سيجذب الكثيرين من الذين أعيتهم وأثقلتهم الارتباكات العقائدية" [1].

وقول للورد استانلي أولدرلي:

اعتنق الإسلام على يد عبد الله كوليام، يقول: "وقع في يدي كتاب الله تعالى، فما فرغت من تلاوته، حتى اجتاحني مدد البكاء، فنفضت عن نفسي التعصب الممقوت، وأصبحت من المسلمين" [2].

وقول نسائي جميل للألمانية ماكلوسكي:

"في ظل الإسلام استعادت المرأة حريتها، فالمرأة في الإسلام تتمتع بحرية الفكر والتعبير.. والمرأة المسلمة معززة مكرمة في كافة نواحي الحياة، ولكنها اليوم مخدوعة مع الأسف ببريق الحضارة الغربية الزائف ومع ذلك سوف تكتشف يوماً ما كم هي مُضلّلة في هذا" [3].

وقول لـ(روز ماري هاو):

---

[1] الإسلام/ الدكتور أحمد شلبي، ص ٣٠٠.

[2] لمَ أسلم هؤلاء الأجانب/ محمد عثمان (١ / ١٢٠).

[3] المرأة والأسرة المسلمة من منظور غربي/ د. عماد الدين خليل، ص ٥٢.

"قد كرّم الإسلام المرأة، وأعطاها حقوقها كإنسانة وكـــامرأة.. أمـــا المــــرأة الغربية فلا تستطيع أن تمارس إنسانيتها الكاملـــة وحقوقهـــا مثـــل المــــرأة المسلمة"[1].

**وقول لـــ (سالي جان مارس):**

"لقد لاحظت أن المشكلات العائلية التي يعاني منها الغرب، لا وجود لها بين الأسر المسلمة، التي تنعم بالسلام والهناء، وكذلك الحب، فالمسلمون واثقون أن أبناءهم غير دخلاء عليهم، وهذا مفقود في الغرب"[2].

**قول للصحفية الهولندية زهرمان:**

ترجمت ناصرة زهرمان معاني القرآن إلى الهولندية، كما ترجمـــت أربعـــة آلاف حديث نبوي، وأسلم على يديها العشرات. تقول: "إن أوربـــة ســـتعتنق الإسلام عن دراسة وفهم وتحقيق وعلم، ثم تبزغ شمس الإسلام من الغـــرب الأوربي إلى المشرق العربي الإسلامي"[3].

**وقول للممثلة البريطانية مارشيلا مايكل أنجلو:**

"لقد أحسست أني مسلمة قبل أن أعلن الإسلام، إنني أشعر كما لو كنت قـــد ولدت من جديد.. لقد خرجت من أعماقي تاركة غلافي القديم، آمنت بالله.. لا إله إلا الله".

**وقول لـــ (إميلـــــي براملـــــت):**

---

[1] المرأة والأسرة المسلمة من منظور غربي/ د. عماد الدين خليل، ص ٤٧.

[2] المرأة والأسرة المسلمة من منظور غربي/ د. عماد الدين خليل، ص ٧٤.

[3] لمَ أسلم هؤلاء الأجانب/ محمد عثمان ( ٢ / ١٠٣ ) .

"ترددت على الكنيسة كي أصبح مؤمنة، لكني عجزت، فلم يقنعني الإله الذي تحول إلى بشر، فتعذب ومات كما يموت البشر، ولم يقنعني إله اليهود الذي كان يخطئ، حتى قرأت القرآن فامتلأت سلاماً"[1].

وقول للأمريكية إيفا الهريشي:

"إنني مسلمة تمتد جذوري ضاربة في أعماق الكون بنعمة هذا الدين، الــذي ينسى كثير من أبنائه قيمة الانتماء إليه"[2].

وقول للإنجليزيـــــة نـــــورا:

"لم ينتشر الإسلام بالسيف، وإنما ينتشر كانتشار النور لا يسد تياره شيء كل مسلم رسول لدينه، وتلك ميزة من ميزات الدين الإسلامي، أن يستحوذ على نفس المؤمن به، فالمسلم يحمل في جسمه أنسجة الداعية".

وقول لــ (مـــاري ويـــلـــدز):

انها بريطانية اعتنقــت الإســلام وكـــتـــبـــت كتابـــهـــا (رحلتـــي مـــن الكنيـــســـة إلى المسجد) تقول فيه: "بدأت تتفتح أمامي دنيا تبدو ذات معنى وانسجام وتناغم مع جمال زاهر، فلقد تعلمنا لغة جديدة للتفاهم مـــع الـــدنيا والكون، هي لغة القرآن الكريم"[3].

---

(١) آمنت بربكم فاسمعون/ إميلي براملت، ص ٥٠.

(٢) لمَ أسلم هؤلاء الأجانب/ محمد عثمان (١/ ٩٩).

(٣) هؤلاء المثقفون اختاروا الإسلام/ محمد عثمان، ص ١٠٠.

وقول للأمريكية ديبورا بوتر:

وهي صحفية أسلمت عام ١٩٨٠ وكتبت تقول: "عندما قرأت القرآن الكريم غمرني شعور بأنه الحق، وقد تساءلت: كيف استطاع محمد الرجل الأمي أن يعرف معجزات الكون، التي لا يزال العلم الحديث حتى يومنا هذا يسعى لاكتشافها؟!"[١].

قول للأمريكية جودي آنوي:

جودي آنوي أمريكية اعتنقت الإسلام، وهي ابنة الباحثة الكهنوتية (كارول أنوي)، تقول جودي: "أثناء دراستي للإسلام كانت جميع أسئلتي تجد الإجابة الشافية، فنحن لا نُعاقب على خطأ آدم الذي طلب المغفرة من ربه فعفا عنه ربنا الرحيم، لقد وجدت تعاليم الإسلام تضع كل شيء في إطاره الصحيح، وتلبي حاجة قلبي وعقلي.. إنها تعاليم الفطرة، فليس فيها غموض"[٢]. "لقد استمتعت بالوضوء وبارتداء ملابس الصلاة، وبأداء الصلاة، لأني أشعر أنني أقترب أكثر من خالقي.. وإن أعظم الحقوق الإسلامية منزلة هو الحجاب، فإن لي الحق أن ينظر الناس إليّ على أني امرأة ذات أخلاق فاضلة، لا على أنّي أنثى، فالحرية الحقيقية أجدها في الحجاب"[٣]. "إن ربط كل حياتي بالله هو في نظري الجزء المليء بالمعاني في الإسلام، فالإسلام يلبّي كل جوانب

---

(١) القرآن الكريم من منظور غربي/ د. عماد الدين خليل، ص٤٤.

(٢) سر إسلام الأمريكيات/ الباحثة كارول أنوي، ص ٣٨.

(٣) سر إسلام الأمريكيات/ كارول أنوي، ص ٨٢-٨٣.

**الحياة، وأشعر أني قد ولدت مسلمة، ولكن تربيتي كانت كاثوليكية، وها قــد نجحت الآن ورجعت إلى الإسلام"** [1] **.**

---

[1] سر إسلام الأمريكيات/ كارول أنوي، ص ١٧٣.

# الخاتمة

كان عمر ﷺ أول من تشرف بهدي القرآن وملامسته لشغاف قلبه وتغيره بقراءة آياته، وهو أول شخصية في تاريخ الإسلام تأثرت بنور القرآن وشهدت بعظمته ولامس النور روحه دون وسيط أو دعوة سابقة، وآمن به، واشتاقت نفسه لمقابلة نبي الرحمة ليسلم على يديه، بعد عداء وتمرد، فاذا النبي الكريم يدعو دعوه الخالد في بداية الدعوة المكية: اللهم اهدِ أحد العمرين، وبات شغوفاً لإعلان ذلك الإيمان المفاجيء ليصدح به في وجه كفار قريش، حين جاء إلى بيت أخته فاطمة وقد تأبط الشر والفتك ببيت أخته الذي صبأ(!) وبالنبي الأكرم.. ولكنه بعد أن قرأ آيات من سورة طه، فصرخ وهو بعد في بيت أخته أن دلوني على محمد ﷺ لكي أعلن إسلامي رغم أنف الطغيان في مكة، في ذلك الوقت الحرج من حياة الإسلام. ترى ماذا قرأ ابن الخطاب من القرآن فتغيرت حياته، وغير الله بإسلامه مجرى التاريخ، حتى كبر المسلمون في دار الأرقم، وأعلن النبي دعوته بعد أن كانت سرية؟. لقد قرأ تلك الكلمات السحرية الخالدة: ﴿طه. ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى. إلا تذكرة لمن يخشى. تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلى. الرحمن على العرش استوى. له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى. وإن تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى. الله لا اله إلا هو له الأسماء الحسنى.﴾[1].

أما ثاني مشاهير المهتدين في التراث الإسلامي، ممن قام القرآن وحده بهدايتهم وتغيير مسار حياتهم من التيه والضلال إلى التوبة ونور الإيمان، فهو الولي الصالح الفضيل بن عياض، ولعل قبله وبعده الكثير من النفوس

---

[1] سورة طه/ ١ – ٨.

العظيمة التي أسلمت لنور بارئها، حين استجابت لهدي القرآن وهو ينـادي فطرتها وأعماقها، أن هلمي أيتها النفس الحائرة حيث النور والهداية والحياة في ظلال القرآن. إن الفضيل بن عياض هو أحد كبار الصالحين، كـان فـي أول شبابه يسرق ويعطل القوافل في الليل. كان يأخذ فأساً وسكيناً ويتعرض للقافلة فيعطلها، وكان قوي البنية وجريئا في الإقدام على القرصـنة وقطـع الطريق لا يبالي بأحد من الجند والعسس. وكان الناس يتواصون في الطريق والسفر: إياكم والفضيل إياكم والفضيل! والمرأة تأتي بطفلها في الليل تسكته وتقول له: اسكت وإلا أعطيتك للفضيل. أتى الفضيل بن عياض يوماً فطلـع سلماً على جدار يريد أن يسرق بيتاً، فأطل ونظر إلى صاحب البيت فإذا هـو شيخ كبير، وبيده مصحف، ففتحه واستقبل القبلة على سراج صغير عنـده، وهو يقرأ في القرآن ويبكي. جلس الفضيل ووضع يده على السـقف وظـل ينظر إلى ذلك الرجل العجوز الذي يقرأ القرآن ويبكي، وعنده بنت تصلح له العشاء، وأراد أن يسرقه وكان ذلك من أيسر ما يكون عنـده وبإمكانـه أن ينجز ما اعتاد عليه؛ لأنه رجل قوي، وهذا الشيخ لا يستطيع أن يدافع عـن نفسه، فمرّ الشيخ في قراءته للقرآن بقوله تَعَالَى:

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾[1]

فنظر الفضيل إلى السماء وقال: بلى يا رب العزة، آن لي أن يخشـع قلبـي لذكرك واللجوء اليك، ويخشع لما أنزلته من النور المبين في كتابك الكريم.. يا رب! أني أتوب إليك من هذه الليلة، ثم نزل فاغتسل ولبس ثيابه وذهـب إلى المسجد، وبقي يبكي حتى الصباح، ثم ترك حرفته الأثيـرة مـن قطـع

---

[1] سورة الحديد/ ١٦.

الطريق والسرقات وحياة الصعلكة والجري في كسب المال الحرام، فتاب الله عليه، وتحول إلى حياة الزهد والعبادة وسلك طريق النور والإحسان والسعادة، حتى زكت روحه وأصبح ولي ربانيا من كبار الصالحين في عصره. تاب الله سبحانه عليه وهو العليم بصدق توبته، فجعله إمام الحرمين في العبادة، فأصبح هذا السارق المارق قاطع الطريق في أول حياته، إمام الحرمين الحرم المكي، والحرم المدني. وتاب على يديه خلق كثير، وأصبحت سيرته نبراساً وقدوة في طريق السالكين.

وهكذا نستلهم من قصص الصالحين في تراثنا الإسلامي، ما يثري منهجنا في تقصي العبر والقصص في هداية عقلاء الغرب وعظمائه، ممن اخترنا في هذا الكتاب، من أصحاب القلوب التي أبصرت الحق واتبعته، بعدما هيأ الله لهم فرص الهداية والاطلاع، على النور الذي أشرقت به الأرض بعد نزول القرآن، ذلك الكتاب المعجز الذي لا ريب فيه هدىً للمتقين، والذي تكفل الله بحفظه، ليكون دليلاً ونبراساً للمؤمنين، وحجة على الكافرين من المغضوب عليهم والضالين، الذين يجحدون آياته وهديه القويم، فقام يدعوهم للتي هي أقوم والى عبادة الله سبحانه، كما بيّنها في كتابه العزيز.

فلا عجب حين نلمس قوة فيض القرآن وقيامه وحده، بنشر نور الإسلام في ربوع الأرض في زمن التخلف والانحطاط والسبات، الذي يعيشه العالم العربي والإسلامي في العصر الحالي، فنرى –مثلا – أن فرنسا بعلمائها ومفكريها من أمثال موريس بوكاي وروجيه غارودي جاك كوستو وإيتان دينيه وغيرهم، من عمالقة الفكر والثقافة والتقنية الحديثة، تتنافس مع انكلترا وألمانيا وباقي دول أوربا المتقدمة، وحتى أمريكا العنيدة المصابة بلوثة التوراتية ونزعة الغطرسة المادية أكثر من غيرها من دول الغرب المتطورة، تتنافس على دراسة كتاب الله واستلهام هديه وأثره في النفوس

الحائرة، فنسمع عن رجال غربيين يتنافسون في الإسراع إلى خفض جناح الانقياد لنور القرآن، بتسخير ما لديهم من العلم والفكر للتأمل والتفكر والانبهار بما يحتويه كتاب الله من كنوز وعلوم فريدة..

وهم في كل يوم يتفاجؤن بظلال أنواره البهية، وهي تخترق قلوبهم الزكية وأرواحهم الباحثة عن الحق والحقيقة، فلا يجدون الهدى والنور إلا في كتاب الله العزيز، في زمن الظلمة والجهل والتخلف الذي يلف عالمنا الإسلامي، صاحب الرسالة ووريث تراث الأنبياء، فنسمع عن الصحفية الأمريكية كاريما وهي تعلن إسلامها تأثراً بلغة القرآن، ونعيش مع مايكل هارث في كتابه المعروف (المائة الأوائل)، وهو يضع النبي محمداً ﷺ على رأس قائمة المائة الأوائل الذين أثروا في تاريخ الحضارة البشرية، منذ عصر آدم عليه السلام وحتى اليوم. ونسمع مؤخراً عن الإعلامي الألماني المعروف هنريك برودر، وهو الذي كان حتى وقت قريب العدو اللدود للإسلام ولنبيه الكريم، يعلن إسلامه في موقف جريء وحدث إعلامي مفاجئ يصدم ألمانيا وأوربا بأجمعها، ونحن لا نزال في غفلة وبعد عن الله سبحانه وكتابه المعجز، ولا نخشى من إقصائنا عن أداء الرسالة وأن يستبدل الله سبحانه أمة الرسالة المتقاعسة بأمة غيرها، ثم لا تكون مثلها، كما حصل مع أمم سابقة، ومنها أمة بني إسرائيل حين تقاعست ونكصت على عقبيها.. والقرآن نفسه يقص علينا قصتها وقصة انحرافها ومسخها كنموذج تاريخي وديني، لتكون عبرة لنا كي لا نقع في ذات الأخطاء والخطايا والانحرافات التي وقعت فيها الأمم السابقة، ونسير على أثرها في تقليد الكفر والنفاق والمسخ والفسق، الذي عاشت فيه الأمة الاسرائلية في عصور ما قبل الإسلام، ولا زالت تعيش فيه أكثر الأمم اليوم.

أما شخصية النبي محمد ﷺ وأثر النبوة والعظمة فيها، فرغم الحملة الشعواء التي تقودها الدوائر الحاقدة والمتعصبة في الغرب على الإسلام ونبيه، والتي تجسدت مؤخراً بالرسوم الكاريكاتيرية المسيئة للرسول ﷺ، وتصريحات البابا الأخيرة في ألمانيا، ومحاولة غمزه ولمزه وإلصاق صفات الهرطقة واللاعلمية والعنف في سيرته الشريفة، وكذلك التهم العديدة التي ما فتىء الإعلام الغربي وتراثه وأدبياته القديمة والجديدة، أن يرمي بها نبي الإسلام ورسالة السمحاء، منذ الحروب الصليبية وحتى الآن. ورغم كل ذلك الركام الأسود الذي سطرته الأيادي الآثمة عبر التاريخ، الذي كان يغذيه التعصب الأعمى والحقد والكراهية المتجذرة في الوعي واللاوعي الغربي منذ قرون، فان الكثير من علماء الغرب ومفكريه المنصفين لم تستطيعوا مجارات ذلك الكذب المفترى والزيف الإعلامي المتعمد على الإسلام وكتابه ونبيه الكريم، الذي بات يزكم الأنوف وتمجه العقول والقلوب السليمة، فانبرى هؤلاء المفكرون للدفاع عن الحق والحقيقة، بين ذلك الركام الكثيف الذي بات مادة للاجترار الثقافي والاجتراح على التاريخ المنير، فأشادوا في كتبهم ومقالاتهم وخطبهم بشخصية الرسول محمد العظيمة، وعرفوا فضله على الحضارة البشرية، وشهدوا للعالم بشدة سطوع النور الذي جاء به هذا النبي الكريم ﷺ، فنرى كاتباً أمريكياً معاصرً – كما أشرنا أعلاه – يختار محمداً ﷺ على رأس المائة الأوائل الذين كان لهم الأثر الأكبر في تغيير مجرى التاريخ الإنساني، ونجد كاتباً غربياً آخر قد بهرته هذه الشخصية العظيمة، فراح يسلط الضوء على خصالها وسجاياها الفريدة، التي لا يمكن أن يحجب نورها وفضلها وتألقها عبر التاريخ، تلك المحاولات الخائبة المتعصبة لصغار الكتاب والإعلاميين المأجورين والحاقدين على البشرية ومنابع حضارتها وأصالتها في الغرب والشرق على السواء، فيرى إنها لا تسيء إلا إلى الغرب

وحضارته وتاريخه. وقد أفردنا في الكتاب فقرة جميلة عن أقوال بعض المفكــرين الغربيين المنصفين، الذين شهدوا بعظمة نبي الإسلام وتفــرده بصــفات الرقــي والصفاء والربانية بين أقرانه من الأنبياء الذين سبقوه، فضلاً عن الحكماء والقادة والفلاسفة الآخرين على مر التاريخ.

وهكذا يمكن أن يلمس القاريء في ثنايا هذا الكتاب عظمة الإسلام، دين الله الخاتم الذي أنعم الله تعالى به على البشرية، وبكتابه المعجــز القــرآن الكــريم ونبيــه المصطفى ﷺ، من خلال متابعة قصص هؤلاء المهتدين ونفحات هذه القلوب التي أبصرت النور، من علماء الغرب وقادة الفكر والسياســة فــي أوربــا وأمريكــا، باعتبارهم يمثلون مركز الثقل الأساسي للحضارة المعاصرة، والجبهــة الرئيســية التي تصدت لهذا الدين منذ مطلع نوره ودخلت في صراع شديد معه وحتى اليوم، وقادت ذلك الصراع الحضاري والديني المفروض عليه، مستخدمة شتى الشعارات والمبررات والذرائع المشروعة وغير المشروعة، لكي تنال منه، فهداها الله إلــى منهجه الرشيد، والفضل ما شهدت به الخصوم والأعداء..

وسبحان من قيض لهذا الدين من يدافع عنه ويسلط الضوء على أنواره وإعجــاز كتابه وهدي نبيه، وأخرج الحكمة والحقيقة من أفواه هؤلاء الــذين هــداهم الله، وأخرج النور من بين خبايا حضارة الغرب المادية المتغطرسة والمتعصبة، فكــان هؤلاء الفضلاء من علماء الغرب سبباً في هداية الناس إلى نور الله وهديه القويم، وما جاء به نبي الإسلام من تعاليم إلهية، هي درة الوجود ومكمن الحق والنــور، الذي سيظل الإنسان بأمس الحاجة إليها، ليسقي الظمأ الذي يعيشه فــي رحلتــه الطويلة على الأرض حتى يلقى الله سبحانه..

ولعل في قصص هؤلاء ذكرى لمن كان له قلب وألقى السمع وهو شهيد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

# المصادر


١- الخالدون مائة أعظمهم محمد ﷺ/ د. مايكل هارث، ترجمة أنيس منصور.
٢- المائة الأوائل/ د. مايكل هارث.
٣- الإسلام في بريطانيا/ د. محمد صادق الكرباسي، ط. بيروت.
٤- اختيارنا الإسلام (Islam Our Choice) ' طباعة أوقاف بواني- باكستان.
٥- التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب/ صالح بن عبد الرحمن الحصين.
٦- العرب عنصر السيادة في القرون الوسطى/ للمؤرخ جون داونبورت.
٧- عولمة اللغة والتاريخ/ علاء الدين المدرس، ط. عمان-عالم الكتب الحديث.
٨- الظاهرة القرآنية والعقل/ علاء الدين المدرس، ط. عمان- عالم الكتب الحديث.
٩- أقباس من الإعجاز العلمي في القرآن والسنة،ط. بغداد/علاء الدين المدرس.
١٠- الطريق إلى مكة/ محمد أسد (ليو بولد فايس).
١١- الإسلام على مفترق الطرق/ المستشرق المجري محمد أسد (ليو بولد فايس).
٢٤- شمس العرب تسطع على الغرب/ المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه.
١٢- محمد رسول الله/ ناصر الدين إيتان دينيه.
١٣- حضارة العرب/ غوستاف لوبون.
١٤- ملامح في فقه اللهجات العربيات/ د. محمد بهجت قبيسي.
١٥- الذين هدى الله/ د. زغلول النجار.
١٦- تاريخ سوريا/ نادر العطار.
١٧- ربحت محمدا ولم أخسر المسيح/ د. عبد المعطي الدالاتي.
١٨- كيف أسلمت..وثائق وشهادات مترجمة/ترجمة وإعداد هالة صلاح اللولو.
١٩- الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء/ محمد كامل عبد الصمد.

٢٠- الانتماء الحضاري والهوية الثقافية/ علاء الدين المدرس.

٢١- رجال ونساء أسلموا/ تأليف: غوريغورس بن أهرون. إعـداد وترجمـة الدكتور عرفات كامل العشي.

٢٢- الأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل/ روجيه غارودي.

٢٣- حوار الحضارات/ روجيه غارودي.

٢٤- الإسلام دين المستقبل/ روجيه غارودي.

٢٥- الموسوعة الحرة/ الويكيبيديا.

٢٦- فلاسفة فرنسيون/ معتنقو الدين الإسلامي.

٢٧- الثقافة الفرنسية في العصور الوسطى ط. الكويت [مترجم].

٢٨- برنامج: من تراث الشعوب/ زهير القيسي، وزارة الإعلام/ بغداد.

٢٩- مجلة مسلم نيوز إنترناشنال عدد يوليو ١٩٦٨ م. طبع باكستان.

٣٠- مجلة الوعي الإسلامي/ سلسلة قلوب أبصرت، الأعداد ٥١٦ و ٥١٨ و ٥١٩.

٣١- صحيفة صنداي تايمز، العدد المؤرخ في ١٩٧٨/١٠/٢٢.

٣٢- جريدة الرأي الأردنية، في ١٩٧٨/١١/٩.

٣٣- Gabriel Rany /The Tatars Khan`s English . للمؤرخ الإنجليزي جابريل راني الخبير بشؤون القرن الثالث عشر الميلادي.

٣٤- مواقع على الشابكة (الانترنت):

www.islamfortoday.com/converts.htm

www.islamfortoday.com/converts.htm

www.islamfortoday.com/karimaburns.Htm

www.islamfortoday.com/karimaburns.Htm

http://alhakekah.com/aduio/tejasen-1-56k[1].ram

?p=716http://www.dive4ever.net/vb/showthread.php

www.theage.com.au/articles/2004/04/04/1081017035

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٦٩٨ لسنة ٢٠١١